

# ذو الرُّمة

شاعر الطبيعة والحب



تأليف

کیلائی حسن سند



الهيئة الوطنية العامة للكتاب

۱۹۷۳

# ذو الرُّمة

شاعر الطبيعة والمحِبِّ



تأليف

مركز بحوث كافيير علوم سري

كيلا في حسن سند



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## تصدير

هذه الدراسة عن ذي الرمة « الشاعر الأموي » . حاولت فيها أن أستكشف عالمه النفسي ، والفني من خلال شعره . بعد أن لفتني الى اهميته ما كتبه المستشرق الألماني « بروكلمان » حين قال :

« وذ الرمة يحسن مطابقة الحروف للمعاني فيصور ضرب رجل الجندب على الرمل بترديد الراء والضاد » .

وقد اعتمدت في دراسته على « ديوانه » الذي نشره « مكارتنى » في كمبردج ١٩١٩ م بعد أن انتسخت لنفسى نسخة خاصة منه . . . وحاولت أن أتجنب ما يقع فيه كثير من الدارسين من الانسياق وراء الدراسة التاريخية السهلة لعصر الشاعر وحياته ؛ أو الانسياق وراء التفسيرات الاجتماعية والنفسية لأحداث حياته مهملًا الجانب الفني : الذي هو أهم ما في حياة الفنان - كما يفعل العقاد - في تراجمه ، وإنما توخيت الجمع بين الأسلوبين ، فدرست حياته ،



وكشفت عن خبايا نفسه المحبة الشاعر ، كما اهتمت بالكشف  
عن مزايا أسلوبه الخاصة ؛ التي تجعله - في رأيي - في مصاف  
الفنانين المجددين ، لا في المعاني والأفكار ، وإنما في اللغة أيضا  
بما أحدثه في أسلوبه من مخالقات لغوية ، اعتبرها النحاة واللغويون  
والنقاد القدامى من قبيل الشاذ ، ويعتبرها النقاد المعاصر من  
قبيل إعادة البناء اللغوي ليلائم البناء النفسي للشاعر أو « كسر  
البناء » كما يطلق عليها ذلك الدكتور محمد مندور . ولقد  
استهديت في ذلك بالكثير من القراءات في علم النفس ، واللغة ،  
وما تقدمني به الباحثون من دراسات ، وأخيرا فأنني أمل أن أكون  
بعملي هذا استطعت أن أكشف عن وجه هذا الشاعر العملاق  
غبار الزمن .. ليهتم به الباحثون والدارسون وعشاق الأدب .

كيلاني حسن سند

١٩٧٠



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

# الباب الأول



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## الفصل الأول

### ذو الرمة : حياته ونشأته

#### حياته :

هو غيلان بن عقبة بن بيهس ، يكنى أبا الحارث ، ولد عام ٧٧ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان ، ينتمى الى صعب بن ملكان ابن عدى بن عبد مناة (١) ويمتد نسبه الى مضر ، وعدى التى ينتمى اليها تكون مع تميم ؛ وعكل ، وضبة - الرباب التى يفخر بها كثيرا فى شعره ؛ والرباب بطن من بطون بنى تميم .

يقول ذو الرمة فى أبيات يهجو فيها هشاما المرثى ، مسقطا قبيلته امرأ القيس من عداد بنى تميم :

يعد الناسبون الى تميم بيوت العز أربعة كبارا (٢)

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ٣٦ .

(٢) الناسبون : العارفون بالانساب .

يعدون الرباب لهم ، وعمروا وسعدا ثم حنظلة الحيارا (١)  
ويهلك بينها المرئي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا (٢)  
ويفخر بعدى فى موطن آخر فيقول :

بذى لجب تدعو عديا كماته اذا عثنت فوق القوانس عثير (٣)  
كما يهجو هشام عديا قوم ذى الرمة فيقول :

غضبت لرحل من عدى تشمسوا وفى أى يوم لم تشمس رحالها  
ولقد كانت منازل بنى تميم بأرض نجد « دائرة من هنالك  
على البصرة ، واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين . منتشرة الى العذيب  
من أرض الكوفة ، ولهم بطون كثيرة منها بنو سعد بن زيد مناة ؛  
وبنو منقر « قوم مى محبوبته » ، وبنو امرئ القيس ، وبنو عوف  
ابن كعب ، وبنو الحارث بن يربوع ، وبنو دارم بن مالك بن حنظلة  
آل الفرزدق الشاعر وغيرهم ، ومن منازلهم : صلب المعأ ، ورهبي .  
والدهناء ، والاحساء ، والرمادة ، وشرف الأوطى ، وقسا (٤) . .  
وقسا هذه سوق باليمامة ، هذه الأماكن تتردد فى شعر ذى الرمة  
كثيرا ، ومن المؤكد أن منازل قومه قريبة من « قسا » فى اليمامة يقول  
مخاطبا بلال بن أبى بردة :

ولكننى أقبلت من جانبى قسا  
أزور أمراء محضا نجيبا ، يمانيا (٥)

- 
- (١) الرباب ، وعمرو ، وسعد وحنظلة : فروع من قبيلة تميم .  
(٢) المرئي : نسبة الى امرئ القيس ، لغوا - لا يعد منها ، الحوار - ولد  
الناقة ساعة أن تضعه ولا يؤخذ فى الدية .  
(٣) لجب : صخب ، كماء - فرسان ، عثنت - ثارت ، القوانس - الخوذات .  
عثير الغبار ، والمعنى : بجيش صاحب يدعو فرسانه قبيلة عدى لمناصرتهم حين  
يحدثم القتال ويثور الغبار .  
(٤) القبائل العربية لمركحالة .  
(٥) محضا - خالصا نقيا .

كما يمدح المهاجر بن عبيد الله والى اليمامة ، ويشكو له من رجل اسمه « طرثوث » سلبه البئر التى يستقى منها قومه ..

أما تلقيبه بذى الرمة ؛ فلقد اختلف الباحثون فى سبب ذلك ، وصاحب « الأغاني » كفانا مؤنة البحث عن هذه الأسباب ، فآلم بها جميعا ، فمن هذه الأسباب : أنه لقب لقبته به مية ، ذلك أنه رآها لأول مرة ، وقد طلب منها الماء ، وقيل بل خرق اداوته ، وقال لها : اخرزى لى هذه .. فقالت : والله ما أحسن ذلك ؛ وإنى خرقاء ، فقال : لأمها مريها أن تسقينى ، فقالت لها : قومى يا خرقاء ، فاسقيه ماء ، فقامت فأنته بماء ؛ وكانت على كتفه رمة ، وهى قطعة من جبل فقالت : اشرب يا ذا الرمة فلقب بذلك ؛ وقيل بل سبب ذلك هو أن والدته ، واسمها ظبية من بنى أسد . مرت به على الحصين بن عبدة ، وقد كان كتب له تيممة فى صغره - أثناء قضائها بعض الحوائج وهو جالس فى ملا من أصحابه ، ومواليه ، فدنت منه فسلمت عليه ، وقالت له يا أبا الخليل ألا تسمع قول غيلان وشعره ؟ قال ، بلى ، فتقدم منه فأنشده وكانت المعازة مشدودة على يساره فى جبل أسود ، فقال الحصين : أحسن ذو الرمة فغلبت عليه ؛ وثمة رأى ثالث نرى ترجيحه ، هو أنه لقب بذى الرمة لقوله :

لم يبق غير مثل التركود      وغير مرضوخ القفا موتود (١)

أشعث باقى رمة التقليد

ويؤكد ذلك أيضا قول شارح الديوان « وسمى ذا الرمة لقوله « رمة التقليد » وتلقيب الشاعر بكلمة ترد فى بيت من شعره كثير شائع ؛ وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عدد كبير منهم ، كما مرى

(١) مثل - منتصبات ، ركود - مقصات ، مرضوخ - مشقوق ، موتود - موتود ، أشعث - منتشر الشعر ، رمة التقليد - الجبل البالى ، والمعنى : لم يبق فى الديار سوى الأثافي ( الحجارة التى يطبخ عليها ) وغير الموتد المشقوق المتقلد بجبل قديم بال .

القيس الذى لقب بذي القروح لقوله : « وبدلت قرحا داميا بعد  
صحة ، والمتلمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح لقوله :

فهذا أوان العرض ، حيا ذبابه      زنايره ؛ والأزرق المتلمس  
والثقب العبدى لقوله :

أرين محاسنا ، وكنن أخرى      وثقبن الوساوس للعيون (١)  
والؤمل بن جميل بن أبى حفصة الذى أطلق عليه « قتيل  
الهوى » لقوله :

قلن من ذا ؟ فقلت هذا اليمامى : قتيل الهوى ، أبو الخطاب

وعبيد الله بن قيس الرقيات لتغزله فى أكثر من واحدة  
اسمها رقية ، ومثل هؤلاء صريع الغواني والقطامى ؛ لقوله :  
« يحطهن جانبا فجانبنا حط القطامى القطارا » ، والمزق ..  
لقوله : « والا فأدركنى ولما امزق » وغير هؤلاء كثير (٢) .

وإذا حاولنا أن نتعرف على ملامحه ، وجدنا تضاربا فى الآراء  
فبينما يحسنه بعضهم يقبحه البعض الآخر ، والراجح ما ورد فى  
الأغاني : من أنه كان مدور الوجه ، حسن الشعر جعده ؛ أقنى ؛  
أنزع ، خفيف شعر العارضين ؛ أكحل العينين ؛ حسن الضحك  
مفوها ، إذا كلمك كلمك أبلغ الناس .. يضع لسانه حيث يشاء ،  
وقال محمد بن صالح قال لى خالد وأبو عمرو : لم يكن أحد من القوم  
فى زمانه أبلغ من ذى الرمة ؛ ولا أحسن جوابا ، وكان كلامه أكثر  
من شعره ، كما كان إذا ألقى شعره « بربر بصوته » وقد وصفته  
محبوبته « خرقاء » بأنه كان رقيق البشرة ، عذب المنطق ، حسن  
الوصف ، مقارب الرصف عفيف الطرف ؛ ويبدو أن ما وصفه به  
ابن قتيبة وغيره من دمامة فلكى يجدوا مناسبة - كعادتهم - للأبيات  
التي نظمها ( كنزة ) أو كشيرة « ابنة عم مى » ، أو أمتها على

(١) كنن - اخفين ، الوساوس - الثقوب ينظر منها .

(٢) لجلال الدين السيوطى فصل طويل فى كتابه الزهر عن هؤلاء الشعراء .

اختلاف في ذلك ثم نسبتها له لتسوء العلاقة بين العاشقين .  
ويظهر أنها نجحت في إغصاب « مية » فلقد ظل ذو الرمة طيلة  
حياته يقسم أنه لم يقل هذا الشعر ؛ ويقول : ( كيف ؟ وقد قضيت  
حياتي في التغزل بها ) فلقد زعم هؤلاء الرواة أنه تغزل بمية دون  
أن تراه ؛ ولما رآته وجدته أسود دميما قالت : واسوأناه ؛  
وابأساه . . . . واضيعة بدنتاه التي نذرت ذبحها لو أنها لقيته  
. . فقال ذو الرمة :

على وجه مي مسحة من ملاحه  
وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبث طعمه  
وان كان لون الماء أبيض صافيا

فيا ضيعة الشعر الذي لج وانقضى  
بمي ، ولم أملك ضلال فؤاديا

بل يزعم هؤلاء الرواة أن أمه حين عرضته على « الحصين » ،  
قالت لمن حوله : « اسمعوا شعره ولا تنظروا الى وجهه » وما أظن أن  
أما تستقبح ابنها حتى لو رآه الناس جميعا قبيح الوجه ، دميما ،  
وقد تحدث عن ولوع النساء به ، كما وصف نفسه بأنه كالغصن  
الأملود ولكن « مجحفات الزمن المريد ؛ نقحن جسمي عن نضار  
العود ؛ بعد اهتزاز الغصن الأملود » .

ولم يحدثنا التاريخ بشيء عن والده ؛ كما لم يرد له ذكر  
في ديوانه ، مما يجعلنا نعتقد أنه كان رجلا من عامة الناس . لا شأن  
له ولا ذكر . أو لأنه تركه صغيرا فلم تع ذاكرته عنه شيئا . فلقد  
قيل ' ان أخاه هشاما هو الذي رباه ، وكان لذي الرمة ثلاثة أخوة  
هم هشام وجرفاس ومسعود ، وكلهم شعراء حتى زعم أعداؤه  
وشائئوه أن أخوته يتعاونون في نظم القصائد التي تنسب اليه .  
شهرته ، ومن شعر هشام :



حتى اذا أمعروا صفقى مباءتهم  
وجرد الخطب أثباج الجراثيم (١)  
ويعقب ابن قتيبة قائلا : وليس له غيرها ، ولكن أبا الفرج  
الأصفهاني يسوق ملاحاة شعرية بين هشام وذى الرمة : فذو الرمة  
يقول لأخيه هشام :

أغر هشاما من أخيه ابن أمه  
قوادم ضأن الغزار أقبلت ، وربيع  
وهل تخلف الضأن الغزار أبا الفتى  
إذا حل أمر فى الصدور فظيع  
ويجيبه هشام بقوله :

إذا بان مالى من سوامك لم يكن  
إليك ورب العالمين رجوع (٢)  
فأنت الفتى ما اهتز فى الزهر الندى  
وأنت إذا اشتد الزمان منوع

ويبدو من قصيدة ذى الرمة أنه ألت به سنوات عجاف ،  
أو مرت به ضائقة مالية فلجأ الى هشام أخيه الذى لم يلن ، وام  
يعطف ، رغم سر حاله : ورغد عيشه يقول ذو الرمة :

تباعدت منى اذ رأيت حمواتى      تدانت ، واذا أحيا عليك قطيع (٣)

(١) أمعر الرأس - سقط شعره ، صفقى مباءتهم - ناحيتى معاطن ابلهم .  
أثباج - ظهور ، الجراثيم - أصول الشجر ، والمعنى : رحلوا بعد أن أسقط الصيف  
أوراق الشجر التى تحيط بمعاطن الابل .

(٢) بان - انفصل وبعد ، السوام - الابل والمائنية ، والمعنى : اذا ما انفصلت  
نكك بنفسى وبمالى - فأننى سوف لا أعود الى مخالطتك فأنت أنانى تقبل على الانسان  
حين تقبل عليه الحياة وتبتعد عنه حين يشتد به الزمان .

(٣) - تدانت - قلت ، أحيا - كثر .

والتعبير « بتدانت » أى قلت يدل على ذلك . بينما زاد قطيع هشام : ومع هذا كان أقصى عليه - فى رأيه - من الحجر .

أما ذاك أو يندى الصفا من متونه

ويجبر من رفض الزجاج صدوع (١)

ولكن هشاما يعرض عليه أن تعود المودة بينهما فيقول له :

أغيلان أن ترجع قسوى الود بيننا

فكل الذى ولى من العيش راجع

فكن مثل أقصى الناس عندى فأننى

بطول التنائى من أخ السوء قانع

وأكد أنهم ذا الرمة بالاسراف ، واستباحته مال أخيه الغنى ، فلقد قال رجل للأصمعى : رأيت ذا الرمة بمربد البصرة ، وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم عليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجرى على لحيته « ما بال عينك منها الماء ينسكب » فكذلك كان يستحل (٢) يزيد بن الطثرية الشاعر الغزل مال أخيه الغنى « ثور » فكان يزيد يأتى العطار فيقول له : أدهنى دهنه بناقة من ابل ثور ؛ فيفعل ذلك . وكان ذا جمة حسنة فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدى ، فاذا ذكر « حوشية » محبوبته عاد فاقتطع من ابل أخيه ما يقضى به دينه ، فاستعدى عليه ثور السلطان فأمر بحلق رأسه .

ويبدو أنه كان يؤثر بالثقة والحب أخاه مسعودا الذى هو أسن

منه أيضا ، وعاش بعده ؛ وقد رثاه فقال :

---

(١) يندى - يبلله الندى والمراد يعرف . الصفا - الصخر . متونه - ظهوره

يجبر - ينشئ . رفض الزجاج - حطام الزجاج المنكسر .

(٢) الكامل للمبرد ج ١ .

الى الله أشكو ، لا الى الناس ، اننى  
وليلى كلانا موجه مات رافده (١)  
كما رثاه مرة ثانية ورثى معه صديقه وابن عمه أوفى أحد  
رواة الحديث فقال :

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده  
عزاء وجفن العين ملآن عترة

خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم  
فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا (٢)

ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده  
ولكن نكا القرع بالقرح أوجع  
فأفقد كان يصحبه معه فى رجلاته ؛ ويخاطبه فى شعره ، ويصغى  
لنومه وعتابه :

أقول لمسعود « بجرعاء مالك »  
وقد هم دمعى أن تسح أوائله (٣)

ورأتها مية مرة مقبلين فى الصحراء ، وعليهما أثر الارهاق  
والتعب من ذلك السفر البعيد فهربت منهما :

قد عجبت أخت بنى لبيد      وهربت منى ومن مسعود  
رأت غلامى سفر بعيده      يدرعان الليل ذا السدود (٤)  
وها هو مسعود الذى يحبه ويشفق عليه • يلومه لأن الحب قد  
استخفه ، والحنين اعتصر نفسه :

- 
- (١) رافده - مساعده ومعاونه •  
(٢) خوى - خلا ، نكا القرع - أى جرح الجرح بعد قربه من الشفاء •  
(٣) بجرعاء مالك - أحد منازل بنى تميم •  
(٤) يدرعان الليل - يشتعلان به •

كان فزادى يماضى عرفان ربعتها به وعى ساق أسلمتها الجبائر (١)  
حسية مسعود يقول وقد جرى على خيتى من عبرة العين قاطر  
أفى الدار تبكى أن تفرق أهلها وأنت امرؤ قد حلمتكَ العشائر

استهز مسعود بلومه العنيف لأخيه ذى الرمة شفقة  
رحبا فضرب به المثل فى ذلك أبو تمام فيما بعد فقال :

إن كان مسعود سقى أطلالهم سيل الشئون فليست من مسعود

لأنه كان يلوم أخاه فيقول أبو تمام : لو عدل عن اللوم الى  
البكاء فنست منه ؛ وهذا أبلغ فى التبرى (٢) « ونعلم من شعره  
أنه كانت له بنت اسمها « ليلي » كما جاء ذكر اسمها فى رثاء  
مسعود له « اننى وليلى كلانا موجه مات رافده » وكثيرا ما لامته على  
كثرة أسفاره ؛ وتعريضه نفسه للهلاك ؛ فهو كثير الكسب للمال ؛  
كثير الانفاق له .

تقول بنتى اذا رأت وعيى هم امرىء ، لهمه كيود (٣)  
ذى بسوات ؛ متلف ، مفيند أمضى على الهول من الطريد (٤)  
أنك سام سموة فمودى فقلت لا ، والمبدىء المعيد (٥)  
ما دون وقت الأجل المحدود هل أغدون فى عيشة رغيد

والله أدنى لى من الوريد

ربما كانت « ليلي » ابنته هذه هى التى فجرت ينابيع

---

(١) هسى - كسر ، وعى الساق - جبرها بعد الكسر ، الجبائر - مفردا  
جيرة وهو ما يوضع حول الساق المصابة من خشب وغيره ، والمعنى : حين عرفت  
دبار المحيرة أصيب قلبى بما تصاب به ساق مكسورة سقطت جبائرها .

(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٤ .

(٣) امرىء كيود لهمه - يقاسى ويعانى من تطلعاته وأهدافه البعيدة

(٤) ذى بدوات - صاحب حاجات ومطالب .

(٥) سام سموة فمودى - ساع لتحقيق غاية بعيدة فانت هالك بسببها .

الحب، الأبوى فى نفسه فجعلته يعطف - كما سترى - حتى على فراخ القطا والمكايى ؛ وأطلاء الغزلان وجآذر البقر الوحشى ، ولأنه كان مفيدا متلافا - كما عبر هو عن ذلك - عاش فقيرا ، فبكل ما كان يجتمع له من مال يبدهه وينفقه ، وقد مر ذكر من رآه فى البصرة ينشد شعره وعليه برد بمائتى دينار - ومن فقره الذى اعتز به صاغ هذه التجربة التى خالف فيها الموروث الشعرى ، فلقد اعتاد الشعراء أن يصوروا المرأة بالصورة التى لا يجذبها سوى الشباب والمال ؛ فاذا انعدما انعدم الحب ، قال علقمة الفحل :

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجيب (١)  
ولكن ذا الرمة يقول غير ذلك : يقول : ان فقره لم يزر به  
عند محبوبته :

وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا ولكن جرت أخلاقهن على البخل  
فأخذهن النقاد التقليديون على ذلك ، فقال ابن قتيبة وقد غلط فى قوله فى النساء : «وما الفقر أزرى عندهن» البيت قالوا  
والجيد قول علقمة :

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجيب  
وقول امرئ القيس :

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه ، وقوسا  
وإذا كنا قد وفينا صفاته الحسية حقها من البحث ، فان صفاته النفسية التى هى أشد خطرا فى حاجة الى الالمام بها ؛ وأول ما يطالعنا من ذلك تدينه ، وتمسكه بأخلاقيات الاسلام ، فكان يصلى ؛ وإذا سافر قصر الصلاة ، فاذا لم يجد الماء تيمم

نصى الليل بالأيام حتى صلاتنا  
مقاسمة يشتق أنصافها السفر (٢)

---

(١) شرح الشباب - ريعانه .

(٢) نصى - نصل . والمراد لطول وكثرة أسفارنا نصل دائما صلاة القصر .

ويهجو هشاما المرئي وقومه بأنهم يضيعون أوقات الصلاة ،  
ويشربون الخمر والأنبذة :

أضعن مواقت الصلوات عمدا

### وحالفن المشاعل والجرارا

وسنرى حين نتحدث عن مصادر ثقافته أن تدينه قد جعله  
يستمد الكثير من صوره وتعبيراته من الدين؛ والقرآن الكريم ، ولقد  
أجمع كل رواة الأدب على تقاه وعفته ، فقال عنه الأصمعي (١) ما أعلم  
أحدا شكا حبا أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة ، وعقل  
رصين ، لقد قال عن نفسه حين حضرته الوفاة « لقد همت بمى  
عشرين سنة فى غير ريبة ولا فساد» (٢) وعن عيسى بن عمر قال :  
كان ذو الرمة ينشد الشعر فإذا فرغ قال والله لا أكسعنك بشيء ليس  
فى حسابك ؛ سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر  
وقيل : كان ذو الرمة حسن الصلاة ، حسن الخشوع ، وقال : ان  
العبد اذا قام بين يدى الله حقيق أن يخشع . . « وكثيرا ما كان ينشب  
صراع داخلى فى نفسه بين ما يشكوه من هوى ؛ وبين ما يتطلبه الدين  
والعقل من عفة ؛ وبعد عن طيش المحبين :

ألا ، لا أرى مثل الهوى داء مسلم

كريم ولا مثل الهوى ليم صاحبه

ومن صفاته أنه كان يعرف أقدار الناس ، ويعترف بفضائلهم  
فلقد قال يوما لأبى عمرو بن العلاء :

«أنت مفرد فى علمك ، وأنا فى شعرى ذو أشباه (٣) . .» كما  
كان صبورا جلدا ، صبورا على تحمل المشاق ، وكثيرا ما افتخر بشجرة  
الفيافى والظلمات على ناقة ضامرة دون أن يضعف رغم طول السفر

(١) الأغاني ج ١٦ .

(٢) روضة العاشقين .

(٣) الموشع للمرزباني .

ومخاطر الطريق ، وهو صبور جلد في حبه ، وإن كان الحب كثيرا  
ما ينتصر عليه ، ويتغلب على صبره فيقذف به في الطريق باحثا  
عن منازل محبوبته ليتزود منها بنظرة أو كلمة حب أو عتاب ، وربما  
واصل السفر ثمانية أشهر بتمامها من أجل ذلك :

ومغنى فتى حلت له فوق رحله

ثمانية جردا صلاة المسافر (١)

لهذا قد شحب وجهه : وضمير عوده ، من سقام السرى ،  
والحب :

فتى ، مسلهم الوجه شارك حبها

سقام السرى فى جسمه بسقام (٢)

وهو رغم صبره وشجاعته - كأي أعرابي يخشى البحر ويفزع  
اهتزاز القناطر المقامة على المياه ، وقد مدح عمر بن هبيرة فقال له :

كم جبت دونك من تيهاء مظلمة

تبه اذا ما مغنى جنبها سمرا (٣)

ومزبد مثل عرض الليل لجته

يهل شكرا على شطيه من عبرا

كما أن محبوبته من قوم : لم تنقض بهن القناطر ؛ أى تهتز  
وتضطرب ؛ ومن صفاته النفسية أيضا اعتزازه بكرامته حتى مع  
الأمراء والخلفاء . فلقد وقف منتظرا مع سائر الشعراء على باب  
الحليفة الورع عمر بن عبد العزيز ؛ وكان كثير الصدوف عن الشعراء  
فلم يستقبل أحدا منهم سوى من عرف بالتقى ، والتدين ، فساء ذلك

---

(١) ثمانية جردا . ثمانية كاملة .

(٢) مسلهم الوجه - ضامره ، السرى - السير ليلا .

(٣) معنى البيت : كم قطعت نحوك من صحراء مظلمة يسمع فيها أصوات  
الجن لوحشتها ، وكم قطعت من بحر عريض كالليل يشكر الله من يعبره سالما .

ذا الرمة فنظم قصيدة شاكية نحس فيها اللوم والعتاب والاعتزاز  
بل يفخر فيها بنفسه فيقول :

أعاذل عوجى من لسانك عن عدلى  
فما كل من يهوى رشادى على شكلى (١)  
فما لائم يوما أخ ؛ وهو صادق  
أخائى ، ولا اعتلت على ضيفها ابلى (٢)  
إذا كان فيها الرسل لم تات دونه  
فصالى ولو كانت عجافا ، ولا أهلى (٣)  
ولو قمت مذ قام ابن ليلي لقد هوت  
ركابى بأفواه السماوة ، والرجل (٤)  
ولكن عدا - بى أن أكون أتيته  
عقائل أوصاف يشبهن بالخبل (٥)  
أتتنى كلاب الحى حتى عرفتنى  
ومدت نسوج العنكبوت على رحلى  
كما يصف نفسه بالنجدة ؛ واغاثة الملهوف فيقول :  
ومستنجد فرجت من حيث تلتقى  
تراقيه احدى المفظعات الكوارب

ورغم أنه مات شابا لم يتجاوز الأربعين من عمره الا أن المخاطر  
التي خاضها ، والتجارب التي مر بها خاصة تجربة الحب ، بجانب

- 
- (١) عوجى - اصرفى يا عاذلتى لسانك عن عدلى .  
(٢) ولا اعتلت - لم ينتفع بخيرها من لبن أو لحم .  
(٣) الرسل - اللبن ، فصال - جمع فصيل وهو ولد الناقة ، عجافا -  
ضعيفة هزيلة .  
(٤) ابن ليلي - لقب عمر بن عبد العزيز ، والسماوة والرجل - مكانان .  
(٥) عقائل أوصاف - بقايا مرض .



موهبتة الفطرية الخاصة - قد جعلت منه صاحب نظرات زفدة فى الحياة . . نلاحظها متناثرة خلال شعره من ذلك قوله :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة  
من الوجد، أو يشفى نجى البلابل (١)

قال أبو بكر بن عياش : كانت تصيبنى مصيبة ، فأصبر وأكظم فأسرع ذلك فى بدنى ؛ فمررت بكناسة الكوفة فرأيت أعرابيا ينشد « خليلي عوجا من صدور الرواحل » ، هذا البيت والبيت السابق ذكره فأصابتنى مصيبة . فبكيت فوجدته فى روعى ، فسألت عن الأعرابي ؛ فقيل هو ذو الرمة (٢) ومن نظراته التى هى وليدة تجربته الصادقة فى الحب قوله « والشوق يقتاد من ذى الحاجة البصرا ؛ وقوله : «وكم من محب رهبة العين - هاجر» ثم تلك الصفات الأخرى التى هى وليدة تلك التجربة : **كالاخلاص والوفاء** وكتمان السر :

فان تحدث الايام يامى بيننا  
فلا ناشر سرا . ولا متغير

هذا بجانب ما نتحدث عنه بتفصيل فى الفصل المعقود عن تجربة حبه . . من صفات لازمت هذا الحب . . وأخيرا نلاحظ أن **غلالة من الحزن والكآبة** تلف بعض قصائده ، وبخاصة مطالع هذه القصائد ، ومصدر هذا الحزن : توقعه الهلاك دائما فالماشى فى الصحراء كما عبر عن ذلك - كالماشى على حد السيف ، وكم تعرض هو وناقته للهلاك ، كما أن كل ما يراه يذكره بنهاية كل حى . . الأطلال المتهدمة ؛ الأحباب الذين تفرق بينهم الأيام ؛ يضاف الى ذلك طموحه الذى لا حد له ، طموحه فى أن يكون شاعرا كبيرا كالفرزدق وجريو . وقد سأل الفرزدق بعد أن أسمعته قصيدة من شعره أو بعبارة الأغاني :

(١) الوجد - الحب . البلابل - وساوس النفس .

(٢) شارح الديوان المطبوع عام ١٩١٩ .

وقف الفرزدق على ذى الرمة ؛ وهو ينشد قصيدته التى يقول فيها :

إذا ارفض أطراف السياط وهملت

جروم المطايا عذبتهن صيدح (١)

فقال كيف تسمع يا أبا فراس ، قال : أسمع حسنا ؛ قال :  
فمالى لا أعد فى الفحول من الشعراء ، قال يمنعك من ذلك ذكر  
الأبعار ؛ وبكاؤك الديار ؛ ثم طموحه فى أن يحصل على عطايا  
الأمراء والحكام ورغبته فى أن يعيش حياة رعدة خالية من منغصات  
الحرمان التى يشكو منها ؛ والتى قد تلجئه الى مثل أخيه هشام  
الذى يضمن عليه ويصرف وجهه عنه . لهذه الاسباب نسمع مثل  
هذه الأناث تتردد فى شعره :

متى يبلى الدهر الذى يرجع الفتى

على بدئه أو تشتعبنى شواعبه (٢)  
ويكرر هذه الأمنية مرة ثانية :

متى أبل أو ترفع بى النفس رفعة

على الراح إحدى الحارمات الشواعب (٣)

ويقول لناقته وهو يمينها الامانى :

تلاقى ان سبقت به المنايا

تلاد أغر ، متلاف ، مفيد (٤)

---

(١) ارفض - تفرق وتشتت من الضرب ، وهملت - صارت كالأهله من  
الهزال . جروم المطايا - أجسادها ، عذبتهن صيدح - أرغمتهن على الجرى ، والمعنى :  
إذا ما أسرع المطايا وهزلت من السير والضرب المتواصل - أتعبتهن صيدح  
( اسم ناقة الشاعر ) بقوتها ومواصلتها السير .

(٢) يبلى - يصيرنى باليا ، الشواعب - المنايا ، والمعنى : متى يبلى  
الزمن أو يختطفنى الموت لأستريح من عذاب الحب والهجران .

(٣) الحارمات الشواعب - الموت .

(٤) تلاد - مال قديم .

ويقول لها مرة ثانية وقد آلمها فراق ابل الدهناء مثل ما يؤلمه  
فراق أهله وأصحابه :

عشية حنت فى زمامى صباية  
الى ابل ترعى بلاد الجآذر (١)  
ستستبدلين العام ان عشت سالما  
الى ذاك من ألف المخاض البهائر (٢)  
قلوصين عوجاوين بلى عليهما  
هواء السرى ثم اقتراح الهواجر (٣)

وكيف ينينا بالعيش من حياته دائما على ظهر ناقة ضامرة  
تطوى به لهب الصحراء لا ينام الا غرارا بجوار ناقتة : « كتحليل  
الالى ، ثم قلصت ، به شيمة روعاء تقليص طائر » كل ما يحتمى  
به من الحر ثوبه وعمامته التى يبسطها على وجهه ؛ وحين يريد أن  
يروى ابله يربط وعاء بحبل ويدليه فى بئر عميقة ذات ماء آجن ،  
مطحلب ، عشنش فيها العنكبوت ؛ فيهدم للعنكبوت بيته ثم يصب  
الماء فى حوض للابل لتشرب ، فمنها ما يشرب قليلا ؛ ومنها ما  
لا يشرب أبدا ؛ أو ما يدوى وجهه بعيدا - ثم يستأنف رحيله وقرن  
الشمس لم يبد حاجبه ؛ وإذا وضع رفيقه جنبه على الحجارة  
استغرق فى النوم فكانه ينام على الحشابة « ذات الزخارف » هذا الى  
جانب عذاب الحب وآلامه ، بسبب أهلها الذين آلوا الا يزورها ؛  
وبسبب اطاعتها هى للوشاة .

- (١) الجآذر - البقر الوحشى .  
(٢) المخاض - الخوق الحوامل ، البهائر - الضخام السمان .  
(٣) قلوص - بعر أو ناقة . عوجاء - عجفاء ضامرة من السير . الهواجر -  
جعلها ضامرتين ، اقتراح الهواجر - السير فى الهجير وقت الظهيرة واستعداد  
الحر .  
والغنى : لقد حنت ناقتى الى رفاقها من ابل البادية حنت كحشر القمل  
الوحشى فوعدها بذننى حين التقى بك وتمنحنى المال - سأسرى لها ناقتين  
تسطن ضامرتين من السير لئلا ونهارا .

أطاعت بك الواشين حتى كأنما  
كلامك أياها عليك حرام

مع ما يدفعه اليه حنينه المتجدد من بحث عنها في تلك الصحراء  
الشاسعة حتى يهتدى الى منازل أهلها بعد أن رحلوا عن ديارهم :

فرب بلاد قد قطعت لوصلكم  
على ضامر منها السنام المحطما

هذه لا شك بعض الأسباب التي كست شعره تلك الغلالة من  
الحزن ؛ فمنحته مذاقا انسانيا خاصا تهتز له أوتار قلوبنا رغم بعد  
المسافة الزمنية بيننا ؛ وبين الشاعر :

ولقد كان رغم انتقاد عاطفته متزنا عاقلا لا يقدم على أمر يجر  
عليه المتاعب ، فلقد انتقده جبر بن ضباب « في قوله : ضبر رعى  
روض القذافين » فقال له : أسمنت فانبعث أى ليس هذا مما  
توصف به النجائب، لأن الرحلة تعجلها عن السمن ، فقليل له ألا  
تهجو بنى جبر فامتنع وقال : انهم رماة رواة أى يروون الشعر  
ويرمون الرجل بمعايبه .

مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## الفصل الثاني

### ثقافته

يشير ابن طباطبا في كتابه « عيار الشعر » الى ما يجب على الشاعر أن يأخذ به نفسه « من أدوات يجب اعدادها قبل مراسه، وتكلف نظمه ؛ منها : التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الاعراب ، والرواية لفنون الآداب ؛ والمعرفة بأيام العرب وأنسابهم ومناقبهم ، ومثالبهم . والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه ، في كل فن قالته العرب فيه ؛ وسلوك مناهجها ... »

ولقد تسلح ذو الرمة بهذه الأدوات ، وغيرها قبل أن يفوم برحلته القصيرة مع الشعر ولقد تكفل له بالتوسع في علم اللغة ؛ والبراعة في فهم الاعراب نشأته في رمال الدهناء بين قومه من بني عدى . نعم كان كثير التردد على كناسة الكوفة ، ومربد البصرة ؛ كما قام برحلات الى دمشق عاصمة الأمويين ، والى خراسان وأصبهان وغيرها لمدح الولاة والحكام ولكن ذلك جاء بعد أن اكتملت شاعريته ونضجت أدوات تعبيره ، فأصبحت زيارته للحضر عاملا من عوامل ترقية شعره ؛ وترويقه لا عاملا من عوامل الافساد أو ادخال اللحن

والخطأ فى شعره ، لذلك كان أئمة اللغة يعتمدون على شعره .  
ويستشبهون به ، حين قعدوا قواعد اللغة ، أو جمعوا مادتها  
من شفاة الأعراب ؛ وتجولوا بين القبائل البعيدة المتناثرة فى سبيل  
ذلك متحملين الأهوال والمتاعب ، وفى كتب اللغة والنحو العديد  
من أبيات شعره التى أوردتها العلماء للاستدلال على صحة كلمة  
أو بيان معنى أو للاسترشاد لمعرفة قاعدة أو اثباتها ؛ أو البرهنة  
على ما شذ عن هذه القاعدة ، والكتاب لسببويه وأساس البلاغة  
للمزمخشري ، والعين للخليل بن أحمد ، وكتب البلاغة والادب أكبر  
دليل على ذلك .

وقد قال حماد الراوية (١) : قدم علينا ذو الرمة فى الكوفة  
فلم نر أحسن ؛ ولا أفصح ، ولا أعلم بغريب منه . . وقال عنه  
الأصمعى : (٢) ذو الرمة حجة لأنه بدوى وليس يشبه شعره  
شعر العرب . الا واحدة تشبه شعر العرب وهى التى يقول  
فيها : والباب دون أبى غسان مسلود « لذلك كان أهل البادية  
الفصحاء يعجبون بشعره (٣) : عن صالح بن سليمان أن جويرا  
والفرزدق كانا يحسدان ذا الرمة ؛ وأهل البادية يعجبهم شعره  
« ولا يغض من ذلك ما قاله الأصمعى فى موقف الدفاع عن النفس  
من أن ذا الرمة قد أكل البقل والملوح فى حوانيت البقالين حتى  
بشم . . وذلك فى صدد الدفاع عن زعمه « بأن أقل ما تقول  
العرب الفصحاء « فلانة زوجة فلان ، وانما يقولون : « زوج فلان ،  
فقليل له ألم يقل ذو الرمة ؟ »

أذو زوجة بالمصر ، أم ذو خصومة

أراك لها بالبصرة العام ثاويا (٤)

فقال : العبارة التى أوردناها سابقا ، ثم إن الأصمعى لم  
ينف صحة استعمال زوجة وانما قال ذلك قليل . .

(١) الأغاني ج ١٦ .

(٢) الموشح للعرزياني .

(٣) الأغاني ج ١٦ .

(٤) ثاويا - مقبلا .

**أما المنبع الثاني** الذى أمدّه بثروة غزيرة من التعبير والتصوير فهو الاسلام والقرآن الكريم ؛ نرى صورة ذلك ؛ واضحة فى شعره . فحين يشتد به الوجد وتلهبه بسياطها لواعج الشوق يعلل نفسه قائلا : « ان الكريم وذا الاسلام يختلب » ، والصائد يرمى الفريسة فتخطئها السهام رغم شهرته بالرماية لأن « الأقدار غالبه » .

رمى فأخطأ ، والأقدار غالبه

فانصعن، والويل هجيره والحرب (١)

والثور يكر على كلاب الصيد ، كأنه يطلب الشهادة أو يحتسب من الله الأجر .

فكر يمشق طعنا فى جواشنها

كأنه الأجر فى الاقبال يحتسب (٢)

كما أوردنا له فيما سبق الأبيات التى يتحدث فيها عن قصره الصلاة ؛ والتيمم ؛ وهجائه لامرئ القيس لانصرافها عن الصلاة ومعاقرة الخمر وكثيرا ما يدعو لرفيقه بأن يجزل الله لهما الثواب اذا عاجا ناقتهما معه على ديار المحبوبة :

تكن عوجة يجزيكما الله عنده

به الأجر أو تقضى ذمامة صاحب

أو يقول لهما : وصاحبتما يوم الحساب محمدا

ويستمد بعض التعبيرات القرآنية كقوله :

---

(١) انصعن - اندفنن وهرين ، هجيراه - هذيانه وكلامه ، الويل والحرب -

الهلاك والضياع .

(٢) يمشق - يسرع فى طعنه ، جواشنها - صدورهما ، يحتسب - يطلب

الأجر من الله .



ترديت من ألوان نور كانه

ذراي ، وانهلث عليك الرواعد (١)

والاماء يمسحن الجمال مما علق بها من شوك مسح العوايد  
بأكفهن ركن البيت الحرام :

يمسحن عن أنطاكه حرك الملوي  
كما تمسح الركن الألف العوايد

ويحترس احتراسا دينيا في مدحه لبلال بن أبي بردة فيقول  
« يجرك بعد الله من تلف الدهر » ويصف سحر عيني محبوبته  
بأن البابليين هاروت وماروت قد نفسا السحر فيهما :

وعين كان البابليين لبسا  
بقلبك منها يوم معقلة سحرا (٢)

ولم أن لقمان الحكيم تعرضت  
لعينيه في سافرا كاد يبرق (٣)

وتعبيره بالباخم الوجد نفسه وقوله : ان الأمر المكروه قد  
ينطوي على الخير ، والأمر المحبوب قد يحتوى على الشر ، في  
قوله :

ألا أيهذا الباخم الوجد نفسه  
لشيء نحتة عن يديه المقادر (٤)

فكائن ترى من رشدة في كريمة  
ومن غية تلقى عليها الشراشر (٥)

- 
- (١) ذراي - بسط منقوشة ، الرواعد - السحب المظرة ذات الرعد .  
(٢) البابليين - هاروت وماروت ، وفي الأساطير العربية أنهما علما الناس  
فن السحر ببابل .  
(٣) يبرق - يبهت .  
(٤) الباخم - القاتل ، نحتة - أبعدته .  
(٥) الشراشر - المحبة .

انما هو صياغة موفقة للآية الكريمة : « عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ؛ وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » .

أما **المنبع الثالث** أو الرافد الثالث لثقافته ، فهو تلك الحصيله الواسعة من التراث الشعري فلقد كان راوية للرأعي النميري ، وحين كان يحتاجه أحد في شعره كثيرا ما كان يستشهد على صحة ما يقول بأبيات من شعر الرأعي كما حدث ذلك حين اعترض عليه أحدهم بقوله : « لقد جعلت لها ذفرى كذفرى الناقة ؛ فاستشهد بقول الرأعي « وذفرى أثيلة » وربما كانت روايته لشعر الرأعي هي التي هدته الى وصف الابل ، ثم توسع في ذلك فشمّل الوصف عنده الابل وغيرها ، وهذا ما عناه حين قال ان مثلي ومثل الرأعي كمثل شاب يتبع شيخا فسلك به شعبا ، ثم تركه الشاب وسلك شعابا كثيرة من بعده ، كما أنه ألم بدواوين الشعراء الآخرين منذ عصر امرئ القيس الى وقته ، وفي الديوان قصيدة يبدوها بقوله :

قف العيس في أطلال مية فاسأل

رسوما كاخلاق الرداء المسلسل (١)

تشبه أن تكون معارضة لمعلقة امرئ القيس المشهورة ؛ فبالإضافة الى الاتفاق بينهما في الوزن والقافية نجد عبارات برمتها ؛ من معلقة امرئ القيس في قصيدة ذى الرمة ، مثال ذلك تأثره بقول امرئ القيس :

خرجت بها امشى تجر وراءنا

على أثرينا ذيل مرط مرحل (٢)

فيقول :

كأن لم تحل الزرق مى ولم تطأ

بجرعاء حزوى ذيل مرط مرحل

---

(١) العيس - الابل البيض ، رسوما - بقايا الديار . اخلاق الرداء - الرداء القديم البالي ، المسلسل - المخطط .  
(٢) المرط - كساء من صوف أو حرير ، مرحل - عليه تصاوير الرحال .

ولامامه الواسع بالشعر العربي اتهمه ابن سلام  
بالأخذ من غيره فقال : وكان ذو الرمة كثير الأخذ من غيره ؛ ومما  
أخذه من غيره . ويذكر أمثله كثيرة لذلك ، من هذا قوله : « يطفو  
إذا ما تلقته الجراثيم (١) » أخذه من قول العجاج : إذا تلقته  
الجراثيم طفا ، وقوله : كأنها فضة قد مسها ذهب ، من قول امرئ  
القيس :

كبكر - مقانة البياض بصفرة  
غذاها نيمر الماء غير المحلل (٢)

ويزعم رؤبة كما يزعم العجاج أن ذا الرمة يصوغ معاني  
رجزهم شعرا (٣) قال رؤبة لبلال بن أبي بردة : علام تعطي ذا  
الرمة وهو يعمد الى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها ؟ فقال : والله  
لو لم أعطه الا على تأليفه لأعطيته ؛ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وإذا  
كنا لا نوافق هؤلاء الذين يتهمونه بالأخذ من غيره . ونعد الشابه  
من شعرد بأشعار غيره أثرا من آثار ثقافته فنحن لا ننكر علمه  
الواسع بالشعر واطلاعه على شعر معاصريه ، وتأثره بهم كما  
يتأثر كل انسان بما يقرأ . بل نحن نحمد له ذلك ؛ فالموهبة  
دون صقل واطلاع لا يمكن أن تصنع شاعرا خالدا كذي الرمة ؛  
وما أكثر الأفكار والاحساسات التي تتشابه لتشابه التجارب  
الانسانية والطبيعة البشرية ، وقد قال زهير .

ما أرانا نقول الا معادا

أو معارا من قولنا مكرورا

**والرافد الرابع** هو المامه الواسع - كما اشترط ابن طباطبا  
- بأيام العرب ووقائعهم يظهر ذلك بارزا في مدائحه ، وأهاجيه

(١) يطفو - يرتفع . الجراثيم - أصول الشجر . والمعنى : يرتفع بصدور  
حينما تقابله جذوع الأشجار لينال من ورقها .  
(٢) يصف امرؤ القيس لون محبوبته بأنه أبيض غارب الى الصفرة مكانه  
درة اختلط بياضها بصفرة ، وغذاها الماء العاصي الذي لم يحله . . انسان أو  
حيوان .

(٣) الأغاني ج ١٦ .

وفخرياته . فحين يمدح الملازم بن حريث وهو من بنى حنيقة  
يذكر بعض أيامهم وانتصاراتهم كأشرهم عمرو بن كلثوم وشده الى  
بغير الحارث بن ظالم العطفاني فيقول :

هم قرنوا بالبكر عمرا وأنزلوا  
بأسيا فهم يوم القروض ابن ظالم

وكذلك يفعل حين يفتخر بقبيلته :

أخذنا على الجفرين آل محرق  
ولاقي أبو قابوس منا ومنذر

وأبرهة اصطادت صدور رماحنا

جهارا وعشون العجاجة أكر (١)

تنحى له عمرو فشك ضلوعه  
بنافذة نجلاء والخيل تضبر (٢)

أبى فارس الحواء يوم هبالة  
اذ الخيل فى القتلى من القوم تعثر

كما يستتبع ذلك بالضرورة الامام بمثالب القبائل الاخرى  
التي يهجوها أو يهجو واحدا منها . والى جانب هذه المعرفة الواسعة  
بأيام العرب ووقائعهم . معرفته الشاملة لصفات وحوش وطيور  
وهوام البادية ، كما كان على علم بأنواع الرياح وأسمائها ومهابها  
والأنواء ؛ ومواقيتها ؛ والسحب وألوانها ، والمطر منها وغير  
المطر ، بل ان دارسا لعلم الحيوان كالجاحظ يستخلص من

(١) عشون العجاجة - أوائل الغبار ، عمرو . عمرو بن كلثوم .

(٢) تضبر - تثب ، المعنى : أننا انتصرنا فى الموقعة التي كانت قريبا من  
الجفرين وهما بشران للماء على جد النعمان كما لاقى أبو قابوس منا ومنذر ابنه الويل  
وقد انتصرنا على أبرهة أحد ملوك اليمن ، وكان جدى مسعدة وهو جده من قبل  
أمه فارس الحواء (اسم فرسه) الذي قاتل عليه آنذا .

شعره أوصاف وعادات حيوانات الصحراء ، وحشراتها من ذلك  
تعقيبها ١١١ على بيت ذى الرمة الذى يقول فيه :

تراه اذا هب الصبا درجت به  
غرايب من بيض هجائن دردق (٢)

ميفول : والصبا والجنوب تهبان فى أيام يبس البقل ، وهو  
الوقت الذى يثقب النعام فيه البيض . ويقول الجاحظ أيضا : وفى  
الظهيرة : الصوت الضعيف يصبح عاليا قال ذو الرمة :

إذا حثهن الركب فى مداهمة  
أحاديثها مثل اصطخاب الضرائر (٣)

وقال : اذا قال حاديننا لتشبيهه نبأه  
صه لم يكن الا ذوى المسامع (٤)

وقد أفضنا فى الفصل الذى عقدناه عن « وصف الطبيعة ،  
فى الحديث عن الصحراء والحيوانات التى وصفها ذو الرمة وصفا  
تسجيليا فيه كثير من التفصيل حتى ليكاد لا يدع عضوا  
من أعضاء الناقة خاصة ، الا وصفه . . لهذا قال عنه بعض النقاد  
القدامى انه أوصف الناس لفلاة ؛ وهاجرة ، وحرباء ، وضب ، وحية  
البح (٥) . . ولم يكن ذو الرمة يعتمد فقط على ملاحظته وخبرته بل قد  
يسأل بعض ذوى الخبرة فى حياة البادية ليستفيد منهم ؛ فلقد  
سأل يوما أعرابية عن الغيث فقالت : غشنا ما شئنا . فكان ذو الرمة  
يقول : قاتلها الله ما أفصحها . . ويعقب على ذلك المبرد قائلا .  
وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به ، واختياره له وقال :

(١) الحيوان للجاحظ .

(٢) غرايب - سود وهى أفراخ النعام ، هجائن - شديدة البياض ، دردق

- صفار .

(٣) الضرائر - الزوجات لزوج واحد والمعنى : للأصوات فى الصحراء الخلسة

صخب كصخب الضرائر .

(٤) صه - اسكت (اسم فعل أمر) .

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

« ولا زال منهلا بجرعائك القطر ، فقيل له هذا بالدعاء  
عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر اذا دام فيها فسدت ،  
والجيد قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهى (١)

والواقع أن ذا الرمة احتسب في صدر البيت اذ قال :  
«ألا يا أسلمي يا دار مي على البلى» فدعا لها بالسلامة ، وفي ذلك  
حماية لها من أن يفسدها دوام المطر .

وثقة ذي الرمة في معرفته بفنه ، وإثامه بموضوع وصفه ،  
واتقانه لأداة تعبيره جعلته يجادل حتى الأمراء الأدباء ويصوب لهم  
أخطاءهم كما فعل مع بلال بن أبي بردة حين أنشد أبيات حاتم  
الطائي : « لحا الله صعلوكا » الى أن قال :

يرى الخمس تعذيبا، وان يلق شبة

يبت قلبه من قنة الهم مبهجا

فقال ذو الرمة : يرى الخمس تعذيبا ؛ وإنما الخمس للابل  
وإنما هو خمص البطن فمحك بلال وكان يجب المجادلة ؛ وقال  
هكذا أنشدنيها رواة طيء ؛ فرد عليه ذو الرمة فمحك ( جادل )  
فدخل أبو عمرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تنشدهما ؛ وعرف  
أبو عمرو الذي به ؛ فقال : كلا الوجهين . . فقال : أتأخذون عن  
ذي الرمة ؟ قال : انه لفصيح وأنا لناخذ عنه بتمريض ، وخرجا  
من عنده ، فقال ذو الرمة لأبي عمرو بن العلاء : والله لولا أنى أعلمك  
حططت في حبله ؛ وقلت في هواه ؛ لهجوتك هجوا لا يقعد اليك  
معه اثنان .

والحق أن ذا الرمة كان يعرف رسوخ قدمه في الشعر وتمكنه

(١) الكامل للمبرد ج ١ .

والديمة - سحابة ، تهى - تظير .

من فنه ، لذلك كان يعتز بشعره ، ويفاخر به ، وبخاصة أنه  
يضيف الى الموهبة - الصنعة وحسن الاتقان بل كان كثير التهذيب  
لشعره حتى لقد شكوا منه اليه بعض رواة أشعاره : فقال له :  
« أفسدت على شعرك » . وذلك أن ذا الرمة كان اذا استضعف  
الحرف أبدل مكانه (١) ومن اعتزازه بشعره ؛ قوله لأحد  
مملوحيه :

سيأتيكم منى ثناء ومدحة

محبرة ، صعب ، غريض قريضها (٢)

سيبقى لكم الا تزال قصيدة

اذا اسحنفرت أخرى قضيب أروضها (٣)

رياضة مخلوج ؛ وكل قصيدة

وان صعبت ، سهل على عروضها (٤)

لذلك كان كثير التساؤل . . لم لا يعد في النحـول من  
الشعراء ؟ نعم لم لا يعد منهم . . وكل أدوات الفن لديه وافية  
مكتملة ؟ كما كان يتنافح عن شعره كل مصاول ، فلقد عجا  
« الحكم بن عوانة الكلبي » لأنه غاب شعره ، وقد هدد أبا عمرو  
ابن العلاء حين أيد بلال بن أبي بردة ولم يؤيده في رأيه . كما  
كان يدافع عن شعره بالحجة والرأى فيستدل بكلام السابقين  
على صحة ما قال ، ويرد على من قال له : لماذا لم تصف الناقة بمثل

(١) الموشح للمرزباني .

(٢) محبرة - نفيسة مكتوبة ، غريض - طرى جديد .

(٣) اسحنفرت - ذهبت ومضت ، قضيب - لم تذلل ولم تروض أي لم  
تكتمل وتهذب .

(٤) مخلوج - خير متعود على رياضة الشعر أو رياضة من به «مس» وجنون  
والشعراء كذلك .

والمعنى : ستاتيكم منى قصيدة محبرة رائعة جديدة في صياغتها ومعانيها  
فاذا ما فرغت من هذه بدأت في صياغة أخرى لم تكتمل ، واننى لقارء على صياغتها  
مهما صعب عروضها ووزنها .

ما وصفتها به الراعى، بأن الراعى وُصف ناقة ملك - أما أنا فوصفت ناقة سوقة ، كما ينكر أنه يعرف القراءة فحين يسأله عيسى بن عمرو أتقرأ ؟ يقول : «بيده على فيه» اكنتم على فانه عندنا عيب (١) . انه لا يريد لشعره أن يشاب بما ينال منه أو يضعف من شأنه ؛ لذلك كثيراً ما أصلح ما ظنه الناس خطأ رغم أن بديهته كانت أصدق فى التعبير بالبليغ الرائع من علمهم . فحين أنشد :

إذا غير النأى المحبين لم يكـد

رسيـس الهوى من حب مية يبرح (٢)

قال نه ابن شبرمة : أراه قد برح . فغيرها فى الحال بعد أن فكر تفكيراً مبرحاً شاداً ناقته بزمامها ؛ متراجعا بها الى الوراء ثم قال : لم أجد ؛ وقد أخطأ ابن شبرمة فان هذا كقوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكـد يراها » ومن قوله لعيسى بن عمرو : اكنتم على فانه عندنا عيب . . . يثبت لنا أن ذا الرمة كان على علم بالقراءة والكتابة ؛ ولقد عرف عنه معاصروه من النقاد ذلك رغم انكاره ، فلقد عابوا عليه تشبيهه عين الناقة بالميم « وقالوا لولا أنه يقرأ ما أمكنه ذلك ؛ وعن سلمة بن محارب : أن ذا الرمة كان يقرأ ويكتب ؛ ولقد قال لعيسى بن عمرو : اكتب شعري ، فالتساب أحب الى من الحفظ لأن الأعرابي ينسى الكمة . وقد سهر فى طلبها ليلته فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ينشدها الناس (٣) ولعل مما يعضد ذلك كثرة تصويره لآثار الديار بالكتاب المحو . . أو الوحي المنشور ، وإذا كان القدامى قد اعتبروا معرفته القراءة عيباً ؛ فنحن نعد ذلك فضيلة تضاف الى فضائله ومزاياه الكثيرة . .

(١) الأغاني جزء ١٦ .

(٢) درسيـس الهوى - بقية منه .

(٣) الحيوان ج ١ للجاحظ ص ٤١ ومجلة المجلة عدد ١٣ من مايو ١٩٦٦ بقلم

عادل سليمان (مقال) .



وأخيرا فان شاعرنا قد توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١١٧ هـ عن أربعين عاما وكان يقول عن نفسه أنا ابن نصف الهرم ، وقد اختلف في سبب وفاته ؛ ف قيل توفي وهو خارج الى هشام بن عبد الملك ودفن بحزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره كثيرا حتى قال له حلبس الأسدي : أنك تنعت الفلاة نعتا لا تكون منيتك الا بها فلما دنا من البصرة ، قال :

واني لعاليتها ، واني لحائف  
لما قال يوم الثعلبية حلبس

فلما توسط الفلاة نفرت به ناقته فسقط عنها فمات ، وعن رجل من بني تميم « أنه اشتكى النوبة زمنا فلما تماثل للشفاء واحتجنا الى زيارة بني مروان ؛ وركب ناقته فقمصت به وكانت قد أعفيت من الركوب فانفجرت النوبة التي كانت به . . فأرسل الى أهله ، فحضروا اليه ودفنوه بعد موته برأس حزوى ، وقيل بل نفرت به ناقته وهو عائد من قبل الخليفة ووردت ناقته أهله فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتا وعليه خلع الخليفة . لكن الأصمعي يروي عن أبي الوجيه أنه قال دخلت على ذي الرمة وهو يجود بنفسه فقلت له : كيف تجدك ؛ قال : أجدني والله أجد ما لا أجد أيام أزعم أنني أجد ما لم أجد حيث أقول :

كأنني غداة الزرق يامي مدنف  
يجود بنفس قد أحم حمامها (١)

قال : وكانت ميتته هذه بالجدرى وفي ذلك يقول : ألم ياتها  
اني تلبست بعدها مفوفة ؛ صواغها غير أخرقا ؛ ويقول محمد بن  
الحجاج الأسدي انه كان يزوره في مرضه الذي مات فيه ؛ وكان  
مقيما بالحجر . . .

---

(١) مدنف - مريض ، حم حمامها - قرب الموت .

الباب الثاني

---

الحب في شعر ذي الرمة



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## الفصل الأول

### ذو الرمة العاشق

فى السن التى يبلغ فيها الشاب قوته واكتماله ، تلك السن التى تتميز بالقلق واشتعال الرغبة وتوهجها وأعنى بها السن من العشرين الى الأربعين ؛ وفى رمال الدعناء الواسعة حيث الحر الشديد اللاهب والحياة الجافة ، وليس لدى شاب كذى الرمة من واحة يتفياً ظلالتها سوى واحة الحب : يتغنى به لتردد البيد أغنياته ، ويسامر به رفاقه ، ويستثير نشاط أصدقائه الذين يصحبونه فى الأسفار ، وقطع هذه الأعداء المتطاولة : ونشوان من طول النفاس كأنه

- (١) بحبلين من مشطونة يترجع
- أطرت الكرى عنه ، وقد مال رأسه
- (٢) كما مال رشاء الفضال المرائج
- إذا مات فوق الرجل احببت روحه
- (٣) بذكراك والعيس المراسيل جنح

(١) نشوان - سكران ، مشطونة - بشر معوجة ، يترجع - يتأرجع ويساميل .  
(٢) الكرى - النوم ، الفضال - الخمر .  
(٣) العيس المراسيل - الأبل اللينة السير ، جنح - مائلة من النشاط .

وليس معه من أحد سوى رفيق أشعث الشعر مغلوب على أمره من النعاس مرتخي العمامة ؛ ذهب بنشاطه السرور ، يناديه الشاعر فلا يسمعه الا كما يسمح ماتح الماء صدى صوت من يناديه من قاع البئر العميقة وقد ونى غرفه للماء من التعب حتى اذا سمع حديث الشاعر عن محبوبته مى ؛ وما نظمه فيها من شعر نشط ودبت الحياة فى عظامه .

وأشعث مغلوب على شدنية

- (١) يلوح بها تحجينها ، وصلبيها
- أخى شقة ، رخو العمامة ، منه
- (٢) بتطلاب حاجات الفؤاد طلبوها
- تجلى السرى من وجهه عن صفيحة
- (٣) على السير ؛ مشراق كريم شحوبها
- كانى أنادى ماتحا فوق رحلها
- (٤) ونى غرفه ، والدلوناء قليبها
- رجعت بمى روحه فى عظامه
- وكم قبله من دعوة لا يجيبها

فى هذه السن ؛ ووسط هذه الصحراوات الشاسعة المهلكة التقى ذو الرمة بمحبوبته التى استبدت بقلبه ، وسيطر هواها على كل جارحة من جوارح نفسه فصار بحق مضرب المثل فى الحب ، حتى قال الأصمعى فى صدد الحديث عنه « ما أعلم أحدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكوا حبا أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة ؛ ورصانه عقل . . » ويعقب صديقه عصمة بن مالك الفزارى على حديثه عن إحدى زياراته لمى وقد صحبه فيها بقوله : « فوالله ما رأيت أشد صباة ولا أحسن صبورا منه . . » (٥)

- 
- (١) شدنية - ناقة ، تحجينها وصلبيها - علامتان فى الناقة .
  - (٢) أخى شقة - سفر بعيد ، منه - ذهب نشاطه ، تطلاب - طلب الحاجات
  - (٣) تجلى - ظهر ، صفيحة الوجه - ظاهره ، مشراق - مشرقة جميلة .
  - (٤) الماتح - من ينزل فى قاع البئر ليملا الدلو منها .
  - (٥) تزيين الأسواق .

ويقول عنه صاحب « معاهد التنصيص » هو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ؛ بل إن داود الأنطاكي مؤلف تزيين الأشواق يترجم له مع من ترجم لهم من الشعراء المشيمين والعذريين من أمثال المرقش الأكبر وأبي صخر الهذلي وعروة بن حزام ؛ وجميل وكثير والعباس بن الأحنف وغيرهم ، وقد أشار أبو العلاء في « رسالة الغفران » الى ولعه بمي فقال : وما أشك أنه - أمتع الله الآداب ببقائه لو رزق محاورة أبي الاسود على عرجه ؛ وبخله المتناذر وجرحه - لكذنت مقتله له أبلغ من مكة مهدي ليلاه ؛ ولا أقول رؤية أبيلاه ؛ ولو أدرك محاضرة أبي الخطاب ( الأخفش الأكبر ) لكان بدوش عينيه أشد شغفا من الحادرة ( النابغة ) بسمية ومن غيلان بمية .. لأنه قال :

وعينان قال الله كونا فكانتا  
فعولين بالألأباب ما تفعل الخمر

لقد اكتوى بنار الحب فانصهرت نفسه ، ولانت طبيعته البدوية ، ورقت مشاعره واكتسب تلك الحساسية الزائدة ؛ وانتوتر النفسى الخلاق الذى شحذ حواسه وفتح فى نفسه ألف نافذة ونافذة تستقبل معطيات الحياة بنهم وتلهف ، فلم يعد يعبر من حوله صوت دون أن يلتقطه ، أو رائحة طيبة دون أن تسكر حواسه ، أو مشهد من مشاهد الصحراء المختلفة دون أن يترك طابعه فى نفسه .. مما أكسب شعره هذا الغنى الخصب فى الصور التى تدرك بمختلف الحواس ؛ وترك عليه هذه المسحة من الرقة واللين الحضري رغم بداوته ؛ ولعل ذلك هو ما أغرى عددا من المغنين بتلحين شعره وتأديته فى حضرة الخلفاء ، والأمراء ؛ فهذا اسحاق بن ابراهيم الموصلى يحدثنا عن أبيه بأنه قد صنع لنا فأعجبه فأخذ يبحث عن الشعر الذى يلائمه فلم يوفق وفى المنام رأى رجلا يقول له : أين أنت من قول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى .. يا درامى على البلى

ولا زال منهلا بجرعائك القطر (١)

(١) جرعائك - رمالك ، القطر - المطر .

فلما استيقظ دعا بمن ضرب عليه وغنى به غاذا هو « أوفق  
ما خلق الله » وتنبه منذ ذلك الوقت الى الغناء فى شعره ؛ وصنع  
فيه أناجا كثيرة ؛ ولعل ما أوحى به الى الموصلى فى حلمه هو  
علمه بحب الرشيد لشعره ؛ وحفظه له منذ صباه الباكر . . . . .  
لذلك كان يطرب كلما غناه بقصيدة من قصائده مما جعل الموصلى  
يطلب من الخليفة هارون الرشيد أن يقطعه شعر ذى الرمة ،  
ويحضر ذلك على سواه . فعمل مائة صوت فى هذا الشعر . وحصل  
على مئات الآلاف . . . كما جاء فى نص عبارته . .

والعلنا نعذر الرواة القدامى حين يضطربون فى نسبة بعض  
الأبيات له ؛ فلقد نسبوا له هذه الأبيات التى منها :

أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها  
اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

كما نسبوها الى مجنون بنى عامر ، وقد ضمنها « شوقى »  
مسرحيته عن « المجنون » والسبب فى ذلك هو هذه الحرارة  
والترويح العاطفى الذى نلاحظه فى شعره ، كما نلاحظه فى شعر  
الشعراء العذريين الذين حفظت الأجيال شعرهم كنموذج للشعر  
الموجدانى الخالد .

فاين التقى ذو الرمة بمحبوبته ؟ وما حديث حبهما ؟

لقد كان ذو الرمة تميميا من الرباب أحد بيوت بنى تميم  
مشهورة وهو يقول عن هذه البيوت مفتخرا أو أمدّه جرير بذلك  
كما يزعم بعض الرواة :

يعد الناسبون الى تميم  
بيوت العز أربعة كبارا  
يعدون الرباب لهم وعمرا  
وسعدا ثم حنظلة الخيارا

ويحدد لنا الجماعة الذين ينتسب اليهم فى نفس القصيدة  
وهم الرباب فيقول :

وانى حين تزخر لى ربابى  
عماعم امنع الثقليين جـارا (١)

كما كانت مية أيضا تميمية من بنى منقر :

تميمة ، نجدية ٠٠ دار اهلبا

إذا موء الصمان من سبيل القطر (٢)

وقد كانت منازل بنى تميم بارض نجد ؛ دائرة من هــاات  
على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين وانتشرت الى العذيب  
من أرض الكوفة ؛ ولهم بطون كثيرة « ولبنى تميم منازل  
كثيرة ٠٠ صلب ، رعبى ؛ معنى المشى ؛ الحيار ؛ الدعاء ؛  
الاحساء ، سحنان ؛ الرمادة ؛ وبرة ، الحيرة ، فرع الحفر ؛ شرف  
الأرطى ؛ الشعر ، والصمان « فى هذه المنازل أو فى بعضها  
التقى ذو الرمة بمية حيث كان قوماهما متجاورين بخاصة فى  
فصل الشتاء ؛ الفصل الذى يجمع بين القبائل قبل أن يشتتها  
الصيف اللاهب فيتفرقون باحثين عن « الأعداد » وأماكن الماء ؛  
وهو يؤكد ذلك فى شعره فيقول :

أما استحلبت عينيك إلا محلة

بجمهور حزوى أو بجموعاء مالك

لنا ولكم يامى ، أمسيت نعاجها

يماشين أمات الرثال الحواتك (٣)

ويقول: متى تظعننى يامى عن دار جيرة

لنا ، والهوى برح على من يغالبه (٤)

وقد كان قوماهما يتبادلان الزيارة شأن كل جوار ، حتى اذا

(١) تزخرلى - تجتمع لى ، عماعم - جماعات ، الثقليين - الانس والجن .

(٢) موء - كثر فيه المطر ، الصمان - الحجارة الصنية ، سبيل القطر -

ما انحدر من ماء المطر ، استحلبت - اسالت الدمع .

(٣) النعاج - البقر الوحشى ، الرثال - أفراخ النعام ، الحواتك - الخسرات

الخطو . والمعنى : قد رحل قومك وحلت محلهم الحيوانات الوحشية فاليعقر الوحشى

يماشى فيها أفراخ النعام .

(٤) برح - شديد وقوى .



عزم قوماهما على الرحيل انشغلوا عن الزيارة بالاستعداد والتأهب

أراح فريق جيرتك الجمالا  
كأنهم يريدون احتمالا (١)  
فبت كأننى رجل مريض  
أظن الحى قد عزموا الزيالا  
فأرغوا بالسواد ، فذرقن  
وقد قطعوا الزيارة والوصالا (٢)

لقد التقى بها فى مختلف هذه المنازل التى ذكرناها ، بل  
تتردد فى ديوانه منازل أخرى ربما لم يهتد إليها مؤلف كتاب  
« القبائل العربية » وأكثر هذه الأماكن ترددا فى شعره «الزرق»  
التى هى كشان رملية بالدهناء ؛ فقد ذكرها نحو ثمانى عشرة مرة ،  
ثم تليها حزوى « التى ترددت فى شعره اثنتى عشرة مرة ، ثم  
« وهبين » وحوضى « ومشرف » وجرعاء مالك وقد ترددت كل  
منها فى شعره نحو ثمانى مرات ، يلى ذلك « صنّب القرينة » ؛  
و « المعا » والقلات ، وشارع « واللوى » ؛ وقد ذكر كلا منها  
قريبا من خمس مرات ؛ كما ترددت فى شعره مرة أو مرتين هذه  
الأماكن : الخلاء ، الحرد ، منعرج الهدلول ؛ رابية الخوى ؛ الدحل  
الاشيم ؛ جوجلاجل ، ماء الوشيح ، النميط ، لوى لبن ، قسا  
فتاخ ، السببية ؛ النقا ؛ ذو الرمث ؛ برقة الثور ؛ أقواع الشماليل  
الوحيد ، معقلة ؛ الحفر ؛ نعف الأجرع ؛ الدهناء .

وقد يذكر كل مكان على حدة كقوله :  
بجانب الزرق لم تطمس معالمها  
دوارج المور ؛ والأمطار والحقب (٣)

- 
- (١) أراح فريق جيرتك الجمالا - أعادوها الى منازلهم استعدادا للرحيل .  
احتمالا - سفروا ورحيلا .  
(٢) أرغوا - رغت ابلهم وارتفعت اصواتها ، السواد - الليل ، ذرقن -  
أشرقت الشمس .  
(٣) المور - التراب ، الحقب - جمع حقة وهى ثمانون عاما تقريبا .

ديار مية اذ مى تساعفنا  
ولا يرى مثلها عجم . ولا عرب

وقوله :

عليكن يا أطلال مى بشارع  
على ما مضى من عهدكن سلام

وقوله :

لعمرك انى يوم جرعاء مشرف

لشوقى لمنقاد الجنيبة ، تابع (١)

وقد يجمع أكثر من موضع فى القصيدة الواحدة ، مشيراً  
الى أن كل منزل منها قد أثار شجونه وذكرياته ، أو لأن بعضها  
معالم فى الطريق الذى سلكته حمول « مية » وأهلها حين الرحيل  
فمن الأول قوله :

ما فى التلاقى أبداً من مطمع  
ولا ليالى شارع . . يرجع  
ولا ليالينا بنعف الأجرع

وكقوله :

عفا الزرق من أطلال مية والدحل  
فأجماد حوضى حيث زاحمها الحبل (٢)  
كانا وميا بعد أيا منا بها  
وأيام حزوى لم يكن بيننا وصل

وقوله :

ليه اذ مى معان تحله  
فتاخ فحزوى فى الخليط المجاور (٣)

---

(١) منقاد الجنيبة - الناقة . والمعنى : اننى اتبع قوم محبوبتى منقاداً الى

ما يدعونى اليه شوقى .

(٢) عفا - زال وامحى ، الحبل - رمال مستطيلة ، أجماد حوضى والدحل -

مكانان .

(٣) معان - وطن ، فتاخ فحزوى - مكانان .

وقوله :

عصيت الهوى يوم القلات واننى.

لداعى الهوى يوم النقا لطيع (١)

أراجعلة يامى أيامنى التى

بذى الرمث أم لا ؛ مالهين رجبوع

ومن النوع الثانى الذى يعدد فيه الأماكن لمروء آل مية عليها  
وهم مرتحلون .. هذه الأبيات :

نظرت بجرعاء السببية نظرة

ضحى ، وسواد العين فى الماء غامس (٢)

الى ظعن يقرضن أجواز مشرف

شمالا وعن ايمانهن الفوارس (٣)

أفن اللوى حتى اذا البروق ارتمى

به بارح راح من الصيف شامس (٤)

وأبصرن أن النقع صارت نطافه

فراشا وأن البقل زاو ويابس (٥)

تحملن من قاع القرينة بعدما

تصيفن حتى ما عن العد حابس

ويقول عن جمالها وقد سرن أشباها طوالع من «صلب القرينة  
مارات بمياه الوشيح وأكناف حوضى الرملية :

---

(١) القلات ، يوم النقا . ذو الرمث - أمكنة التقيا بها .

(٢) جرعاء السببية - مكان ، وأجواز مشرف والفوارس والنوى ، وقاع

القرينة - كلها أماكن فى صحراء الدهناء .

(٣) يقرضن أجواز مشرف - يملن عنها ، الظعن - الجمال عليها الهودج .

(٤) البروق نبت ضعيف ، بارح راح - رياح شديدة الهبوب .

(٥) النقع - المستنقع ، نطافه - مأوه ، فراشا - قليلا ضحلا . العد - مكان

يتجمع فيه الماء .

واذ هن اكساد بحوضي كأنما  
 زها الآل عيدان النخيل البواسق (١)  
 طوالع من صلب القرينة بعدما  
 جرى الآل أشباه الملاء اليقائق (٢)  
 وقد جعلت زرق الوشيح حداتها  
 يميننا وحوضي عن شمال المرافق  
 كما قد يجمع بين بعض الأماكن في القصيدة الواحدة لأنها  
 قريبة متجاورة تكون مكانا واحدا يتضح ذلك من الأبيات  
 الآتية :

ويوم بذى الأرطى الى بطن مشرف  
 بوعثائه حيث اسبطرت حبّالها (٣)  
 عرفت لها دارا فابصر صاحبى  
 صفيحة وجهى قد تغير حالها  
 أمن أجل دار صير البين أهلها  
 أيادى سبا بعدى وطال اختيالها  
 بوهبين تسنوها السوارى وتلتقى  
 بها الهوج شرقياتها وشمالها (٤)  
 ومثل :

الاحى بالزرق الرسوم الخواليا  
 وان لم تكن الا رميما بواليا  
 فما كدن لايايين جرعاء مالك  
 وبين النقا يعرفن الا تماريا (٥)

(١) اكساد - جماعات ، زها - رفع .

(٢) اليقائق - البيض .

(٣) اسبطرت - امتدت .

(٤) تسنوها - ترويهها .

(٥) تماريا - طنا وشكا .

كما تتعدد منازل آل مى لتعدد أماكن الإقامة ؛ فكلما عادوا  
من رحلة الصيف التى تتكرر كل عام ينزلون فى مكان غير الذى  
كانوا فيه من قبل ، وذو الرمة يصرح بذلك فى شعره :

تجيش الى النفس فى كل منزل  
لمى ، ويرتاع الفؤاد المشوق  
لقد كانت مى تقيم مع قومها فى تلك المنازل البعيدة عن  
الريف القريب من البحر ، فالبدوى يأنف أن يقيم فيه : فهى تقيم:  
بأجرع مقفار بعيد من القرى  
فلاة ، وحفت بالفلاة جوانبه

بعيدا عن البحر وملوحته :

بأرض هجان الترب ؛ وسمية الثرى

عذاة ؛ نات عنها الملوحة والبحر (١)

وهناك فى فصل الشتاء تنسج الطبيعة للأرض زداء أخضر  
فمياه المطر تهطل بغزارة وتتجمع فى الحفر والفجوات الصخرية،  
كما تمتلئ الأحواض المعدة لاستقبال ذلك ، وينبت حولها وعلى  
جوانبها ، ربما لمسافات واسعة . البقل وشجر الرمث الذى  
تسمن عليه الابل وقطعان الماشية كما يورق شجر الأرتى ؛ والسدر  
والبروق وشجر الفرقد والقلقلان وغيره من أشجار البادية ،  
وتساقط الأوراق الخضراء على تلك الفجوات المائية والأحواض  
وتسبح على وجهها :

تحل اللوى أوجدة الرمل كلما

جرى الرمث فى ماء القرينة والسدر (٢)

فهى :

بأدعاص حوضى ثم موضع أهلهم

جراميز يطفو فوقها ورق السدر (٣)

---

(١) هجان - كريمة التربة ، وسمية الثرى - أصابها المطر أول فصل

الربيع ، عذاة - طيبة لم تسق إلا بماء السحاب .

(٢) الرمث - نبات حمضى ، والسدر - شجر النبق .

(٣) ادعاص - رمال مجتمعة ، جراميز - حياض الماء .

وتهب النسيمات الرخية حاملة معها أنفاس الأزهار العطرة  
التي تملأ الجو أريجاً :

تطيب بها الأرواح حتى كأنما  
يخوض الدجى فى برد أنفاسها العطر  
ويمتد أول النهار وآخره ؛ فيحلو للفتيات الشابات الخروج  
فى هذين الوقتين ، يخرجن حيناً فى الضحى يتخطرن كسرب من  
الظاء :

الا أيها الربع الذى غير البلى  
كأنك لم يعهد بك الحى عاهد

ولم تمش مشى الأدم فى رونق الضحى  
بجرعائك البيض الحسان الخرائد (١)

ويخرجن أحيانا أخرى فى العشى وقد لبسن الحلى فى السوق  
والأذرع يمشين بخطا قصار كدبيب القطا يداعبن الشباب بكلمات  
حلوۃ حلاوة عسل النحل الممزوج بالماء البارد لا تلبث أن تتغلغل الى  
القلوب المتعطشة مطمعة اياها بالأمل الحلو ، حتى اذا أنسوا  
اليهن وأملوا الوعد منهن خيبن ظنهم وهدمن الأمل الذى بنوه  
والحلم الذى نسجته كلماتهن المطعمة المؤيسة :

وبيضاً تهادى بالعشى كأنما  
غمام الشربا الرائح المتهلل (٢)

خدالا قذفن السور منهن والبرى  
على ناعم البردى بل هن أخدل (٣)

قصار الخطا يمشين هـوناً كأنه  
دبيب القطا بل هن فى الوعث أوجل (٤)

---

(١) الأدم - الظباء البيض .

(٢) الشربا - نجم معروف ، المتهلل - المطر .

(٣) خدالا - ممثلات الأعضاء من اللحم ، السور - الأساور ، البرى - حلقات

ذهبية تزين بها النساء أيديهن وسواعدهن ، البردى - نبات ناعم الورق معروف .

(٤) وهنا - على مهل ، الوعث - الرمل ، القطا - نوع من الحمام مشهور بقدرته

على الاهتداء ، أوجل - أخوف .

نواعيم ، رخصات كأن حديثها  
 جنى النحل في ماء الصفا متشمل (١)  
 رفاق الحواشي متفذات صدورها  
 وأعجازها عما به اللهو ٠٠ خذل (٢)  
 أولئك لا يوفين شيئا وعدنه  
 وعنهن لا يصحو الغوى المعذل (٣)  
 وقد تومض احداهن بانساستها وميض البرق الى من يبادلها  
 الحب أو الإعجاب :  
 يرين أبا الشوق ابنساما كأنه  
 سنا البرق في عرف له جاد ماطره (٤)  
 فيثرون لواعج نفسه ؛ ويصبه بما يشبه الدوار ٠٠٠  
 اذا ما الفتى يوما رآهن لم يزل  
 من الوجند كالمأشى بداء يخامرهم  
 كما يمشين جماعات ؛ جماعات كقطيع من البقر الوحشى : كل  
 جماعة تضم الفتيات المتقاربات فى السن .  
 وسرب كأمثال المها قد رأيتنه  
 بوهبين ، حور الطرف ؛ بيض محاجره  
 خدال الشوى ، نصفان ، نصف عوانس  
 ونصف عليهن الشفوف معاصره (٥)

- 
- (١) رخصات - طريات ، الصفا - الحجارة الملساء ، متشمل - عبت  
 عليه ريع شمالية .  
 (٢) الحواشي - الحديث ، متفذات صدورها - نافذات فى الصدور .  
 (٣) المعذل - الذى يلومه الناس على تصرفاته .  
 (٤) عرف له - أوله .  
 (٥) الشوى - الأطراف الأذرع والسيقان ، عوانس - لفن الحلب وله  
 دواجن - معاصره - الفتاة ادركت ، الشفوف - الشبان الرقيقة أو الخمر الرقيقة .

وكما تخرج الفتيات جماعات جماعات ، يخرج الفتيان كذلك  
يلتمسون اللهو والمرح والمغازلة .

ليالى أبدى فى الديار ؛ ولم ألح

مراحي ؛ لم أزجر عن الجهل زاجره (١)

أطاع من يدعو الى ريق الصبا

وأترك من يقلى الصبا لا أوامره (٢)

فى تلك الأنحاء تقضى القبيلة من القبائل فصل الشتاء  
كله وأوائل فصل الصيف . حتى اذا اشتد الحر فذوت الأعواد  
الخضراء ؛ ونفضت الريح شجر البهمى ودرت عش كخيول شسق  
تنفض نواصيها ؛ وارتحل نجم الثريا ايذانا بقدوم الصيف :

أقامت بها حتى ذوى العود فى الثرى

وساق الثريا فى ملاءته الفجر

وحتى اعترى البهمى من الصيف نافض

كما نفضت خيل نواصيها شقر (٣)

واكتست جداول الماء الى الرياض بما أسفته الريح من شوك  
وورق يابس ، وسرت الديدان المسماة بالأساريع فى بقعه الجاف ،  
وصرت الجنادب بين تلك الأعشاب اليابسة :

يعرجن بالصمان حتى تعذرت

عليهن أرباع اللوى ومشاربه (٤)

وحتى راين القنع من فاقىء السفا

قد انتسجت قريانه ومذانبه (٥)

---

(١) ليالى أبدى مراحي - أظهر مرعى ، ولم ألح - لم يتغير وجهى من الأسفار  
والتعرض للريح والشمس ، الجهل - اللهو والغواية .

(٢) يقلى - يهجر ، الصبا - دواعى الصبا من لهو وعبث ، لا أوامره -  
لا أصادقه وأصاحبه .

(٣) البهمى - نبات صحراوى .

(٤) أرباع اللوى - جمع ربع وهو المكان .

(٥) القنع - مجرى ماء ، قريان ومذانب - مجارى المياه الى الرياض ، فاقىء

السفا - الشوك والورق الذى سفته الريح .



وحتى سرت بعد الكرى فى لويه  
أساريع معروف ، وصرت جنادبه (١)  
لقد لعبت الرياح الحواصد ببقايا نبات القلقلان ، وأخرجت  
كل ما فيه من ثمر ؛ كما فقس بيض طيور المكاكى المرقشة فطارت  
فراخه ؛ وتقص طرفا النهار الغداة والعشى :

وجال السفا جول الحباب ؛ وقلصت  
مع النجم عن أنف المصيف الأبارد (٢)  
وهاحت ببقايا القلقلان ، وعطلت  
حواليه هوج الرياح الحواصد (٣)  
ولم يبق فى منقاص رقص توائم  
من الزغب أولاد المكاكى واحد (٤)

لقد جف كل شئ ، النبات بمختلف أنواعه :  
فودعن أقواع الشماليل بعدما  
ذوى بقلها أحرارها وذكورها (٥)  
ولم يبق بالخلصاء مما عنت به  
من الرطب الا ييسها وهجيرها (٦)  
كما جف الماء فى كل مكان ولم يبق منه الا الضحل الذى  
لا يروى ظمأ ولا يطفىء غلة :

- 
- (١) لويه - بقله البابس ، معروف - موضع ، صرت - صوتت .  
(٢) الحباب - فقايع الشراب ، وقلصت - نقص وارتفع ، أنف المصيف -  
لويه ، الأبارد - الغداة والعشى .  
(٣) القلقلان - نبت له ثمر ، عطلت حواليه - أخرجت ما فيه من ثمر .  
(٤) منقاص رقص - المكان الذى يفقس فيه بيض طير المكاكى ، الزغب -  
الفراخ الصغيرة التى لم ينبت فيها الريش .  
(٥) أقواع - جمع قاع ، الشماليل - موضع ، أحرارها وذكورها - الأحرار  
من حلا بوى ، والذكور ماخشن منه .  
(٦) الخالصاء - موضع ، عنت به - اعنتت به فنبت نباتا حسنا .

ألفن الهوى حتى اذا البروق ارتمى  
به بارح راح من الصيف شامس (١)  
وأبصرن أن النقع صارت نطافه  
فراشا وأن البقل ذاو ويابس  
بل اصفر لونه ، وتغير طعمه ؛ واجترأت القطا على أن تخوض  
فيه :

وخاض القطا فى مكرع القوم باللوى  
نطافا بقاياهن مطروقة صفر (٢)  
لقد اشتد الحر وقست الحياة على كل شىء حتى الابل المعروفة  
بالصبر ضاقت به بعد أن لذعها سفا الشوك المتطاير الى النقر  
التي فى رءوسها حيث يأوى القراد :

رمى أمهات القرد لذع من السفا  
وأحصد من قريانه الزهر النضر (٣)  
كما تساقط الوبر عن صغار الابل ؛ وترقرق السراب على وجه  
الرمال :

وطار عن العجم العفاء ؛ وأوجفت  
بريعان رقراق السراب الظواهر (٤)  
فحنت الابل الى الارتحال ؛ وهاجت لأعداد المياه الأباغر كما  
عزم آل مى على مغادرة هذه الديار :

---

(١) سبق شرح البيتين .

(٢) مكرع - مكان شرب الناس والدواب ، نطافا - قليلة ، مطروقة - طرقتها  
الناس وشربوا منها كثيرا .

(٣) أمهات القرد - نقرة فى رأس البعير يأوى اليها القراد ، أحصد - نضج  
وحل حصاده .

(٤) العجم - صغار الابل ، العفاء - الوبر ، أوجفت - اضطربت ، ريعان -  
أول ، الظواهر - المرتفع الظاهر من الأرض .

فلما راين القنع أسفى وأخلفت  
من العقربيات الهيج الأواخر (١)  
جذبى الهوى من سقط حوضى بسدفة  
على أمر طعان دعتله المحاضر (٢)

لقد أصبحوا ولا معدى لهم عن الارتحال :  
تحملن من قاع القرينة بعدما  
تصيفن حتى ما عن العد حابس (٣)

وإذا كنا لم نستطيع أن نحدد فيما سلف مكانا بعينه يقيم  
فيه آل عمة فى الشتاء ، بل رأينا أكثر من مكان لهم ، ذلك لاتساع  
هذه الصحراء المسماة برمال الدهناء التى ينزلون فيها ، عنهم  
فى كل عودة ينزلون فى مكان مغاير ربما لأن مكانهم الأول قد  
سُغل أو لأن الأماكن لا يفضل أحدها الآخر فى هذه الصحراء .

فكذلك لا نستطيع أن نجزم بالمكان الذى يرحلون اليه فى  
الصيف ، بل ربما الشاعر نفسه لا يقطع بذلك فهو يذكر لنا أن  
سفرهم بعيد ، يجعل وصل من يواصلهم يتراخى وبفتور :

تحملن من حزوى فعارضن نية  
شطونا تراخى الوصل ممن يواصله (٤)

---

(١) القنع - مجرى فيه ماء ، أسفى - طار منه السفى (الشوك والنورق)  
وأخلفت من العقربيات الهيج الأواخر - جاءت الرياح الحارة المتأخرة التى تحيى  
بنوء العقرب خلف النبات فأبسته .

(٢) سقط حوضى - مكان ، سدفة - طنمة ، طعان - من يدعوهم إلى السفر  
والرحيل ، المحاضر - أماكن المياه .

(٣) سبق شرحه .

(٤) حزوى - مكان ، نية - نوى ، عوجاء - مائلة عن القصد ، تراخى - تباعد  
والمنعنى : رحن من حزوى قاصدين نية أو مقصدا بعيدا لايتهدى اليه ولا يصله  
من يريده الا بمشقة .

ويقول :

ديار لمى أصبح اليوم أهلها  
على طية زوراء شتى شعوبها (١)

ولعل من أسباب ما يدور بينهم من لغط وحوار : وهم  
عازمون على السفر - اختلافهم حول المكان الذى ينزلون فيه :

عشية جاءوا بالجمال وبينهم  
مخالجة لم يبرموها كما هيا (٢)

ان كل ما يشغلهم هو اختيار « الماء » الذى لم تكن قد سبقت  
اليه قبيلة أخرى فشغلته ؛ وليس من الضرورى أن يكون مكانا  
بعينه أو ماء بعينه :

تحملن من قاع القرينة بعدما  
تصيفن حتى ما عن العـد حابس  
الى منهل ، لم تنتجعه بعكة  
جنوب ولم يغرس به النخل غارس (٣)

وعالبا ما يكون هذا الماء بعيدا عن الريف الذى يضيق به  
العربى الخالص ، كما يكون واقعا بين أرض مرتفعة تحميـه من  
الجفاف والتبخـر ؛ وتحتفظ له ببرودته وكثرتـه :

تيمم ناوى آل خـرقاء منهلا  
له كوكب فى صرة القيظ بارد (٤)

---

(١) طية - القصد الذى يريده ، زوراء - معوجة تخالف ارادته ، شتى  
شعوبها - شعوبها واتجاهاتها مختلفة أى سار أهل مى الى جهة غير معروفة لأن  
آراءهم حول المكان الذى يقصدونه كثيرة مختلفة .

(٢) مخالجة - خلاف حول السفر .

(٣) لم تنتجعه - لم تقصده وتذهب اليه ، عكة - شدة الحر ، جنوب -  
ريـح حارة تهب من الجنوب ، لم يغرس به النخل غارس - بعيد عن القرى .

(٤) تيمم - قصد ، كوكب - معظم ، قيظ - شدة الحر .

لقى بين أجساد وجرعاء نازعت  
حبالا بهن الجازنات الأوابد (١)

ليمكنهم أن يستقوا منه ، ويسقوا قطعانهم :

حتى وردن عذاب الماء ذا برق  
عدا يواعدنه الأصرام والعكرا (٢)

لكن الشاعر قد أفصح في بعض قصائده عن بعض تلك الأماكن  
فهو قد ذكر لنا مرة ماء « الوشيح » على أنه الماء الذي يقصده آل  
( مية ) فقال :

فأصبحن يمهدن الخدور بسدفة  
وقلن الوشيح الماء والمنصف

كما يذكر لنا أيضا أنها تصيف في الحفر وإن كان لم يحدد  
هل هي « حفر سعد » أم « حفر الرباب » وبينهما مسيرة شهر  
كما يقول شارح الديوان : -

غراء آنسة تبعد بمعلقة  
إلى سويقة حتى تحضر الحفرا (٣)

فأين ومتى التقى بها ؟ من المؤكد أن التقاءه بها كان يكثر  
في الشتاء حين يعود كل حي إلى المكان الذي ارتحل عنه أو إلى مكان  
قريب منه ؛ فتعود الألفة واللقاء إلى سالف عهدها :

ومى كل عام رائع القلب روعة  
تشائي النوى بعد ائتلاف الجمائل (٤)

---

(١) لقي - ملقى أى المنهل ، أجساد - أرض غليظة ، وجرعاء - أرض لينة  
رملية ، نازعت - جاذبت ، الجازنات - الحيوانات المتوحشة المجترلة بالرمعى ، حبالا  
- رمالا مستطيلة .

(٢) ذا برق - حجارة ورمل ، العد - منهل لا ينقطع مأواه ، الأصرام - القطيع  
من الناس ، والعكرا - القطيع من الإبل ما بين العشرين إلى الأربعين .

(٣) غراء - بيضاء ، معلقة وسويقة والحفر - أماكن في صحراء الدعناء .

(٤) تشائي - تفرق البعد والسفر ، الجمائل - الجمال .

إذا الصيف أجلى عن تشائى من النوى  
أملنا اجتماع الحى فى عام قابل (١)  
وقد رأينا تلك المنازل التى ينزلونها فى الشتاء تتكرر بكثرة  
فى شعره « كالزرق » التى تكررت نحو ثمانى عشرة مرة . ولكن ذلك  
لا يمنعه من أن يزورها فى مغناها الصيفى حين يشتد به الشوق  
ويؤرقه الحنين ؛ فيقطع اليها المفاوز ؛ التى تكنفها الظلمات ولا يتردد  
فيها سوى صوت اليوم :

لك الخير ؛ كم كلفت عينى عبرة  
إذا انحدرت عادت سريعا جمومها (٢)  
وكلفتنى من سير ظلماء والدجى  
يصيح الصدى فيها ؛ ويصبح بومها (٣)

ويقول :  
فرب بلاد قد قطعت لوصولكم  
على ضامر منها السنام المحطما  
متجاهلا حرص أهلها على أن يظل بعيدا عنها ، وعن ديارها ،  
خاصة وأنها زوجة لغيره :

خلى أدى الله خيرا اليكما  
إذا قسمت بين العباد أجورها  
بمى إذا أدلجتما اطرذا الكرى  
وان كان آلى أهلها لا أطورها (٤)

وإذا كنا لا نستطيع أن نقطع بأول لقاء لهما ؟ متى كان ؛  
ولا فى أى مكان قد حدث ؟ فإن ذلك لا يمنعا من أن نستنتج ،  
ونرجح كما هو الشأن فى استخلاص الحقائق الأدبية ، والرواة الذين  
حدثونا عن أول لقاء لهما لم يحددوا شيئا من ذلك ؛ كل ما ذكره

---

(١) أجلى - انكشف وذهب والمعنى إذا ما الصيف انجلى وذهب بما فيه  
من تفرق ، أملنا الالتقاء فى العام القادم .

(٢) جمومها - دمعها الكثير .

(٣) يصبح بومها - يصوت ويصيح .

(٤) الادلاج - السير ليل ، لا أطورها - لا أدنو منها .

جاء عامما كما فى رواية عمارة بن نقيف الذى قال : حدثنى  
 ذو الرمة : أن أول ما قاد المودة بينه وبين عمة أنه خرج هو وأخوه  
 وابن عمه فى بغاء ابل لهم فقال بينا نحن نسير اذ أجهدنا العطش  
 فعدلنا الى حواء عظيم فقال لى أخى وابن عمى آيت الحواء فاستسقى  
 لنا فأتيته وبين يديه فى رواقه عجوز جالسة ، قال فاستسقيت  
 فالتفتت وراءها فقالت : يا مى اسقى الغلام ، فدخلت عليها فاذا هى  
 تسبح علة لها وهى تقول :

يا من رأى برقاً يمر حيناً

زمزم رعداً ؛ وانتحى يميناً (١)

كان فى حافاتِه حينئذ

أو صوت خيل ضمير يردينا (٢)

قال ثم قامت تصب فى شكوتى ماء وعليها شوذب لبنا ، فلما  
 انحطت على القربة رأيت مولى لم أر أحسن منه ؛ قال فليبرت بالنظر  
 إليها ؛ وأقبلت تصب الماء فى شكوتى والماء يذهب يميناً وشمالاً ،  
 قال فأقبلت على العجوز وقالت : يا بنى : أتهتك مى عما بعثك أمهلك  
 له ، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً ، قال فأقبلت على العجوز فقلت  
 اما والله ليطولن هيامى بها ، قال : وملاى شكوتى : وأتيت أخى  
 وابن عمى ، ولففت رأسى فانتبذت ناحية ؛ وقد كانت مى قالت : لقد  
 كلفك أمهلك السفر على ما أرى من صغرك ؛ وحداثة سنك فانشأت  
 أقول :

قد سخرت أخت بنى لبيد

منى ومن سلم ومن وليد (٣)

رأت غلامى سفر بعيد

مثل ادراع اليلق الجديد (٤)

(١) زمزم - صوت .

(٢) حينئذ - صوت الابل ورغاؤها ، ضمير - ضامرة ، يردينا - نعود .

(٣) يظهر أن صاحب الأغاني روى الأبيات من محفوظه الخاص فجاءت على غير

المرسوم عليه فى الديوان .

(٤) اليلق - قباء وهو نوع من الكساء .

قال وهى أول قصيدة قتلها ثم أتممتها : هل تعرف المنزل  
بالوحيد ..

ثم مكثت أهيم بها عشرين سنة .. « هذه الرواية تعطينا الدليل  
على أن ذا الرمة قد التقى بها أول ما التقى لهذا الداعى أو لداع  
مشابه له من دواعى الصحراء ، فمن غير المعقول أن يشبب شاعر  
بفتاة دون أن يراها ، ودون أن تستأثر بنفسه بسبب أو أكثر  
من أسباب الإعجاب ، بل أن مجرد رؤية عابرة لفتاة أيا كانت هذه  
الفتاة لا يمكن أن تترك هذا الأثر العميق الذى جعله يتغنى بجمالها  
ويعبر عن وقع هذا الجمال فى نفسه ؛ ويفرض اسمها على  
التاريخ ، لذلك فنحن نرفض ما قاله ابن قتيبة من أن مية مكثت  
زمانا تسمع شعر ذى الرمة ، ولا تراه ؛ فلما رأته وكان أسود  
دميما ؛ قالت : واسوأناه !! وابؤسناه !! واضيعة بدنتاه التى  
نذرت ذبحها ان لقيتها ، فقال ذو الرمة :

على وجه مى مسحة من ملاحية

وتحت الثياب الخزى لو كان باديا  
« فكشفت ثوبها وقالت : أشينا ترى ؟ لا أم لك . فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه

وان كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له أتحب أن تذوق طعمه ؛ قال اى والله ؛ فقالت له :  
تذوق الموت قبل أن تذوقه (١) .

هذه القصة التى رواها ابن قتيبة من القصص الكشير الذى  
يصنعه الرواة والمحدثون ليكون سببا أو مقدمة لما يروونه من شعر ؛  
فحين قرءوا هذه الأبيات التى قيل ان ذا الرمة يهجو بها حبيبته  
ميا ، وينال منها أبى عليهم خيالهم أن يتركوها دون أن يقدموا  
لها بحادثة تجتذب الجمهور ؛ هذه القصة التى تجعل ذا الرمة  
يشبب سنوات وسنوات من عمره بفتاة دون أن تراه أو تحادثه ؛  
وان كانت تسمع أشعاره تتردد على شفاة الناس - قصة مختلفة  
من أساسها لأسباب كثيرة ، أولها أن ذا الرمة نفسه أنكر أنه قائل



هذه الأبيات : وكان يرد على من يزعم ذلك بقوله : كيف أقول هذا  
وقد قطعت دهرى وأفنيت شبابى أشيب بها وأمدحها ثم أقول  
هذا !! « وامتعض لهذا وحلف بجهد إيمانه ما قالها (١) » .

بل عرف ذو الرمة فيما بعد من لفق عليه هذه الأبيات : فلقد  
كانت أمة لآل قيس بن عاصم اسمها كنزة كما فى ابن سلام (٢)  
« أو هى ابنة عم ميه أو « كثيرة » أم سهم بن بردة - كما  
فى رواية الأغاني (٣) قائلة هذا الشعر لتسوى ما بين ذى الرمة  
ومى من علائق الحب والمودة ، فتباعد بينهما اما بسبب الغيرة  
أو بايعاز من زوج مى لتخلص له زوجته ، أو بايعاز من قومها  
والقصة تحمل معها عوامل هدمها ونقضها ، ذلك أنه من غير المعقول  
أن يناقض الشاعر نفسه : فيرميها فى عفافها الذى طالما تغنى  
به أليس هو القائل :

ليست بفاحشة فى بيت جارتها

ولا تعاب ، ولا ترمى بها الريب

وعو الذى ينفى أنه حدثها أو بدا وجهها له : أو نضها  
الدرع عنها داعيا على نفسه بأن يكون هدفا لكل مكروه ان كان قد  
زعم ذلك :

إذا فرماني الدهر من حيث لا أرى

ولا زال فى أرضى عدو أحاربه

إذا نازعتك القول مية أو بدا

لك الوجه منها أو نضا الدرع سلبه

بل ينفى أن تكون الشياب مصدر حسنها وجمالها فيقول :

زين الشياب وإن أثوابها استلبت

على الحشية يوما زانها السلب

ومن كانت صفتها ما جاء على لسان الشاعر من عفاف وخلق

(١) الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء .

(٣) الأغاني ج ١٦ .

لا يتصور أن تصنع شيئاً مما ورد في « وفيات الأعيان » من بداءة  
في الحوار ، وتدن في التصرف فتكشف ثوبها . وتسأله هل  
يحب أن يذوق طعمه « اذن فالقصة منتحلة ، والأبيات لم تصدر  
عن ذى الرمة الذى أفنى حياته فى التغنى بجمال محبوبته ، ومن  
هذا ندرك أن ذا الرمة لم يكن فى حبه شيئاً شاذاً غير ما جرت  
عليه قوانين الحياة من أن انساناً يرى انساناً فيعجب بمظهره ثم  
يقترّب منه أكثر فتتكشف له نواحي الجمال النفسى والروحى الأخرى  
فيزداد به التصاقاً ، وتكرر الالتقاءات وتتشابك الذكريات ،  
وتنسج خيوطها الذهبية حول العاشقين ، فيتمكن الحب ، وتزيد  
فى تأريثه والها به تلك العقبات المختلفة التى يصطدمان بها فيتمنيان  
الفرار والاعتزال بعيداً عن الناس . بل قد يتمنيان ما تمناه « كثير »  
لنفسه ، ولحبيبته من أن يكونا جملين أجريين تبتعد عنهما  
الجمال الصحيحة خشية العلوى ؛ فيتركان بمنأى يرعيان معا ..  
ويرتعان معا :

فياليتنا يا عز من غير ريبة

بعيران ، نرعى فى خلاء ونعزب (١)

كلانا به عر ، فمن يرنا يقل

على حسنهما جرباء تعدى وأجرب (٢)

أو يتمنيان أن يكونا على رمث تضطرب به الأمواج الهادرة ،  
بعيدا ؛ بعيداً عن الشاطئ حتى اذا دنا منهما أحد ابتلعتهم الأمواج .  
كما تمنى ذلك أبو صخر الهذلى فقال :

تمنيت من حبى عليه أننا

على رمث فى البحر ليس له وفر

فنقضى هم النفس فى غير ريبة

ويغرق من نخشى ملامته البحر

وليس معنى ذلك أننا ننكر أن يتوهج الحب فى سرعة خاطفة ؛  
ولكننا ننكر أن يستمر اذا كان سريعاً خاطفاً ، وقد عرض علينا

(١) ريبة - شك ، نعزب - نفرد .

(٢) عر - جرب .

ابن حزم أنواعا من الحب الخاطف والحب غير الطبيعي (١) كحب  
صديقه أبي السرى عمار بن زياد مولى المؤيد الذى رأى فى نومه  
جارية فاستيقظ ، وقد دعبت بقلبه فجعلته مغموما ، مغموما ،  
لا يهنته شئ ، ومن ذلك الحب بلوصف ، والحب من نظرة واحدة  
•• ويعقب ابن حزم على ذلك بقوله : وهذا لله قد وقع لغير  
واحد ؛ ولكنه عندى بنيان هار على غير أس ، وذلك أن ابدى افرغ  
دعته فى غوى من لم ير ، لا بد له اذ يخلو بفكره ان يمثل لنفسه  
صورة يتوهمها وعينا يقيمها نصب ضميره ، لا يتمثل فى هاجسه  
غيرها . قد مال بوهمه نحوها : فان وقعت المعاينة يوما فحينئذ  
يتأكد الامر او يبطل بالكلية : « ويقول » فمن أحب من نظرة واحدة  
وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخبر  
بسرعة السنو •• وهكذا فى جميع الأشياء • أسرعها نموا أسرعها  
فناء وأبطؤها حدوثا أبطؤها نفادا • ويؤكد ذلك بقوله : ومن الناس  
من لا تصح محبته الا بعد طول المخافة وكثير المشاهدة ؛ ومتمادى  
الأنس ، وهذا الذى يوشك أن يدوم ويثبت ولا يحيك فيه من الليالى  
•• وانى لأطيل العجب من كل من يدعى أنه يحب من نظرة واحدة :  
ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه ألا ضربا من الشهوة •• لقد  
أطلنا قليلا فى نفى الخبر الذى يزعم أن مية لم تر ذا الرمة زمنا  
طويلا ، فلما رآته أنكرته ، لتثبت ما يحدث فى الواقع دائما ؛ وما  
تؤيده قصائد ذى الرمة التى انتزعها من وجدانه وصور فيها ما عاناه  
من شوق وقلق طيلة عشرين عاما ، لقد علق بها صبيا لم يدهش  
العشرين من عمره وأخذ حبه ينمو معه الى أن بلغ حدود الاربعين وهى  
السن التى فارق فيها الحياة • فلن يكون ذلك أبدا من تلك الانواع  
العينية الخاطفة من الحب التى حدثنا عنها ابن حزم ، وانما هذا الحب  
قد نما ونضج مع توالى الأيام وتكرر اللقاءات بما فيها من رضا  
وغضب . وقطيعه ووصال . وتضييق من الأهل والوشاة ، وسرى  
فيما بعد كيف ضاق به أهليا كما ضاق به زوجها « عاصم » بل  
حدثنا الرواة أيضا أنه أغرى يوما مية على أن تسبه وتنال منه ••  
وقد آن لنا بعد طول سياحة أن نجيب على سؤالنا الذى أثرنا

فى بدء هذا الحديث وهو : أين : ومتى التقى بها ؟ .. لقد ترك لنا الرواة شمعة صغيرة يمكن أن تهدينا فى هذه الدروب الملتوية : حين حدثونا عن قصة اللقاء الأول كما جاءت فى الأغاني والتي تعرضنا لها من قبل . فقد جاء فى هذه القصة أن أول شعر قاله فيها :  
قد سخرت أخت بنى لبيد

منى ومن سلم ومن وليد  
ورواية الديوان جاءت مغايرة بعض المغايرة لما جاء فى « الأغاني » فقد ورد البيت السابق هكذا :

قد عجبت أخت بنى لبيد

وهربت منى ومن مسعود  
وهو أنسب لما بعده اذ يقول : « رأت غلامى سفر بعيد » فثنى غلام ، ولو كانوا ثلاثة كما فى رواية الأغاني لجمع : كما أننا نعلم أن مسعودا الأخ الأصغر لذى الرمة ، وقد كان كثيرا ما يرافقه فى السفر ، أما سلم ووليد : فلم يرد لهما ذكر فى شعره : ولا نعرف عنهما شيئا ، وأول القصيدة :

هل تعرف المنزل بالوحيد

قفرامحاه أبد الأبيد (١)

فالمكان الذى التقيا فيه لأول مرة يمكن أن يكون هو « الوحيد » كما تشير الى ذلك قصة أول لقاء اشارة سريعة عابرة ، فمما الأسباب التى نعتمد عليها فى ترجيح ذلك ، أول هذه الأسباب ، أن ذا الرمة كان ينظم الرجز فى مطلع حياته الشعرية ثم عدل عنه الى الشعر بعد أن عجز عن اللحاق بأشهر رجازين فى عصره وأعنى بهما رؤبة والعجاج وقد قال هو ذلك عن نفسه . قال (٢) قلت الرجز فلما رأيتنى لا أقع من الرجلين (العجاج ورؤبة) أخذت فى القصيد وتركته .. « وهذه الأبيات من الرجز الذى كان ينظمه ثم عدل عنه : والتعبير « بسخرت » أو عجبت » كما فى روايتي البيتين فيهما ايماء الى قولها له : لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من

(١) أبد الأبيد - الزمن المتطاوّل .

(٢) الموشح للمرزياني .

صغر سنك ، يضاف الى ذلك ان « الوحيد » هذه رغم أنها تكررت  
فى شعره مرتين فقط الا أن مكانا مكملها وملتصقا بها هو  
حوضى تكرر أكثر من ثمانى مرات ؛ وقد جمع بينهما فى الأبيات  
الآتية :

ألا يا دار مية بالوحيد  
كان رسومها قطع البرود (١)

الى أن يقول :

مهجت صبابتى ولكل الث  
تهيج الشوق معرفة العيود  
عادة بدت لعينى عند حوضى  
بدو الشمس من جلب نضيد (٢)

واذا كانت الصورة الأولى هى التى تلتصق فى نفس الشاعر  
لأنها بهرته وحركت وجدانه ؛ فإن ذا الرمة التصقت فى نفسه  
صورة لقائه الأول لها ، وهى التى عبر عنها بالشمس بدت من خلال  
السحاب الرقيق ، كما أشار الى أن منازل أهلها « بأدعاص حوضى  
فى أبيات أخرى له :

بأدعاص حوضى ، ثم موضع أهلها  
جراميز يطفو فوقها ورق السدر (٣)

وأيا كان فمنازل مى وأهلها كثيرة متداخلة كما وضحنا  
ذلك فى الأجزاء الأولى من البحث ، والذى نريد أن نقوله : أن ذا الرمة  
قد التقى بمية فى الوحيد أو فى مكان قريب منه ؛ التقى بها فى  
مطلع حياته اذ كان شابا صغير السن ؛ يمرن لسانه على نظم الأراجيز  
فأحبها ؛ وظل هذا الحب ينمو معه قرابة عشرين عاما ؛ كان من أثره  
هذا الحب من الشعر الوجدانى الرقيق الذى نحتفى الآن بدراسته .

(١) البرود - الثياب المنقوشة .

(٢) جلب - سحب مجلوب .

(٣) جراميز - حاض ماء .

## ملاحم مى وصفاتها النفسية والجسدية

فمن مى ؛ وما ملاحمها التى استتوت الشاعر ، وجعلته أينما  
ولى لا يرى سوى خيالها ، وظلها ٠٠ ؟

لقد اختلف الرواة فى اسم أبيها ؛ كما اختلفوا فى اسم  
أبيه أيضا ؛ فبنى مية بنت فلان ابن طلبة بن قيس بن عاصم ٠٠ (١)  
كما فى رواية ابن قتيبة ، وهى : مى بنت طلبة بن قيس بن عاصم  
المنقرى ، كما فى رواية ابن سلام (٢) ٠٠ وهى « مية بنت طلبة  
ابن قيس بن عاصم الغساني فى رواية ثالثة » (٣) وفى معاهد  
التنخيص ووفيات الأعيان : « مية بنت عقائل » ٠٠ لكن صاحب الاغانى  
يقول : كان ذو الرمة يشبب بمى بنت طلبة بن قيس بن عاصم  
المنقرى ٠٠ « فهو يؤيد ما جاء فى روايتى ابن سلام وابن قتيبة اذا  
اعتبرنا كلمة « فلان » وهما من الناسخ أو خطأ مطبعيا وهى بنت

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٣٣ .

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣) تزيين الاسواق .

عاصم بن طلبة - كما قال أبو عبيد البكري (١) فما الرواية الصحيحة التي نعتمد عليها ، يبدو أننا سنرفض كل هذه الروايات المضطربة ، ونعتمد على ما جاء في شعر الشاعر : فهو الوثيقة الرسمية الصحيحة التي يمكن الاعتماد عليها لقد قال لنا ذو الرمة ان اسم أبيها « منذر » ، حين تناول باللوم تزويجه لها من انسان قليل الشأن ؛ لا يصلح لها زوجا ؛ فقال :

لئن زوجت مي خسيسا لطاما  
بغى « منذر » ميا خليلا يهينها

وأكد ذلك شارح الديوان فقال : منذر هو أبوها ؛ فهي اذن « مية بنت منذر » جدها قيس بن عاصم المنقرى الذي قدم (٢) على الرسول عليه السلام فى وفد بنى تميم فأكرمه ، وقال له : « أنت سيد أهل الوبر . . » والذي كان أحد ملوك الغساسنة « تميل اليه العرب ؛ ويعطى له القياد ؛ حتى ضربت به الأمثال » فقال طرفة ابن العبد .

ولو شاء ربى كنت قيس بن عاصم

وهو من قبيلة بنى تميم ، المترامية الأطراف ، التي تمتد منازلها بأرض نجد الواسعة الخصبة ؛ المشهورة بجمالها وهوائها :  
تميمية ؛ حلالة كل شتوة

بحيث التقى الصمان والعقد العفر (٣)

يشتجر قومها بالجاه ، والمال الوفير ؛ فهم « أهل الجياد وأهل العدو والعدد » ، ترى حول دورهم الابل الضخمة والخيول الفارحة :  
وقد يمسى الجميع أولو المحاوى

بها المتجاور الحلل المقيم (٤)

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٤ .

(٢) الوفيات .

(٣) العقد - رمل منعقد ، العفرة - بياض تعلوه حمرة .

(٤) أولو المحاوى - أصحاب البيوت جمع محوى وهو البيت ، الحلل -

الاماكن التي يحلون بها .

- بعقوتها ، الهجان وكل طرف  
 (١) كان نجار نقبته أديم  
 وفى أفنيتهم يكثر حذر الابل وصهيل الخيل :  
 حرى حين يمسى اهليا من فنائهم  
 صهيل الجياد الأعوجيات والهدر (٢)  
 يمتلكون العبيد والاماء :  
 وأبصرتهم حتى رأيت قيانهم  
 هتكن الستور وانتزعن الأواخيا (٣)  
 ويلبس نساؤهم الثياب الحريرية الرقيقة التى تشف عما  
 تحتها :  
 اذا شف عن أجسادها كل ملحم  
 من القز واحوزت اليك النحاجر (٤)  
 تظهر عليهن آثار النعمة ، فيتحدين بألوان مختلفه من الحلى  
 التى يزين بها سوقهن وسواعدهن الممتلئة .  
 وأمثال النعاج من الغواني  
 تزينها - الملاحه : والنعيم  
 جعلن الحلى فى قصب خدال  
 وأزرهن بالعقد الصريم (٥)  
 يخرجن للنزهة فى طرفى النهار الضحى أو وقت الطفل قرب  
 المساء ؛ يركضن الأرض بأرجلهن ليكشفن عن جمالهن وزينتتهن .
- 
- (١) بعقوتها - ماحول الدار ، الهجان - الابل الكريمة ، طرف - فرس ،  
 نجار - أصل ، نقبته - نونه ، أديم - جلد .  
 (٢) الأعوجيات - ابن منسوبة الى الفحل أعوج .  
 (٣) قيانهم - اماءهم ، الأواخيا - الحبال تدق فى الأرض تربط فيها الدواب .  
 (٤) القز - الحرير ، ملحم - نوع من الثياب ، احوزت - نظرت اليك .  
 (٥) قصب خدال - سواعد ممتلئة ، الصريم - الرمل والمراد أن اعجازهن  
 شبيهة بالرمل المنعقد لضخامتها .



إذا مشيين مشية داودا  
هز القنلان ومما تخضدا (١)

يركضن ريط اليمن المعضدا

يخرجن معا ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة ؛ يبتسمن حين يلتقن  
في خفر وحياء ايماض البرق اللامع :

إذا ما خرجن عن ثلاث وأربع

تبسمن ايماض الغمام المكمل (٢)

ينطلقن في مرج ، وقد توسطتبن أجملين ، وغالب ما تكون

مية :

يهادين ، جماء المرافق ، وعثة

كليلة حجم الكعب ؛ ريا المخلخل (٣)

يطمعن الشباب بنظراتين ؛ حتى إذا أجن في القلوب نار  
الشوق صددن ؛ وقطعن جبل الرجاء :

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتلنه

بلا احنة بين النفوس ولا ذحل (٤)

تبسمن عن نور الأقاحي في الثرى

وفترن من أبصار مضروجة كحل (٥)

وشققن عن أجساد غزلان زملة

فلاة ؛ فكن القتل أو شبه القتل (٦)

---

(١) داودا - تمايلا ، ما تخضد - ما تكسر أو انثنى ، ريط اليمن المعضدا -

الشباب اليمنية المنقوشة .

(٢) المكمل - المجتمع كالأقاليل .

(٣) يهادين - يمشين حولها ، جماء المرافق - غير بارزة عظام الساقين

والذراعين ، وعثة - تسير ببطء لامتلائها .

(٤) احنة - حقد ، ذحل - نأز .

(٥) مضروجة - مشقوقة واسعة .

(٦) أجساد - أعناق .

ومما لا شك فيه أن ميا كانت من أكثرهن فطنة حتى استطاعت أن تبهر ذا الرمة بجمالها : ففسى ما أرسل من أجله ، وظل شاخصا ببصره إلى مواطن الفطنة فيها ذاعلا عما حوله ، والماء الذي تصبه إليه ينساب على الأرض من حوله إلى أن نبتته أمها قائلة : « أهلك ممي عما بعثك أهلك له » فأجابها جواب المدرك لما أصابه « والله ليظولن هيامي بها (١) » لقد رأها أبو سوار الغنوي ومعها بنون صفار فوصفها فقال : مسدونة الوجه ، طويلة الخد ، سماء الأنف ، عليها وسم جمال . . . ، فقالت ما نلقيت بأحد من بنى الألفى : قلت (والغائل ابن سلام) : أفكنت تشمدك شيئا مما قاله فيها ذا الرمة قال : نعم : كانت تسبح سحا ما رأى أبوك مثله .

ويذكر ما رواه أبو سوار الغنوي : ما أورده صاحب الأغاني حيث قال : قال محمد بن الحجاج الأسدي : مررت على مية وقد أسنت ، فقلت : يا مية : ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله :

ما أنت من ذكرارك مية مقصر  
ولا أنت ناسي العهد منها فتذكر  
تقيم بها ما تستفيق ؛ ودونها  
حجاب وأبواب ، وسترمسـ

قال : فضحكت ، وقالت : رأيتني يا ابن أخي : وقد وليت وذعبت محاسني ويرحم الله غيلان فلقد قال : هذا في : وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور ، ولين تبرج حتى أقيم عندك عذره ، ثم صاحت يا أسماء : اخرجي : فخرجت جارية كأنها : ما رأيت مثلي ، فقالت أما من شيب بهذه وعويضا عذره . فقلت : بلى فقالت : « والله لقد كنت أزمان كنت مثلي أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لأزدريت هذه أزدراك أياي اليوم : انصرف راشدا » لقد اعتاد بعض الباحثين والنقاد تطبيق الشك الديكارتى على كل قصة كهذه ، وقد يزعم زاعم كيف أمكن لامرأة كمى تقيم في مجتمع مقفل يعتز بالشرف ، ويحاسب المرأة عليه

(١) طبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٢٢٣ .

كالمجتمع العربى أن تقص كل ذلك عن نفسها والحق أن المرأة العربية إن من مفاخرها الخالدة أن يتحدث الناس بقصة حبها وابن حزم يعجب من ذلك وإن كان لا يملك أن ينكره لقرب عهده به ؛ وإطلاعه على ما كتب عنه ؛ يقول ابن حزم (١) : «وقرأت فى بعض أخبار الأعراب أن نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ، ويجاهر ويعلى وينوء بذكرهن ، ولا أدري ما معنى هذا على أنه يذكر عنهن العفاف ، وأى عفاف مع امرأة أقصى منها وسرورها الشهرة فى هذا المعنى» فالقصة إذن صحيحة فى جوهرها ؛ وإن اختلفت العبارة التى تؤيدها ؛ ومن هذه القصة ؛ ومن أوصاف أبى سوار الغنوى السالفة فذكر أن مىا كانت على قدر غير ضئيل من الجمال ، احتفظت ببقية منه بعد أن أسنت وتعدد أطفالها وليس أمامنا الآن إلا أن نستشف هذا الجمال الذى حدثنا الرواة عنه من خلال الصور الفنية التى رسمها الشاعر بقلمه العاشق ، لقد كاد ألا يترك شيئا فيها دون أن يصفه فاستطاع بذلك أن يعطينا صورة متكاملة لى بجانبها النفسى والجسدى .

لقد تعرضنا لبعض ملامحها حين قلنا انها تميمية ، تنتسب الى قوم أغنياء يملكون العديد من الخيول والابل والقيان ؛ ولا يلبس نساؤهم إلا الثياب الحريرية الشفافة . . .

إذا شف عن أجسادها كل ملحم

من القر واحورت اليك المحاجر

كما أن الجمال التى تحمل رحالهن ضخمة ؛ عالية كأنها

نخل يبرين أو هجر :

كان أظعان مى اذ رفعن لنا

بواسق النخل من يبرين أو هجرا

فلا عجب أن تكون مية تامة الجسم ، ممتلئة الذراعين ، والساقين ، « كأن حلى شواها ألبس العشرا » مع خلو من اليبس والاعوجاج :

وحلى الشوى منها اذا حليت به  
على قصبات ، لاشخات ؛ ولا عصل (١)  
أما جسمها فقويم معتدل كالقناة المستقيمة ينتهى بما ينسبه  
الكثيب الرملى ؛ لذا فهى تنوء به ؛ ويرهقها المشى ، فاذا مشت  
اهتز خلفها فى جمال وروعة ؛  
نرى خلفها نصفاً قناة ، قويمة  
ونصفا نقا يهتز أو يتمرمر (٢)  
تنوء بأخراها ؛ فلأيا قيامها  
وتمشى الهوينا عن قريب فتبهز (٣)  
كما أن خديها أسيلان مرتويان بماء الشباب والنعمة  
تميل الى الطول ؛  
أسيلة مستن الدموع وما جرى  
عليه الحن ، الجائل ، المتوشح (٤)  
وأنحن نحن من حدود أسيلة  
رواء ؛ خلاها ان تشف المعاطس (٥)  
بيضاء صافية البياض ، فاذا نضحت جسمها بالطيب وبخاصة  
الزعفران بدت كظبية تتعرض لأشعة الشمس فى وقت الطفل أو  
وقت الضحى ؛

- 
- (١) الشوى - الأضراف الساعدان والساقان ، لاشخات ولا عصل - أى  
ليست دقيقة ولا معوجة .  
(٢) نقا - كشب من الرمل . يتمرمر - يهتز .  
(٣) تنوء ، بأخراها - ثقّلها عجيزتها ، لأيا - بعد جهد ، الهوينا - قليلا  
وبطء ، تبهر - يصيبها الالام .  
(٤) أسيلة - طويلة ، مستن الدموع - مجرى الدموع والمراد خذاها ،  
الحن - الوشاح والمراد البطن والصدر ، أسيلة مستن الدموع المراد طويلة  
الحدين ، وصدرها وبطنها يتصف بالضمور فالوشاح يحول حولهما .  
(٥) رواء - ممتلئة ، المعاطس - الأنوف ، تشف - ترق والمراد أنهن ممتلئات  
الحدود رقيقات الأنوف .

وجيد : ولبات نواضع وضح  
إذا لم تكن من نضح جاديه صفرا (١)  
فاذا نضحته بالطيب كان كأنطلى بالذهب :

كان جلودهن ممن موهبات  
على أبشارها ذهبا زلالا (٢)

لذلك فكثيرا ما يذكره بها مرأى ظبية انعكست أشعة الضحى  
أو الغروب على ظهرها الأبيض : واشترأت بعنقها الأغيد لتلاحظ  
حلا صغيرا تركته خلفها غراعه منها جمال لونها ، وعينيها ، وجيدها .

ذكرتك إذ مرت بنا أم شاذن  
أمام المطايا تشرئب وتسنع (٣)

من الآفات الرمل أدماء حرة  
شعاع الضحى فى متنها يتوضح (٤)

تغادر بالوعساء : وعساء مشرف  
طلا : طرف عينيها حواليه يلمح

هى الشبه أعطافا ، وجيدا ومقلة  
ومية أبهى بعد منها : وأملح (٥)

لم تشوه صفاء جسمها ونعومتها خيلان أو ندوب : ملساء  
ليس بها خال ولا ندب « لها بشر مثل الحرير » .

لقد امتازت مية بالجيد الأتلع الناعم الذى يشبه جيد ظبية  
عشرتبة تتطلع الى وليدها كما رأينا ذلك فى الصورة السابقة :

---

(١) النبة - النحر ، نضح - رش ، الجادى - الطيب (الزعفران) .

(٢) موهبات - مطليات ، زلالا - صافيا خالصا .

(٣) شاذن - غزال صغير ، تشرئب - تمد عنقها ، تسنع - تتعرض أو تمر

عن شماله .

(٤) أدماء حرة - بيضاء كريمة الأصل ، الوعساء وعساء مشرف - رملة لينة .

طلا - الطبى الصغير .

(٥) العطف - الجانب ، الجيد - العنق .

كجيد الرئم ، أتلع ؟ لا قصيرا  
 له غضن ، ولا قفرا عطولا (١)  
 فاذا ما احتواها ضجيعها ، لف ذراعاه حول جيد ظبية ذات  
 غزال ؛ فهي تميل بعنقها متطلعة اليه ؛  
 هضيم الحشا ، يثنى الذراع ضجيعها  
 على جيد عوجاء المقلد ، مغزل (٢)  
 يتطوح قرطها عاليا كأنه يتدلى من جبل ؛ من يسقط منه  
 يهلك :

ترى قرطها فى واضح الليت مشرفا  
 على هلك فى نفث يتطوح (٣)  
 ذات عينين واسعتين ، حوراوين ، سوداوين :

تخللن أبواب الخدور بأعين  
 غرابيب ، والألوان بيض نواضع  
 فهي : عقينة أتراب كأن بعينها  
 اذا استيقظت كحلا، وان لم تكحل (٤)

لقد جمع الله فيهما كن حسن وجمال فمن رآهما أصيب بمة  
 يشبه الدوار :

وعينان قال الله كونا فكانتا  
 فعولان بالآلأباب عما تفعل الخمر

فاذا ابتسمت ابتساما مريعا كوميض البرق ؛ كسفت  
 عن ثنايا بيضاء نقية ؛ يزيدان جمالا ما بينهما من فلج ؛ يترقرق  
 عنهما رضاب عذب ذو نكبة طيبة .

(١) الرئم - الظبية ، ألع - مرافع ، لا قفرا عطولا - أى ليس خاليا من  
 الثرين بالحق .

(٢) هضيم الحشا - صخرة الجبل ، مغزل - ذات غزال ، عوجاء المقلد -  
 تمس بعنقها على ضجيعها وأصده الظبية تلمس إلى ولدها .

(٣) الكنت - جانب العنق ، مشرفا - مرافعا ، على هلك - يهلك من يسقط

منه .

(٤) عقينة - مختارة ، أتراب - نساء وعن من فى مثل سننها .

- تريك بياض لبتها ووجهها  
 كقرن الشمس أفتق ثم زالا (١)  
 وأشنب واضحا حسن الثنايا  
 ترى من بين ثنيتيه خلا (٢)  
 كان رضابه من ماء كرم  
 ترقرق في الزجاج وقد أحالا (٣)  
 لو رأى الأخرس عذوبة ثناياها لنطق :  
 هجان الثنايا مغربا لو تبسمت  
 لأخرس عنه كاد بالقول يفصح (٤)  
 كما تكشف عن لثاة ذات لعس وحوه :  
 عن واضح تغسره ، حو مراكزه  
 كالأقحوان زهت أحقافه الزهرا (٥)  
 وينسدل شعرها الأسود الغزير على جانبي ظهرها كالحيات  
 التي تلدغ قلب العاشق :  
 وأسحم كالأساود مسبكرا  
 على المتنين منسدلا ، جفالا (٦)  
 ممتدا الى رؤوس الوركين :  
 تريك ، وذا غددائر وازدادات  
 يصبن عشاعت الحجبات سود (٧)

- 
- (١) قرن الشمس - أول ظهورها ، أفتق - فتق السحاب وبرز منه .  
 (٢ ، ٣) وأشنب واضحا الخ : أى وثغر أبيض الأسنان يشبه رضابه الخمر  
 التي تترقق في الزجاج وقد مر عليها حول عازداد عتقها .  
 (٤) هجان مغرب - شديدة بياض الثنايا .  
 (٥) حو مراكزه - اللثة ضاربة الى السواد وهى علامة صحة عند العرب  
 القدماء ، الأقحوان - زهر أبيض ، زهت - لونت ، أحقافه - رماله .  
 (٦) مسبكرا - طويلا ، ممتدا ، جفالا - كثيرا ، الأساود - الحيات .  
 (٧) وازدادات - طوال ، الحجبات - رؤوس الأوراك ، عشاعت - لينة كالارض  
 الرملية .

كثيرا ما تطويه بالمدارى وتسرحه :  
وذو غدر فوق الذنوبين مسبل  
على البان يطوى بالمدارى ويسرح (١)  
ولطوله وغزارته يلغىها كالرداء حين تتجرد الا من الدرع  
القصير :

اذا انجردت الا من الدرع وارتدت  
غداثر ميال القرون سخام (٢)  
لين ناعم غير قصير ولا أصيب لأنها عربية حرة :  
هجان تفت المسك فى متناعم  
سخام القرون؛ غير صهب ولا زعر (٣)  
ملتفة الجسم ؛ دقيقة الخصر ، لينة العظام :  
أناة ؛ تلوث المرط منها بدعصنة  
ركام ؛ وتجتأب الوشاح فيقلق (٤)  
وتكسو المجن الرخو خصره كأنه  
اهان ذوى عن صفرة فهو أخلق (٥)  
ذات أنامل مسترسلة ناعمة ؛ حمراء الأطراف كبسات النقا  
التي تختفى وتظهر :  
خرايب ؛ أملود ، كان بنانها  
بنات النقا تخفى مرارا وتظهر (٦)

- 
- (١) فوق الذنوبين - أسفل المتنين وهما جانبا انظهر .  
(٢) سخام - ناعم لين .  
(٣) صهب - صفر والعرب تألف من الانصاف باصفراد الشعر لأن ذلك يدل على أنه غير عربى ، زعر - قصير .  
(٤) . (٥) أناة - تسير ببطء ، تلوث المرط - تنف الثوب ، بدعصنة - بحبرة مثل كثيب من الرمل المجتمع ، تجتأب - تنبس ، النحن - الثوب وكل ما يستند . اهان - عود العنق وهو ما يكون به البلع فى النخلة ويسمى العرجون .  
تخلق - أملس أى أن خصرها ضامر ناعم كالعرجون .  
(٦) خرايب - طوال ، أملود - ناعمة والمراد أصابعها .



تخضب يديها بالحناء كثيرا :

أسيئة مستن الوشاحين قانيء

بأطرافها الحناء في سبط طفل (١)

يبدو تديها المشرَّب فوق الحشا الضامر جميلا رائعا :

بعيدات مهيوى كل قرط عقده

لطف الحشا تحت الندى الغوايت (٢)

إذا تحدثت تحدثت بصوت خفيض تقطعه ابتسامتها السريعة

أسئلته :

يقطع موضوع الحديث ابتسامتها

تقطع ماء المزج في نرفي الخمر (٣)

تزين ابتسامتها الحديث :

كان على فيها تلاؤلؤ مزنة

وميض إذا زان الحديث ابتسامها

كلامها خال من اللغو والشوثة :

تبسم أيماض الغمامة جنبها

زواق من الظلماء في منطق نزر (٤)

تكره الصخب ونسج القصص والأحاديث :

صمت الخلاخيل ، خود ليس يعجبنا

نسج الأحاديث بين أخي والصخب (٥)

يشبه حديثها حلاوة العسل المزوج بالماء المتلوج :

ونلت سقاطا من حديث كأنه

جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع (٦)

---

(١) أسيئة - طويلة ، مستن الوشاحين - ملتقى الوشاحين والمراد الحصر

سبط - ناعم لين ، طفل - ناعمة أيضا .

(٢) الغوايت - الملتفة .

(٣) موضوع الحديث - حديثها الخفيض المزج ، جمع مزنة وهي السحابة

المضطرة ، نرفي الخمر - أي الخمر المسكرة .

(٤) جنبها - جنبها ، نزر - قليل .

(٥) خود - شابة ناعمة .

(٦) الوقائع - جمع وقعة وهي أرض صلبة تمسك الماء .

أو طعم الزنجبيل المعسل :  
ولو كلمت مى عـواقل شـاعق  
رغائنا من الأروى سهون عن الغفر (١)

لا يجد فيها عائبها ما يعيبها به :  
فيالك من خد أسـليل ، ومنطق  
رخيم ، ومن خلق تعلل جادبه (٢)

لا تحب أن تنطق بفاحش القول :  
قطوف الخطأ : عجزاء ؛ لا تنطق الخنا  
خلوب لألباب الرجال ، مطونها (٣)

لا تحرم حولها الضنون :  
ليست بفاحشة فى بيت جارتها  
ولا تعاب ولا ترمى بها الريب

وزعم أن الطبيعة قد وهبتها كن هذه الحاسن التي فلما  
تلتقى فى إنسان واحد ، تضيف هى إلى الجمال الطبيعى ضروبا  
أخرى من أسباب الفتنة التي تستهوى الرجال ؛ فبى مفردة هى  
التطيب ؛ لا تدع جزءا من جسدها دون أن تسمحه بالتطيب التبعه  
ثناياها العذاب المبيض بالاستيائك لتظل لها تصاعنها :

جوى الأسحل ، الأحوى بطفل مطرف  
على الزهر من أنياها فبى نضع (٤)

فتظل لغمها نكبته الطيبة الى ما بعد انقضاء الليل ، والهبوب  
من النوم :

---

(١) عواقل شاعق - وعول انصفت فى الجبل ، رغائنا - مريضات ، الأروى -  
الأت الوعول ، الغفر - أولادهم .

(٢) جادبه - عائبه .

(٣) قطوف الخطأ - قصيرة الخطأ ، الخنا - الفحش ، مطونها - لا ترمى  
بوعد .

(٤) الأسحل - شجر نتخذ منه المساويك ، الأحوى - الأسود ، طفل -  
ناعم ، مطرف - محنى والمراد أصابعها ، الرىح - الميض .

كان السلاف المحض منهن طعمه  
إذا جعلت أيدي الكواكب تضجع (١)  
تفت المسك في شعرها الناعم ؛ وتشعره جسدها وتمسح  
الأنف والصدر والترائب :

هجان تفت المسك في متناغم  
سخام القرون غير صهب ولا زعر  
وتشعره أعطافها ؛ وتسوفه  
وتمسح منه بالترائب ؛ والنحر (٢)  
وإذا كانت تلبس الثياب الحريرية الشفافة ، وقد تتجرد  
منها مكتفية بالدرع مسدلة شعرها الغزير الممتد حول كتفيها  
وظهرها ؛ فهي أيضا تتحلى بأنواع مختلفة من الحلى ، تتحلى بالأساور  
والدماليج والبرى :

وفى العاج منها ، والدماليج والبرى  
قنا مالى للعين ، ريان ، عبهر (٣)  
كما تتقلد عقود المرجان :

كان عرى المرجان منها تعلقت  
على أم خشف من طباء المشافر (٤)

ولا تفتأ تتعهد عينيها الساجرتين بالكحل  
من الأشرفات البيض فى غير مرهة  
ذوات الشفاه الحو والأعين النجل (٥)

- 
- (١) السلاف - الخمر ، المحض - الخالص ، تضجع - تميل الى النعيم .  
(٢) تشعره أعطافها - تتركه على جسدها ، تسوفه - تشمه .  
(٣) العاج - الأساور ، الدماليج - أساور تلبس فى العضدين ، البرى -  
حلقات من ذهب يتحلى بها ، عبهر - غليظة .  
(٤) الخشف - ولد الظبية .  
(٥) الأشرفات - الطوال المرتفعات ، المرهة - ترك الكحل ، النجل -  
مفردها نجل ، وهى شدة بياض العين مع شدة سوادها .

وكفتاة تشعر بما جمالها من أثر في النفوس : ووقع على  
القلوب نراها تتعرض للشباب لتوقعهم في شراك حبها حيناً  
بالمشية المتأودة ، وركض الأرض برجليها ليسمع صوت حبيبها  
وحيثما بابرار مواطن أخرى من فتنها كالبسمة العابرة : والنظرة  
القاتلة ، واطيار النحر أو الجيد ...

حتى إذا تمكن حبها في القلب ، وتيقنت أن عاشتها لا يستطيع  
الفكاك من أغلال حبها الوثيقة . أخذت تندل عليه : وتلعب بعواطفه  
فهي :

تقارب حتى تطمع التابع الصبا  
وليست بأدنى من إياب المنخل (١)  
فإذا شكا إليها حبه وصباته : وأطلعها على أسرار قلبه ؛  
لتبادله الحب سخرت منه قائلة إنما أنت تمرح :  
لني شكوت الحب كيما تشيبي  
بودي ، فقلت : إنما أنت تمرح  
بعادا ، وإدلالا على وقد رأيت  
ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح  
وهي ضنينة بالوصال رغم ما تلوح به من آمال كاذبة ووعود  
خادعة :

إذا قلت يجري الود أو قلت ينبري  
لها الجود يأبى بخلها واعتدالها  
على أن ميلا لأرى كبلانها  
من البخل ثم البخل يرجي نوالها (٢)

هذه هي صفات مي كما استخلصناها من شعره الذي بين  
أيدينا ، وهي تؤكد ما رواه أبو سوار الغنوي من أنها كانت على  
قدر غير قليل من الجمال : ولا عبرة بما جاء في تزوين الأسواق (٣)

(١) تطمع التابع الصبا - لنجعله يطمع في الهوى ويميل نحوها ، المنخل -  
مثل يضرب لما لا يتحقق ، وذلك أن القارظ الغزوي خرج يجمع القوط فلم يجد أحدا .

(٢) المعنى بالرغم من بخلها الشديد قلبي أرجو منها الوصال واللقاء .

(٣) تزوين الأسواق ج ١ ص ٩١ .

من أنها جارية تميل الى القصر ، سمراء ، بدينة ، الا أن فى كلامها  
عذوبة ؛ وفى طرفها تغزلا « فبى يناقض نفسه اذ يقول بعد ذلك  
مباشرة حين يتحدث عن سبب اعتلاق ذى الرمة بها : ان سبب  
اعتلاقه بها أنه مر بالحى وقد أدركه الاوام فقصد بيتا ؛ واذا هو  
بامرأة تتمشط ، حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل  
النخل ؛ فناداها هل من اداة تبرد الغليل فأبرزت اليه ماء قد  
سُيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل ؛ وقدمت له طعاما  
فاكل ؛ ولم تزل تناديه وهو يعجب بنا الى أن تحرك لها قلبه  
فأنشد :

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها  
أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفريات البيضى ودجليسها  
اذا ما انقضت أحدى لو تعيدها

ويظهر أن صاحب هذا الكتاب من هواة التسلية واختلاق  
الاقاصيص ؛ فغير معقول مطلقا أن ميا تمكث مع فتى غريب  
تؤاكله وتحادثه كل هذا الوقت دون سابق ود أو معرفة . والبيتان  
اللذان ذكرهما ليسا لذى الرمة ولا يوجدان فى ديوانه الذى بين  
أيدينا ؛ وانما هما لكثير عزة ؛ والذى أوقعه فى هذا الخطأ أن لذى الرمة  
قصيدة تتفق مع هذه الأبيات فى وزنها وقافيتها وأولها :

ألا ؛ لا أرى كالدار بالزرق موقفا  
ولا مثل شوق هيجته عهدها

وسواء كانت صفات مى الحقيقية تتفق مع هذه الصفات  
جميعا التى رسمها الشاعر ، أو مع بعضها . فالذى يعيننا هو  
«مى» النموذج المثالى الرائع الذى أحبه وتعلق به الشاعر ، والذى  
رآه مجسدا فى هذه الفتاة التى أحبها ، وأخلص لها رغم أنها  
تزوجت من غيره . والذى يبدو من شعره أنها قد تزوجت من عاصم  
المنقرى ابن عمها ؛ بعد حب ذى الرمة لها ؛ فمن النادر أن يعشق  
انسان امرأة ذات زوج وأولاد وانما قد يحبها بكرا ثم يستمر  
الحب ؛ اذا كان مكيلا ؛ بعد أن تتزوج من غيره ، وكثيرا ما يلجأ

أهلها الى تزويجها من أحد أقاربها ليصرفوا عنها ذلك العاشق الذي  
ردد اسمها في الآفاق ، هكذا صنع أبو ليلى حين زوجها من «ورد»  
وربما يكون « منذر » والدمى قد صنع نفس الصنيع ، والذي يرجح  
ذلك قوله لنفسه :

فيا نفس ذلى بعد مى ، وسامحى  
فقد سامحت مى وذل قرينها (١)

ولما أتاني أن مىا تزوجت  
خسيسا بكى سبل المعاء وحزونها (٢)

ويظهر أن فى زوجها بعض العيوب الجسدية التى استغلها  
الشاعر للتشهير به وأهانتها ، وإن كان لم يفصح عنها ؛ فهو  
يراه خسيسا زوجها أبوها منه ابتغاء أهانتها وإذا تجرد بجوار  
مى شان حسننها وجمالها بمنظره المشوه القبيح :

لئن زوجت مى خسيسا لظالميا  
بغى منذر مىا خليلا يهينها  
تزينك إن جردتها من ثيابها  
وأنت إذا جردت يومها تشينها

كما أن هذا الضيق إلى حد تمنى الموت له :  
ألا ليت شعرى هل يموتن عاصم  
ولم تشتعبنى للمنايا شعوبها  
دعا الله من حثف المنية عاصما  
بقاضية يدعى ليا فيجيبها

ليس مصدره مجرد زواج عاصم من مى ؛ وإن كان ذلك فى  
حد ذاته مؤلما ، وإنما عززه ، وأعاناه فى اشعال نار الحقد عليه  
ما روى (٣) من أن ذا الرمة ضاف زوج مى فى ليلة ظلماء وهو طامع

(١) قرينها - ذلت شدتها وامتناعها عن الاقتران بغيره .

(٢) الحزن - الترفع من الأرض ، المعاء - اسم موضع .

(٣) الاغانى ج ١٦ .

يرى بروكلمان أن أكثر من اشتهروا بالحب قد تعلقن بنساء متزوجات .

فى الا يعرفه زوجها فدخله بينه فيقره فيراها ويكلمها ففطن  
له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج اليه قرام وتتركه بالعراء وقد  
عرفته فيه . فلما كان فى جوف الليل تغنى غناء الركبان : قائلا :

### اراجعة يامى ايامنا الأولى

بذى « الأثل » أم لا مالهن رجوع

فغضب زوجها وقال : قومى غصيحى به ، يا ابن الزانية .  
وأتى أيام كانت لى معك بذى الأثل : فقالت يا سبحان الله ضيف  
والشاعر يقول . . فانتضى السيف وقال : والله لأضربنك به حتى  
أتى عليك أو تقولى : فصاحت به كما أمرها زوجها : فنبض على  
واحلته فركبها وانصرف مغضبا يريد أن يصرف عودته عنها الى  
غيرها : فمر بفلج فى ركب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه فاذا  
هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر ، واذا خرقاء فيهن وهى  
امرأة من بنى عامر فاذا جارية حلوة شهلاء فوقعت عين ذى الرمة  
عليها فقالت لها جارة أترقعين لهذا الرجل خفه فقالت تهزأ به :  
أنا خرقاء لا أحسن أعمل فسامها خرقاء وترك ذكرى يريد أن  
يفيط بذلك ميا فقال فيها قصيدتين أو ثلاثا ثم لم يلبث أن مات «  
ولقد ذكرت القصة كلها لأنها تعلل لسبب تشبيهه بخرقاء ، كما  
تعلل لسبب سخطه الحاد على عاصم زوج مى الذى أهانه بلسانها  
فأحب الشاعر أن يقتصر منه بهذه الأبيات المتفرقة التى نقت فيها  
حقيقته وحقده ولعل هذا الحادث الذى أوردناه هو الذى أشار  
إليه فى الأبيات الآتية :

بكى زوج مى أن أنيخت قلانص

الى بيت مى آخر الليل طلح (١)

فمت كمدا يا بعل مى ، فانما

قلوب لى آمنو الغيب نصح

فلو تركوها والخيار تخيرت

فما مثل مى عند مثلك ، يصلح

(١) طلح - متعبات ، نصح - نقية لا تضر لها شرا .

أبيت على مثل الأشافي وبعليها  
يبيت على مثل النقا يتبطح (١)

لقد تار لنفسه بالتعبيرات اللاذعة « بكى زوج مى فمت  
كمدا ؛ فما مثل مى عند مثلك يصلح » وإن كانت ثورته لم تستطع  
أن تخفى نقاوة حبه الذى عبر عنه بقوله :

قلوب لمى آمنو الغيب نصح

كما لم تخف شكواه المبرحة مما هو فيه إذ « انه يبيت على  
مثل الأشافي ؛ وبعليها يبيت على مثل النقا يتبطح » وعلى كل فإذا كان  
فشل فى هذه الزيارة ، فهو لم يفشل فى الكثير غيرها ، فقد روى  
لنا تلميذه وصديقه « عصمة بن مالك » أنه قال له : ان مية من منفر  
ومنقر أحببت حى وأقفاه لأثر وأعلمه بشر ؛ وقد عرفوا آثار ابل ، فهل  
عندك من ناقة نزور عليها مية فقلت : نعم فأتيناها والقوم خلوف  
والنساء فى الرحال فأنخنا عندها واجتمع النساء حولها فقالت ظريفة :  
أنشدنا فقال : أنشدهن يا عصمة ؛ فأنشدتهن من شعره :

نظرت الى أظعان مى كأنها  
ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه (٢)

الى : وقد حلفت بالله مية ما الذى  
أحدثها الا الذى أنا كاذبه

إذا فرمانى الدهر من حيث لا أرى  
ولا زال فى أرضى عدو أحاربه

فقالت : مية ، ويحك يا ذا الرمة خف الله وعواقبه ، فلما  
قلت : إذا سرحت من حب مى سوارح ، قالت الظريفة قتلتته قتلك الله  
فقالت : مية ما أصحه ؛ وهنيئنا له ، فتنفس ذو الرمة تنفيساً  
كاد حرها يطير بلحيتى فلما أتيت على قوله :

(١) الأشافي - المخارز وهى آلات لتقب الجلد ، النقا - الرمال اللينة ،

يتبطح - ينام وينبطح .

(٢) ذرى - قمم ، الأثل - شجر الأثل المعروف ، ذوائبه - قممه .



إذا تلوّثت القول مئة أو بدا  
لك العرجه منها أو نضاً الدرع سالبه (١)

قالت الطريفة . فقد بدا لك الوجه . وتنوزع القول . فمن لنا  
بأن ينضو الدرع سالبه ، فقالت لها مئة قاتلك الله فماذا تأتيين به  
نفساً حكمت الطريفة ، وقالت : ان ليثنين لشاناً ، فقوموا بنا عنهما  
مقامت وقمن معنا ؛ وقمت فخرجت ؛ وكنيت قريباً حتى أراهما وأسمع  
ما يرتفع من كلامهما فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خالفته فيه  
حتى أتى أوّل الرجال فأتيته فقلت انبض بنا فقد ناب القسوم  
فودعها فركب وردفته وانصرفنا ٠٠ « أيا كان مدى صدق هذه  
الغصة فقد تكون مصنوعة لتتمليل على عفتها ، ونقاء حبه أغيبى تدغم  
ما عساه من أنه رأها وحادثها أكثر من مرة الى أن أصبحت داء ودواءه  
الذي لا يستطيع الفكك من أمره ، بل أصبح ما يراء فيها لا يراء  
لشي أحد سواها . من مغاير قد تستهوى حتى الحكماء :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت  
لعينه على سافرا كاد يبرق (٢)



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

(١) نضاً الدرع - خلع عنها القميص .

(٢) يبرق - يتعير دمعته .

## الفصل الثالث

### عالم الشاعر النفسى

آن لنا بعد ما قدمناه من عرض لصفات ملى النفسية والجسدية كما يراها ذو الرمة ؛ وكما حدثنا عنها الرواة - أن نقوم بسياسة استكشافية لما تموج به أعماق الشاعر من عواطف وانفعالات هى سر ما فى فنه الشعري من حرارة وصدق وخلود ؛ . . . وقبل أن نرحل الى عالمه النفسى على أجنحة شعره المحلقة . نجيب عن هذا السؤال التمهيدى وهو ما الذى كان يشير شجونه ولواعج أشواقه ؟ . . . أكثر ما كان يشير أشجانه مرأى تلك المنازل التى التقى فيها بمى أو رأى فيها ميا تتردد وحدها أو مع أترابها :

وقد يرى فيها لعين منظر  
مجالس وربوب مصور (١)  
أتراب ملى والوصال أخضر  
ولم يغير وصلها المغير

لقد درست معالم تلك الديار ولم تبق منها إلا آثار بالية لا تثير انتباه أى عابر فما الغريب المثير فى رؤية تلك الأشياء ؛ نوى متهدم كان حاجزا لمنع تسرب مياه المطر الى الخيمة ، وهوقد بال ، وبقايا من حطب :

(١) ربوب - قطع من البقر الوحشى والمراد الأنسات .

يبدو لعينيك منها وهي مزمنة  
نوى ومستوقد بال ، ومحتطب (١)

الى لوائح من أطلال أحورية  
كانها خلل موشية قشب (٢)

وقطع أعنة ملقاة ، وأوتاد منزوعة الجبال ، وأثاف كانوا  
يطبخون عليها :

بها قطع الأعنة ؛ والأثافي  
وأشعث خاذل فقد الأصارا (٣)

ورماد غيرته النار :

وضبحا ضبته النار في ظاهر الحصى  
كياقية التنوير أو نقط الحبر (٤)

ودعائم الخيام المصرة ؛ ونبات الشام الذي كان يستظل به ؛  
وقد نشرته الريح في كل مكان ؛ والبقع السوداء في أماكن إقامتهم ؛  
وحظائر الجمال المحطمة ، والبعر القديم الذي يشبه الودع أو  
قشر بيض اليمام الذي تركه الفرخ بعد أن خرج منه .  
أو ملعب بين المنازل ؛ تتلاقى فيه الفتيات الجميلات أو يلعب  
فيه الأطفال :

---

(١) مزمنة - مر عليها زمن طويل ، النوى - العاجز حول الخيمة منع  
عنها المطر ، محتطب - مكان لوضع الحطب .

(٢) لوائح - لوحاتها الشمس والرياح والمطر ، أطلال - بقايا الديار والآثار ،  
أحورية - خيام مجمعة ، خلل - بظائن السيوف المنقوشة ، قشب - جديدة أو  
مختلطة .

(٣) أشعث - الوتد المنشعب من الدق عليه ، خاذل - متخلف في الدار  
الأصارا - الحبل الذي يربط به .

(٤) ضبحا - رمادا ، ضبته - غيرته النار ، التنوير - الاثمد (الكحل) .

الى ملعب بين الحوائين منصف  
قريب المزار؛ طيب التراب . مسهل (١)  
تلاقى به حور العيون كأنها  
مها عقد ، محرّ نجم : غير مجفل (٢)  
لقد خلت تلك الأماكن من الناس فلا ترى بها شبحاً أو تسمع  
نبأ :

وأقوت من الآناس حتى كأنها  
على كل شبح الوة لا يصيبها (٣)  
ولم تعد تعمرها سوى الثيران :  
تمشى بها الثيران كل عشية  
كما اعتاد بيت المرزبان موازبه (٤)  
والبقر الأبيض كالنجوم :  
كان بلادهن سماء ليلاً  
تكشف عن كواكبها الغيوم  
والظباء ذات التريب :  
إذا سير الهيف الصهيل وأمله  
من الصيف عنه أعقبته نوازبه (٥)

- 
- (١) الحواء - المنزل (الخيمة هنا) ، منصف - وسط بينهما ، مسهل - سهل .  
(٢) مها عقد - المهابة البقرة الوحشية ، عقد - مكان رملي ، محرّ نجم - مجتمع .  
(٣) أقوت - خلت ، شبح - خيال ، الوة - حلف يمنة لا يصيبها - لا يدنو منها أحد .  
(٤) المرزبان - ملك الفرس أو أميرهم .  
(٥) الهيف - الريح الحارة ، نوازبه - طياره .

والطيور المختلفة من غربان تحجل ، وحمام ، موشح ، تنقش  
الأرض بمناقيرها كالأقلام تخط على الورق :

قد احملت مي فهاتي ك دارها  
بها السح تردى والحمام الموشح (١)

كان أنوف الطير في عرصاتها  
خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومن خلال شجر الرمث تحن الريح صباح مساء في هذه الأرض  
الخالية ، كما يسمع فيها عزيف الجن وبغام الوحش :

خلاء ؛ تحن الريح أو كل بكرة  
بها من خصائص الرمث كل ظلام (٢)

وللوحش والجنان كل عشية  
بها خلفه من عازف وبغام (٣)

وأراغيل النعام الأسود :  
قفصا كان أراغيل النعام به

قبائل الزنج والحشاش والنوب (٤)

وللريح حين يشتد هبوبها فتجول بالحصى - صوت زاجل :

أربت عليها كل هوجاء رادة  
زجول بجولان الحصى حين تسحق

وعى تجمع الحصى والتراب وتفرقه :

- 
- (١) السح - السود .  
(٢) معنى البيت : تحن الريح هبة من خصائص شجر الرمث كل مساء أو صباح .  
(٣) الجنان - جن ، خلفه - صوان مختلفان ، النعام - صوت الطيبة والناقة .  
(٤) أراغيل - جمادات .

أربت بها هوجاء تستدرج الحصى  
مفرقة تدرى التراب جموع (١)

هذه الريح العاصفة ؛ وبقايا الأشياء المطروحة على الأرض بعد  
أن استغنى عنها الراحلون ، والحيوانات والطيور التي حلت محلهم  
ذات شذى خاص لدى العاشق فهي ترتبط في ذهنه ووجدانه  
بالذكريات الكثيرة المتشابكة ؛ كما أنها تنقله بمجرد رؤياها من عالم  
حاضره الى عالم ماضيه الحبيب بأسطة أجنحتها الخضراء على الغد  
الذى يتمناه ! وليس غريبا أن نسمع أن عبادة الأصنام نشأت بسبب  
ما حملته معه عربى قديم من أحجار كذكرى لبلده الذى تغرب عنه .  
ولذلك نجد شاعرنا كل ما مر بمنزلة من منازل مى وقف متمسرا يكاد  
ألا يبرح المكان حتى يضيق به صحبه ؛ بل تضيق به راحلته  
أيضا :

فسيرا ، فقد طال الوقوف ، ومله  
قلأص أمثال الحنيات ضمور (٢)

ففى تهيج صبابته ، وتطوى به الزمن الى ماضيه الذى يحتفظ  
له فى ذاكرته بأغلى الذكريات :

فهجت صبابتى ؛ ولكل الف  
تهيج الشوق معرفة العهود  
غداة بدت لعينى عند حوضى  
بدو الشمس فى جلب نضيد

فيسفك دموعه بغزارة ؛ وتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من  
الإشارة الى ذلك ؛ يؤله أن هذه الآثار لا تغف ، وتزول ففى مشار  
آلامه وأشجانه :

(١) أربت - أقامت ، تستدرج الحصى - تحركه .

(٢) الحنيات - القسى ( جمع قوس ) .

إذا قلت تغفرو لاح منها مهيح

على البوى من طارف وتلاد (١)

ولا مفر له من أن يمر بها فى طريق أسفاره :

يبيع البكا ألا تريم ، وأنينا

ممر لأصحابى مرارا ومنظر (٢)

لكن رغم ضيقه بها لأنها تثير بنفسه كوامن الوجد ؛ فهي  
عزيزة على نفسه ، ترابها سحيق الشك :

كأن سحيق الشك ربا ترابه

إذا هضبت بالطلال هواضبه (٣)

وهى شئ حى يخاطبه خطاب صديق لصديقه ، ويثته أشواقه  
وأشجانه :

وأسقيه حتى كاد مماتيه

تكلمنى أحجاره وملاعبه

فأجماد حين يرتبط فى وجدان الانسان وبخاصة الشاعر  
بأعز الذكريات يصبح شيئاً حياً ؛ لذلك نجد ذا الرمة يحيى منزلتى  
مى ويسألها :

أمنزلتى مى سلام عليكما

هل الأزمن الثلاثى مضين رواجع ؟

ويدعو لهما بالطر الذى لا يكف عن الهطلان :

---

(١) طارف وتلاد - جديد وقديم .

(٢) الاتريم - ألا تمحى وتزول .

(٣) هضبت - أمطرت ، الطلال - مفردة طل .

ولا زال من نوء السماك عليكما  
ونوء الثريا وابل متبطح (١)  
وان كنتما قد هجتما راجع النوى  
لذى الشوق حتى ظلت العين تسفح  
حتى تنردى بثياب من النبات والنور فتبدو كبسط منقوشة :  
ترديت من ألوان نور كأنها  
زرابي ، وانهلث عليك الرواعد  
وان كان أحيانا يثوب الى رشده ، فيتسائل :

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى  
بوهبين أن تسقى الرسوم البوائد

هذا هو المصدر الأول والمهم فى إثارة ذكرياته ؛ لكنه ليس  
المصدر الوحيد وانما هناك مصادر أخرى كثيرة ، منها رؤيته لجماعات  
الراجلين ؛ فهم يذكرونه دائما برحيل حبيبته ، ذلك الرحيل الذى  
ترك فى صدره جرحا غائرا تنكؤه تلك الرؤى كما تؤرقه طلائع ريح  
الصيف الحارة فهى نذير الفراق :

أما يحن القلب الا تشوقه  
رسوم المغاني، وابتكار الحزائق (٢)  
وهيف تهيج البين بعد تجاوز

إذا نفحت من عن يمين المشارق (٣)  
كان فؤادى قلب جاني مخوفة  
على النفس اذ يكسون وشى النمارق (٤)

---

(١) نوء السماك ونوء الثريا - هو سقوط وظلوع بعض النجوم كالثريا  
والسماك والأسد الخ يسمى نوءا ، والعرب قديما كانوا يربطون الظواهر الجوية  
كالمطار بهذه الأنواء .

(٢) رسوم - بقايا آثار الديار ، المغاني - الديار ، الحزائق - الجماعات :

(٣) البين - الفراق ، نفحت - هبت .

(٤) النمارق - جمع نمرقة وهى الوسادة .



ويبين أسواقه وعمو بعيد في مجاهل الصحراء وميض البرق من  
حبة محبوبته فقد يكون مرتبطا في وجدانه بغرمها وحمرة شففتها :  
إذا أومضت من نحوى سحابة

نظرت بعيني صادق الشوق وامتق (١)

من يورقه فيظل ساهرا الى بزوغ الفجر : والخليون من حوله  
يغطون في نوم عميق ....

كما يذكره بها ثلاثي سحابة ماطرة تسوقها الريح الجنوبية  
الى ديار محبوبته ..

ويبعث كوا من ذكرياته نواح الحمام الجاثم في الديار :

ولو لم يشقني الطاعنون لشاقني  
حمام تغنى في الديار وقسوع

تجربن فاستبكين من كان ذا حوى  
لوائح ما تجرى لهن دموع

كما تذكره بها تلك الطباء التي يلتقى بها وسط الصحراء  
أبناء رحيمه : والتي تحمل الكثير من ملامح محبوبته ، عينها الماترة  
بما فيها من حور وكحل : وجيدها الأغيد ، وبزيق جسمها وقد  
انسكبت عليه أشعة الشمس الصفراء في الضحى أو الأصيل  
والخضر الدقيق ..

أقول ليركب لما أعرضت أصلا

أمانة لم ترببها الأجاويد (٢)

طمت حذارا على مطنفىء خرف

تبدى لنا شخصها والقلب مزود (٣)

(١) وامتق - عاشق محب .

(٢) أصلا - في الأصل ، أمانة - ضية ، لم ترببها الأجاويد - الأرض .

الصلبة .

(٣) مطنفىء - لاصق بالأرض الى ولد الطيبة ، خرف - لاصق بالأرض

مزود - مفزع .

هذى مشابه من خرقاء نعرفها  
والعين واللون والكشحان والجيد (١)

هى الشبه أعطافا وجيدا ومقلنة  
ومية أبهى بعد منها وأملح

فهى تفوقها بامتلاء الذراعين والساقين ، ودقة الأذنين :

هى الشبه الا مدريينها ، وأذنها  
سواء والا مشقة فى القوائم (٢)

كما أن جيد مى تزينه العقود والحلى :

أرى فيك من خرقاء يا طيبة اللوى  
مشابه جنبت اعتلاق الحبال (٣)

فعيناك عيناها ، ولونك لونها  
وجيدك الا أنه غير عاطل

ولهذا التشابه نلمس تعاطفه مع كل ما يحمل ملامح محبوبته،  
وديون شعوره يخلو من أية صور فيها بعض القسوة على هذه  
الحيوانات ؛ وفى البيتين السالفين يدعو للطيبة بأن الله يجنبها  
اعتلاق حبال الصاندين .

فاذا ما أزهقه السفر ، وارتضى فى الهزيع الأخير من الليل  
بجوار ناقته لأويا زمامها على يده حتى لا تند منه ؛ فى ذلك الوقت  
الذى تكون فيه « أحلى نومة لو ينامها » يزوره خيال محبوبته  
فيهب ما به من أسقام :

(١) الكشحان - مفردهما كشح وهو الجنب .

(٢) مدريينها - قرنيها ، سواء - يستويان ويتشابهان ، مشقة - رقة .

(٣) الحبال - مفردا حباله وهى القصيدة ، غير عاطل - أى تتزين بالحلى .

والمعنى : إن الشبه قوى بين الطيبة وخرقاء لاختلاف بينهما فى شئ سوى أن  
للطيبة قرنين ، وفى قوائمها ييوس ورقة لا توجد فى خرقاء .

أزارتك مى بعد ما قلت ذا عمل  
فهاج سقاما مستكنا ثامها (١)

عنقرة النوم من عينيه :

ألا خيلت مى وقد نام صحبتي  
فما نقر التهويم الا سلامها (٢)

وعى تزوره حاملة معها الريح الضيبة كأنفاس الخزامى المنطولة  
لتنعش هذا المجهد الولهان :

ألا طرقت مى هيوما بذكرها  
وأيدى الشريا جنح فى المغارب (٣)

أخا شقة زولا كأن قميصه  
على نصل هندی جواز المضارب (٤)

سرى ثم أغفى وقعة عند ضامر  
مطية رحال ، كثير المذاهب (٥)

بريح الخزامى هيبتها وخبطة  
من الطل أنفاس الرياح اللواغب (٦)

وكثيرا ما يتمنى أن يكون ما يراه حقيقة واقعة :

---

(١) ثامها - زيارتها السريعة ، ذاعل - ناس .

(٢) التهويم - النوم .

(٣) جنح - مائلة .

(٤) الحسفة - ملازم للأسفار البعيدة ، زولا - ضامرا ، نصل هندی -

نصل سيف ، جواز - قاطع .

(٥) معنى البيت : أغفى واقعا قريبا من جملة الذى أضمره كثرة رجليه .

كثيرة مقاصده ومطالبه .

(٦) خبطة - ضربة ، اللواغب - الرياح الهادئة كأنها متعبة من الجرى

والهبوب .

أراني اذا هومت يامي زرتني  
 فيا نعمتا لو أن رؤياي تصدق  
 فما حب مي بالذي يكذب الفتى  
 ولا بالذي يزهي ، ولا يتملق (١)  
 بل كثيرا ما يخاطب طيفنا ، خطابه لحقيقتها الماثلة فهو يتعجب  
 منها كيف اهدت اليه وهو في هذه المجاهل المترامية :  
 فيا مي : ما أدراك أين منخنا  
 معرفة الألقى ، يمانية سجرا (٢)  
 ويكرر هذا التعجب في مكان آخر فيقول :  
 تطوف الزور من مي على عجل  
 بمسلمين ؛ جوابين للبعد (٣)  
 حيث من زائر أنى اهديت لنا  
 وكنت عنا بلا نحو ولا صدد (٤)  
 ولكنه قد يدرك من خلال تجربته الصادقة ما يدركه  
 علماء النفس الذين أفنوا حياتهم في تحليل مثل هذه الرؤى من أن  
 مصدرها طول التفكير وانشغال العاشق بمن يحب :  
 نأت دارمي أن تزار ، وزورها  
 الى صحبتي بالليل هاد مواعس (٥)

- 
- (١) يزهي - يرفع ويكبر في نظرك زورا .  
 (٢) معرفة الألقى - قليلة لحم اللعين أي ماحول الفكين ، سجرا - حمرا  
 يمانية - ابل منسوبة الى اليمن .  
 (٣) الزور - خيال مي ، بمسلمين - بضامرين ، للبعد - الارض البعيدة  
 يجوبونها ويقطونها .  
 (٤) بلانحو - بلا قصد ، ولاصدد - غير قريب منا .  
 (٥) زورها - خيالها ، مواعس - يطأ الرمل (الوعساء) .

إذا نحن عرسنا بأرض سرى بها

هوى لبسته بالفؤاد الدوابس (١)

ويمكننا فى نهاية الحديث عن الطيف أن نخالف ما قاله  
الدكتور الأخوانى (٢) من أن البحترى أول من أطال الحديث  
الطيف ، فشاعرونا ذو الرمة قد سبقه الى ذلك بل ربما يكون البحترى  
أحد المقتدين به فى هذا الفن .

فاذا ما أثار أشواقه سبب من تلك الأسباب ؛ وبخاصة  
إطلال محبوبته التى لا يملك التحول عنها :

على أننى فى كل سير أسيره

وفى نظرى من نحو دارك أصور (٣)

لغته غمامه من الذكرى فتنفرط دموعه التى يجهد نفسه فى  
سبيل اخفائها فهو ينتصر عليها حيناً فيمنعها ؛ وتنصر عليه حيناً  
آخر فتسيل على لحيته .

عشية أثنى الدمع طورا وتارة

يصادف جنبى لحيتى فيجودها (٤)

وقد تتوالى دموعه بكثرة فيشبهها بمزادة مرقوعة بها خروق  
يقطر منها الماء . وأحيانا يحاول أن يخفيها كما رأينا سابقا فتخطئه  
الدموع :

لعمرك انى يوم جرعاء مالك

لذو عبرة كل تفيض وتخنق

وانسان عيني يحسر الماء تارة

فيبدو وتارات يجم فيفارق (٥)

(١) عرسنا - نمنا آخر الليل ، لبسته - خلطته .

(٢) فى كتابه عن ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار .

(٣) أصور - مائل العنق لتلفته نحو ديار محبوبته .

(٤) يجودها - يطررها ويبللها .

(٥) يجم - يكثر ، والمعنى : انسان عيني ينحسر عنه الدمع حيناً فيظهر

وينمره حيناً آخر فيخفى .

وبالرغم من أنه يرى أن سيفك الدموع على تلك الأطلال . أو  
لقاء التحية إليها أقل ما يفعله :

وقل الى أطلال مي تحية  
يحیی بها أو أن ترش الدامع  
الا أنه يحاول ألا يسفك هذه الدموع لأسباب منها : أنه قد  
تجاوز الثلاثين من عمره ووصفه الناس بالحلم والعقل والاعتزان ،  
فحين يلموه أخوه مسعود على البكاء يعتذر له بأنه صابر على كل  
شيء ما عدا تلك الدموع التي تجول بالرغم منه :

عشية مسعود يقول وقد جرى  
على لحيتي من عبرة العين قاطر  
أفى الدار تبكى أن تفرق أهلها  
وأنت امرؤ قد حلمته العشائر (١)  
فلا صبر أن تستعبر العين اننى  
على ذاك الا جولة العين صابر  
ولأنه لا يريد أن يكشف أسرار نفسه للآخرين ، فاحب شيء  
مقدس ينأى به العاشق عمن لا يفهم أسرارهم :  
فما زلت أطوى النفس حتى كأنها  
بذى الرمث لم تخطر على بال ذاكر (٢)  
حياء واشفاقا من الركب أن يروا  
دليلا على مستودعات السرائر  
ولأنه لا يريد أن تلوك الألسنة اسم محبوبته وتورد قصة  
حبهما المقدس :

فان تحدث الأيام يامى بيننا  
فلا ناشر سرا ولا متغير

(١) حلمته - عدته حلما عاقلا رزيئا .

(٢) بذى الرمث - اسم مكان يكثر فيه شجر الرمث .

أو لأنه يرجو أن يحصل على أجر الصابر :

أمستوجب أجر الصبور فكأظم  
على الوجد أم مبدى الضمير فجازع

وحتى لا يتعرض لسهام العواذل التي تصوب إليه منهم  
كلما لحوا بكاءه وتغير حاله :

يلوم على مى خلىلى ، وربما  
يجور اذا لام الشفيق ويخرق (١)

ولذلك يدور بينه وبين نفسه صراع عارم ؛ فهو يحاول أن ينع  
نفسه بأن ما يبدو منها من جزع لا يليق به ولا جدوى منه :

عرفت لها دارا فأبصر صاحبى  
صفحة وجهى قد تغير حالها (٢)

فقلت لنفسى من حياء رددته  
اليها وقد بل الجفون بلالها  
أمن أجل دار صير البين أهلها  
أيادى سبا بعدى وطائ اختيالها  
فؤادك مبثوث عليه شجونه  
وعينك تعصى عاذليك انهلالها (٣)

ومهما حاول ذلك فالدموع تغلبه على أمره :

فأبديت من عيني والصددر كاتم  
بمغرورق نمت عليه سوابه

فيحاول اخفاءها عن رفقته وأصحابه :

---

(١) يخرق - يعنف .

(٢) صفحة الوجه - ظاهر الوجه .

(٣) شجون - آلام . انهلالها - سيلان الدمع منها .

فلما رأيت الدار غشيت عمتي  
شآبيب دمع . لبسة المتلثم (١)  
مخافة عيني أن تنسم دموعها  
على بأسرار الضمير : المتكتم  
بل عن أقرب الناس إليه كاخيه مسعود مثلاً :

فأخفيت شوقي عن رفيقي وأنه  
لذو نسب دان إلى وذو حجر (٢)

وهل للحب منطق : فسيان عند الحب الشاب الذي لم يجرب  
والكهل الذي تمرس بالحياة .

فلما عرفت الدار واعتزني الهوى  
تذكرت هل لي أن تصابيت من عذر  
فتم أر عذرا بعد عشرين حجة  
مضت لي وعشر قد مضين إلى عشر  
ورغم خوفه من لوم العاذلين وقولهم له :

لو كان قلبك من صخر لصدعه  
هيج الديار لك الأحزان والذكرا  
وزفرة تعتربه كلما ذكرت  
مى له أو نحا من نحوها البصرا

بل وإهمالهم له بعد أن عجزوا عن التأثير عليه .

---

(١) معنى البيت : أنه أسبل عمامته على وجهه ليخفي دموعه عن رفاقه حتى

لا يكشف عن أسرار قلبه .

(٢) ذو حجر - صاحبة عقل راجع .



أطاع الهوى حتى رمت به بحبله  
على ظهره بعد العتاب عواذله (١)

إلا أنه كثيرا ما يلجأ اليهم مستشيرا ، فالحب النقي جعله  
يأنس الى الناس ويطلب المشورة من الجميع :

خليلى هل من حيلة تعلمانها  
يدنيكما من وصل مى احتيالها (٢)

فنجيى لها أم لا فان لا فلم تكن  
بأول راج حيلة لا ينالها

فهم الذين يلومونه ؛ وهم الذين يشاركونه أيضا آلامه ، فكم  
مرة وقف على أطلال محبوبته فاستعبر وبكى فشاركه زففته البكاء :

بكيت على مى بها اذ عرفتھا  
وهجت الهوى حتى بكى القوم من أجلى

فظلوا ومنهم دمع له غالب له  
وآخر يثنى عبرة العين بالهمل

لقد أسرف ذو الرمة فى الحديث عن بكائه . وتكد لا تخلو  
قصيدة له من ذلك ؛ والرواة يؤكدون تلك الصفة فيه فقد قال رجل  
للأصمعى : رأيت ذا الرمة يبربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة  
وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ، ودموعه تجرى  
على لحيته قصيدته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب  
كأنه من كلى مفرية سرب (٣)

---

(١) رمت به بحبله على ظهره - كناية عن إهمالهم لشأنه .

(٢) معنى البيتین : يا خليلى هل لديكما حيلة نحتال بها لنجعل ميا تبادلنا  
الوصل ، فنجيى من أجل هذا الأمل واذا لم يكن لديكما ذلك فلسنا أول من يرجو  
أملا ويحتال له ثم لا يناله .

(٣) كلى - مزادة ( قربة ) ، سرب - سائل .

فالامر ليس دعوى يدعيها الشاعر أو سيرا على منبج منكه  
السابقون ، وانما لهذا علته وسببه فهو شأب في فترة التوحيج  
النفسى ؛ أرهف مشاعره نظم الشعر وزوايته له ووترت أعصابه  
الأسفار البعيدة المرهقة : ثم هو عاشق لفتاة اجتمعت فيها اسباب  
الحب والجمال ، أذكت بدلانها وطبيعتها الأنثوية فيه نار الحب ؛  
كما أذكاه طول تفكيره فيها وتكرار رؤيته لها مع الصمود والذل  
والحرمان فهو القائل :

كفى خزنا فى الصدر ، يا مى أننى  
وأياك فى الأحياء لا نتكلم (١)

ثم تلك الأجراس التى تطن دائما فى أذنيه منذرة بالبين  
والفراق ؛ وتلك الآثار التى تنكأ جراحه كلما حاول أن ينسى أو  
يسلو ، فليس غريبا أن يفيض قلبه من عينيه دموعا غزارا رأينا  
جزءا من قصتها فيما سلف من حديث ، فهى النافذة أو القنادة  
الوحيدة التى تسرب منها نيران ألمه وحزنه ؛ فالدموع كثيرا ما تكون  
نعمة من نعم الحياة على الانسان :

اجل عبرة كادت تعرفان منزل  
لمية لو لم تسهل الماء تذبج

على حين راهقت الثلاثين وارعوت  
لداتى ؛ وكاد الحلم بالجهل يرجح (٢)

إذا خطرت من ذكر مية خطرة  
على النفس كادت فى فؤادك تجرح

لقد نال اسرافه فى البكاء ، وترديده ذلك من منزلته الشعرية  
عند بعض من لا يرى النبوغ سوى النظم فى كل الأغراض المانورة  
فمن هؤلاء الأصمعى الذى يقول : انما وضع من ذى الرمة أنه كان

(١) خزنا - ما يخزنه من ألم فى صدره .

(٢) راهقت الثلاثين - دنوت منها ، ارعوت لداتى - اقلع من فى مثل عمرى  
عن الصبورة والغرام . الجهل - السفه .

لا يحسن أن يهجو ولا يمدح . ووقف الفرزدق على ذى الرمة وهو  
ينشد قصيدته التى يقول فيها :

إذا أرفض أطراف السياط وعللت  
جروم المطايا عذبتهن صيدح (١)

فسأله ذو الرمة : كيف تسمع يا أبا فراس ؟ فقال : أسمع  
حسنا ، قال : فما بالى لا أسمع فى انفجول من الشعراء ، قال  
يمنعك من ذلك ذكر الأبعاد ؛ وبكاؤك الديار . . . » وإذا كان هذا  
مفهوم معاصريه عن الشعر نقادا وشعراء مما تسبب فى إصابته  
بالتخلف عن جراء الاسراف فى استيعاب تلك الاغراض ، وإن كانت  
مخالفة لطبيعة الشاعر ، فإن لذى الرمة العاشق مفهومه الخاص ؛  
الذى صرح به فى حوارهِ الذى جرى على لسانه مع الوليد بن عبد الملك  
الحليفة الاموى (٢) الذى سأل الفرزدق فقال له : من أشعر الناس ؟  
قال : أنا الا أن غلاما من بنى عدى بن مناة يركب اعجاز الابل وينعت  
الغلوات ، ثم أتاه جرير فسأله : فقال له : مثل ذلك ، ثم أتاه ذو الرمة  
فقال له : ويحك أنت أشعر الناس ؟ قل لا ، ولكن غلاما من بنى  
عقيل يقال له : مزاحم يسكن الروضات يقول : وحشيا من الشعر  
لا تقدر على أن تقول مثله ، هذا هو مطمح ذى الرمة فى الشعر ،  
مطمحه أن يصل الى ما وصل اليه مزاحم مجنون بنى عامر - كما فى  
بعض الروايات - من الصدق فى التعبير عن الحب ، وكان ذا الرمة  
لا يعترف بمقاييس أهل عصره ؛ كما لا يعترف بمن تسنموا ذروة  
المجد من الشعراء كالفرزدق وجرير ، وإن شغلوا الناس زمنا  
طويلا ، وشغلوا الرواة والنقاد بمدائحهم وأهاجيهم الزائفة . . . لقد  
اعترف له نقاد عصره بمساواته للمشاعير فى فن الغزل فقط ؛ ولو  
انصفوا لقدموه عليهم فى هذا الفن ؛ قال أبو عبيدة : كان ذو الرمة  
إذا أخذ فى النسيب والوصف فهو مثل جرير وليس وراء ذلك

(١) معنى البيت وقد سبق شرح مفرداته : إذا ما تشعثت السياط على الابل  
من الضرب فإن صيدح ناقة الشاعر تسبقها جميعا . وتتبعها فى مواصلة السير  
بالرغم من طول المسافات التى جعلت الابل الهخمة ضامرة كالأهلة .  
(٢) الأغاني ج ١٦ .

شيء (١) « ويقول ابن سلام : كان ذو الرمة دون الفرزدق وجريرو  
ويساويهما في بعض «شعره» (٢) ولا شك أن الذي يساويهما فيه  
انما هو النسيب والوصف على ما ذكره أبو عبيدة والذي يعيننا  
من كل ذلك هو أن هذا الوقوف على الأطلال وبكاء الديار الذي عده  
نقاد عصره وشعراؤه مأخذا على ذي الرمة يؤخره عن قافلة الشعاعير  
نراه نحن وسيلة سبق وتفوق ، فهذه الدموع ما هي إلا ترجمة  
صادقة لما يؤج في صدر الشاعر من حرق الحب وآلامه ، وإذا كانت  
الدموع علامة صدق على ذلك فحديث الشاعر عن خلجاته النفسية  
علامات أخرى تؤازر ما سبق ، ولنستكمل مع الشاعر السباحة  
النفسية لنكشف عن أسرار نفسه ، الغنية بالأسرار ، فالحب حين  
أضاء جوانب نفسه كشف له عن كنوزها الدفينة في صدره . ولعل  
ذا الرمة من أوائل الشعراء العرب الذين أفاضوا في الحديث عن  
القلب ؛ وصفوا آلامه ، وخاطبوه مخاطبة الصديق المصديق .

لقد تصدع قلب الشاعر غداة رأى حملهم تستعد للرحيل  
فنصف بقى في صدره ؛ ونصف ارتحل مع الراحلين :

عشية قلبي في المقيم صديعه

وراح جناب الضاعنين صديع (٣)

وحين هصره الحنين أحس بأطراف سهام تنفذ الى قلبه :

فما من لقلب لا يزال كأنه

من الوجد شكته صدور النياز

وقلبه كساق جبرت بعد كسر فكلما رأى ربعا لها أعاد  
لنى ما كان عليه :

(١) الموشح للمعرياني

(٢) الأغاني ج ١٦ .

(٣) جناب - نحو - الضاعنين - المسافرين .

كأن غزادي هاض عرفان ربعها  
به وعى ساق أسلمته الجبار (١)  
ويعجب من هذا القلب المتمرد الذى لا يستجيب أرجائه :

فيا من لقلب قد عصانى متيم  
لمى ؛ ونفس قد عصانى مريضها

ويعاتبه ، بل يلح فى عتاب هذا القلب الذى برحت به الأسفار  
وآلام الوجد والحنين قائلا له : اننى أعجب من حالك ، ففى كل طلل  
لك حنة بغير حال القيد بينه وبين اللحاق برفاقه ، فماذا تصنع ..  
وقد استحكمت الحب ، وحيل بينك وبين اللقاء ؟ أتستسلم للجزع  
والشكوى ؛ أم تكظم ما فى نفسك فتستوجب أجر الصبور الكاظم  
ولعله يشير بذلك الى قول الرسول عليه السلام : « من أحب فعف  
فصبر فمات مات شهيدا » :

ألا أيها القلب الذى برحت به  
منازل مى والعران الشواسع (٢)  
أفى كل أطلال لها منك حنة  
كما حن مقرون الوظيفين نزع (٣)  
ولا برء من مى ؛ وقد حيل دونها  
فما أنت فيما بين هاتين صانع  
أستوجب أجر الصبور فكاظم  
على الوجد أم مبدى الضمير فجازع

---

(١) هاض - جعله مهبطا كسيرا ، وعى ساق - انجبار كسر فى ساقه  
والمعنى : كلما مرت على ربع من ربوع قومها خفق قلبى وأصابه الضعف فكانه  
ساق مكسور قد جبر ثم سقطت جبيرته .

(٢،٣) العران - الأرض الواسعة البعيدة ومثلها الشواسع ، مقرون  
الوظيفين - جمل مقيد ، والوظيف من الدابة - هو مقدم الساق ، نازع - يحن  
الى وطنه وينزع نحوه .

فإذا سمع صوتها شعر بوخزة سهم حاد :  
وأسمع منها نبأة فكانما

أصاب بها سهم طرير فؤاديا (١)

وفليه خائف مروع دائما :

نجيش الى النفس فى كل منزل  
لى ويرتاع الفؤاد المشو

وحين يراهم يستعدون للرحيل يرتعد قلبه كقلب جان يخشى  
أن يعاقب :

كان فؤادى قلب جاني مخوفة

على النفس اذ يكسون وشى النمارق

فإذا استقلت فى الحمل رجع الى نفسه التى كادت أن تخرج  
من صدره

رجعت الى نفسى ، وقد كاد يرتقى

بحوبائها من بين أحشائها الصدر (٢)

كما أن ذكر الفراق الذى لا مفر منه يترك صدعا فى فؤاده  
وفتورا فى مفاصله

وذكر البين يصدع فى فؤادى

ويعقب فى مفاصلى امذلالا (٣)

وهو يحس أن الحب الذى تغلغل فى قلبه ونفسه سيصرعه  
ان لم يحمه الله من ذلك :

فودعن مشتاقا أصبن فؤاده

هواهن ان لم يصره الله قتله (٤)

فلم يعد لقلبه من شغل سوى هذا الحب القاتل :

(١) سهم طرير - سهم مشحود حاد .

(٢) الحوباء - النفس .

(٣) امذلالا - فتورا واسترخاء .

(٤) لم يصره الله - يحفظه الله ويبقيه .

اذ القلب لا مستحدث غير وصلها  
ولا شغله عن ذكر مية شاغله  
لقد تمكن حبها بقلبه فاذا حاول أن يتخلص منه استعصى عليه  
ذلك

لقد علقت مي بقلبي علاقة  
بطيء على مر الشهور انحلالها  
فاذا خطرت بباله كانت خطرتها بلاء على قلبه ، وداء في مفاصله  
تراجع منى أسود القلب خطرة  
بلاء ، ويجرى في العظام امذلالها  
بل كادت أن تترك جرحا داميا في قلبه :

اذا خطرت من ذكر مية خطرة  
على النفس كادت في فؤادك تجرح  
واذا كانت القلوب تتقلب في الحب فتمنحه لشخص ثم تمنحه  
لآخر بعد ذلك ، فقلب شاعرنا لا يمنح لسوى محبوبته :

تصرف أهواء القلوب ولا أرى  
نصيبك من قلبي لغيرك يمنح  
لذلك فهو يعجب من صدره كيف لا ينقض ويتمزق مما  
يستعر فيه من وجد :

فإنما تلاحقنا ؛ ولا مثل ما بنا  
من الوجد لا تنقض منه الأضالع  
لقد كان قلبه قبل أن يتوزعه البين ملتئما كما كان مزارها  
قريبا مواتيا :

ليالى ، لا مى بعيد مزارها  
ولا قلبه شتى الهوى متشيع (١)

والآن لقد بلغ منه اليأس مبلغه: فيصرخ بهذه الأبيات اليائسة:

يا نفس لامي فموتى أو دعى  
ما فى التلاقى أبدا من عطمع !!

وإذا كانت هذه هي صورة قلبه الطعيب الممزق الذى عصف به  
الحب ، فإن آثار ذلك تظهر على وجهه الذى هو لوحة العريض أو  
بمشابة الشاشة التليفزيونية لنفسه :

عرفت لها دارا فأبصر صاحبي  
صفيحة وجبى قد تغير حالها ،

وتصيب جسمه بالأدواء ؛ فلقد كان صادقا ، وزائعا حين نقل  
الينا بعض ما يعانيه العاشق من أعراض الحب .. التى تصيب قلبه  
كما تصيب سائر أعضائه ؛ فقد يغشى عليه حين يراها ، كما يصاب  
بمثل وخزات السهم :

وكنت أرى من وجهه مية لحظة  
فأبرق مغشيا على مكانيا (٢)

واسمع منها نبأة .. فكانما  
أصاب بها سهم طرير فؤاديا

ويصاب بالآرق بينما ينام كل من حوله :

أرقت رقد نام العيون مـرنة  
تلاولا وهنا بعد هـاء وميضها

---

(١) شتى الهوى - كثير المبول والرغبات . متشيع - متفرق موزع .

(٢) أبرق - اتحير .



أرقت لبا وحدي وقد نام صحبتي  
بطيئا من الغور التهامي نهوضها

وعى التي تميته وتحية :

ياى مى موته ثم نشرة  
لما ألحت من نظرة وكلام

ويكثر من الزفير :

فيا مى هل يجزى بكائى بمثله  
مرازا وأنفاسى اليك الزوافر

كما يحس بالحرقة تنتشر فى جوانحه فكأنه أصيب بداء قاتل  
أو سل مميت :

عشية طالعت لتكون داء  
جوى بين الجوانح أو سلا

كما تكثر همومه :

عى الهم والأوسان والنأى دونها  
وأحراض مغير سئيم الخلائق (١)

ويشيع الأسى فى أقطار نفسه :

فقيم : ولولا أنت لم أكثر الأسى  
على من ورائى من فصيح وأعجما

ويحس بعطش الحب فهو كالناقة المصابة بداء العطش لا يبرئها  
الماء من صداها ولا يريحها الداء من شقائها :

فأصبحت كالهيماء : لا الماء مبرىء  
صداها ولا يقضى عليها هيامها

---

(١) الوسن - النوم والوسن الحاجة وهى هنا بمعنى الحاجة - مفسر - غيور

وعو زوجها - سئيم - كرهه الأخلاق .

وعلى يدرك الخرس الذى يصيب المحب حين يشتد به الوجد  
فيشعر بمثل اليد التى تقبض على حلقومه فتخرسه وتخنق أنفاسه  
سوى من ابتلى بالمحب ، وعانى مرارته وعذابه :

وأخذ الهوى فوق الحلاقيم مخرس  
لنا أن نحى أو نسلم مانع  
واوثة البين تصيب كبده بطعنة سنان فارسي . لا بل هى  
أشد وأوجع :

كأن سنانا فخرسيا أصابنى  
على كبدي بل لوعة البين أوجع  
فالمحب نار فى الليل تشب فى قلب العاشق ؛ فإذا خبت  
لا تلبث أن تشتعل مرة ثانية فتصيبه بما يشبه الرعدة :  
وحبها لى سواد الليل مرتعدا  
كأنها النار تخبو ثم تلتهب  
وهو كثير الشكوى مما فى صدره من آلام الوجد ، وحرقة  
الحنين :

أصابتك مى يوم جرعاء مالك  
بوالجة من غلة ، وكباد (١)

طويل تنسكى الصدر اياهما به  
على ما يرى من فرقة وبعاد

فالمحب يصيبه بما يشبه الحمى :

نعم فانت اليوم كالمعمود (٢)  
من الهوى أو شبه الموزود

---

(١) والجة - متعلبة فى صدره . كباد - مرض بالكبد . غلة - حرارة كالعطش

(٢) المعمود - المريض ، الموزود - الحموم .

وكثيرا ما يعجز عن وصف ما أهاجته في نفسه من أشواق ؛  
وما أنارت من جراح ، فيقول :

فلم يدر الا الله ما هيجت لنا  
أهله آناء الديار ، وشامها (١)

ويظهر أن الشاعر الذي اصطلحت عليه أدواء الحب المختلفة  
كادت أن تلحقه بركب أصحابه من الشعراء المجانين والموسوسين  
الذين أحبهم فيما يبدو ؛ ورأى فيما وصلوا اليه من تعبير وجداني  
صادق الغاية الفنية التي لا تتجاوزها غاية كما اتضح ذلك من حوار  
مع الوليد بن عبد الملك ، ففي قصائده الغزلية تتردد بكثرة  
كلمة الجنون وما في معناها :

فما كلمتنا دارها غير أنها  
ثنت هاجسات من خيال مراجع (٢)

ويقول :

تداويت من مى بهجران أهليها  
فلم يشف من ذكرى طويل خيالها

والفؤاد يرتاع ، وتجيئ النفس :  
تجيئ الى النفس فى كل منزل  
لمى ، ويرتاع الفؤاد المشوق

وترتجف الأرض به كلما لمح دارا من ديارها :

أمن أجل دار « بالرمادة » قد مضى  
لها زمن ظلت بك الأرض ترجف (٣)

---

(١) آناء - جمع نوى . شام - سواد من الدخان .

(٢) ثنت - أعادت ، خيال - جنون .

(٣) الرمادة - اسم موضع .

وهذا الهلع الذى يصيبه :

فما زال فى نفسى هلاع مراجع  
من الشوق حتى كاد يبدو ضميرها

وقد رأينا فيما سبق تمثل طيف محبوبته له كلما خلا بنفسه  
تمثلا يكاد أن يخرج به من عالم الأشباح والخيال الى عالم الحقيقة  
حتى أنه كثيرا ما يخاطبه ؛ ويسأله مستنكرا كيف اهتدى اليه  
فى غربته ، بل طلب منه مرة أن يصحبه فى زيارة ممنوحه ابراهيم  
ابن عتاش ..

وأنى اهتدت مى لصهب بقفرة  
وشعث بأجواز القلاة نيم (١)

ولم تستطع مى مهاواتنا السرى  
ولا ليل عيس فى البرين سوام (٢)

غان كنت ابراهيم تنوين فالحقى  
نزره والا فارجعى بسلام

ثم ماذا يكون الاسراف فى حديث النفس ؛ واجراء حوار بينه  
وبينها ، فكانها شخص آخر سواه يحاوره ويناقشه ؛ ويحاول أن  
يقنعه بالحجة والدليل :

إذا ذكرتك النفس مىا فقل لها  
أفيقى . فتهيئات الهوى من مزارك (٣)

وما ذكرتك الشئ الذى ليس راجعا  
به الوجد الا ضلة من ضلالك

---

(١) صهب - نوق لونها أسود ضارب الى الحمرة ، أجواز القلاة - وسط  
الصحرَاء .

(٢) مهاواتنا السرى - مشاركتنا فى الاسراع فى السير ليلا ، عيس - ابل  
نفسا ، البرين - حلق فى أنف الابل ، سوام - رافعات اليربوس .

(٣) تهيئات الهوى عن مزارك - ما أبعد من تهوينه عن مزارك الآن .

ثم هذا الخوف والتوقع الدائم للفراق الذى ينغص عليه حتى  
ساعات استقراره :

وقد كنت أبكى ، والنوى مطمئنة  
بنا وبكم من علم ما الله صانع (١)

وهذه الرغبة فى الهروب الى الإماكن المقفرة ليتمكنه التغنى  
باسمها دون أن يخشى أحدا :

أحب المكان القفر من أجل أننى  
به أتغنى باسمها غير معجم

ثم هذا التمثل الغريب لشخصها . كلما خلا بنفسه ،  
وأجراؤه معها حوارا لا يمكن حدوثه إلا بين شخصين ماثلين :

أقول لها فى السريينى وبينهما  
إذا كنت ممن عينه العين خاليا (٢)

تطيلين ليانى وأنت مليحة  
وأحسن يا ذات الوشاح التقاضيا (٣)

وانت غريم لا أظن قضاء  
ولا العنزى القارظ الدهر جانبا (٤)

فكانه مسحور بحبها ، بل مصاب بما هو أقوى من السحر :

رأيت لها ما لم تر العين مثله  
لشيء فأنى قد رأيت المرائيا (٥)

---

(١) النوى - نية السفر والرحيل .

(٢) العين - المراد بها هنا من يتجسس على ويستطلع أخبارى .

(٣) ليانى - مماطلتى ، مليحة - غنية ، والمراد : تماطلينى وتخلفين وعودى

رغم غناك ورغم حسن مطالبتى لك بدين اللقاء والوصال .

(٤) العنزى القارظ - رجل ذهب لجمع القرظ فلم يعد الى اليوم فيضرب

به المثل فى عدم تحقيق الأمر .

المرائيا - مفردة مرأى أو مرآة وهو المنظر الحسن .

هي السحر الا أن للسحر رقية  
وانى لا ألقى لما بى راقيا

ويصرح فى أكثر من موضع بأنه يحدث نفسه عنها حتى وكأنه  
يناجيها عن قرب ؛ فيشعر بشيء من الراحة والهدوء :

أحدث عنك النفس حتى كأننى  
أناجيك عن قرب فينصاح بالها (١)

ولعل ذلك هو ما يطلق عليه علماء النفس « أحلام اليقظة »  
التي تكون بمثابة تعويض لفقدان شيء عزيز ولقد تردد على ألسنة  
بعض معاصريه ما يفيد شعورهم بالحال التي وصل اليها ذو الرمة ،  
فقد قال جرير خرجت مع المهاجر بن عبد الله الى حجة فلقينا ذا الرمة  
فاستنشدته المهاجر فأنشده :

ومن حاجتى لولا التنائى وربما  
منحت الهوى من ليس بالمتقارب

عطايل بيض من ربيعة عامر  
عذاب الشنايا ، مثقلات الحقائق (٢)

يقطن الحمى والرمل منهن مربع  
ويشربن ألبان الهجان النجائب (٣)

فالتفت الى المهاجر ، وقال : أتراه مجنوناً ؟ « هذا التساؤل  
من المهاجر .. أتراه مجنوناً ؟ » ما مصدره ؟

مصدره لا شك تلك الغرابة فى التعبير ، وتركيب الجمل

---

(١) ينصاح - يصفو ويستريح من همومه .

(٢) عطايل - مفردا عطبول وهي الطويلة الجميلة ، رقاق الشنايا - فى  
نفرها رقة وحسن ، مشرفات - مرتفعات ، الحقائق - مفردا حقيقة والمراد بها  
عجيزة المرأة .

(٣) يقطن الحمى - يتران الحمى فى القبط ، الهجان النجائب - الابل  
الكريمة الأصيلة ، مربع - مقام

تركيبا لم ينعوده الشعراء من قبل ، وهذا الشعر الملتهب : لذلك قال عنه الأصمعي : « ذو الرمة حجة لأنه بدوى ، وليس يشبه شعره شعر العرب » . ثم قال الا واحدة تشبه شعر العرب وعى التى يقول فيها : « والباب دون أبى غسان مسدود » . ولا يعطى الشاعر إمكانية تكوين الجملة تكويننا خاصا به . واستعمال الكلمات فى غير المؤلف المعتاد استعمالها فيه الا عمق احساسه وانصهاره فى تجربته التى يحاول أن يعبر عنها ، واذا كنت قد أشرت الى أن ذا الرمة قد عاش تجربته حبة وتسلطت على كل حواسه ووجدانه تسلطا جنونيا مستبدا - فليس معنى ذلك أنه صار بالفعل مجنونا ينفذ شأن سواء من مجانين الحب من الشعراء ؛ وانما الذى أراه هو أن ذا الرمة أشرف على أن يكون حاله حال هؤلاء المجانين . . . وتلك الصور التى عرضنا بعضها فيما سبق شبيهة الى حد كبير بما كان يموج فى وجدانهم : الدموع التى تنفرط بغزارة ، وآلام الحب وأمراضه المختلفة ، وتلك الشكوى والحنين المتجدد ؛ وخيالها الذى يطارده ، ثم هذا الحب الذى يتجدد دائما مع الزمن ، ومحاولته الدائبة الاستشفاء من هذا الحب العارم تارة بهجرانها الذى يزيد حبه اشتعالا وتوقدا :

وبعض الهوى بالهجر يمحي فيمتحي  
وحبك عندى يستجد ويربح

وتارة بالأسفار البعيدة وقطع المسافات المترامية :

إذا اللامعات البيض أعرضن دونها  
تقارب لى من حب مى بعيدعا (١)

تذكرت مى بعد ما حال دونها  
سهوب ترامى بالمراسيل بيدعا (٢)

أو بالاستماع الى ما يقوله الوشاة وما ينقلونه له عنها من أخبار :

(١) اللامعات - الصحراوات التى تلمع فى ضوء الشمس .

(٢) سهوب - أرض مسطحة ، المراسيل - الايل .

ألا : لا أرى الهجران يشفى من النوى  
ولا وأشيا عندى بمى يعيبتها  
أو بهجران أهلها الذين يحرمون عليه أن يكلمها أو يدنو  
منها :

تداويت من مى بهجران أهلها  
فلم يشف من ذكرى ، طويل خبالها  
لقد قالوا ان الزمن كفيل بشفاء الصدور من الجوى .  
فما باله لم يشف ذا الرمة من آلام حبه المبرحة :  
ولم ينسنى مياتراخى مزارها  
وصرف الليالى مرها وانفتالها (١)  
وحين يعتصره الحنين بأصابعه القاسية لا يجد دواء سوى  
أن يراها أو يكلمها :

تداويت من مى بتكليمه لها  
فما زاد إلا ضعف ما بى كلامها  
وقد يلجأ الى التداوى بالحب من الحب : كما يتداوى السكران  
من الخمر بالخمر :

ومن حاجتى - لولا التنائى وربما  
منحت الهوى من ليس بالمتقارب  
ويقول :

ولم تنسنى ميا نوى ذات غربة  
شطون ولا المستطرفات الاوانس (٢)

---

(١) انفتالها - ذهابها ومضيها .  
(٢) غربة - بفتح الغين البعيدة ومثلها الشطون أى البعيدة ، المستطرفات -  
المؤاتى فى حبهن طرامه وجده .



فإذا ما رحلت استغفره الشوق فحاول أن يتبعها براحتته  
أو يبصره إلى أن يطويه الطريق :

ما زلت أتبع في آثارهم بصرى  
والشوق يقتاد من ذى الحاجة البصر

يبدون للعين تارات ويسرهم  
ريح السراب إذا ما خالطوا الحمرا (١)

وقد يتداوى بزيارته لأطلالها الدارسة :

ولامى إلا أن تزور بمشرف  
أو الزرق من أطلالها دمنا قفرا (٢)

فإذا فشلت كل هذه الأدوية في علاجه .. لجا إلى الدموع  
فهي الدواء الوحيد المسكن .

وعو يحار في أمر حبه الذي لا ينفع فيه قرب أو بعد :

فلا القرب يدنى من هواها ملالة  
ولا حبها أن تنزح الدار ينزح (٣)

وحين يضيق بأمره نسمع منه هذه الصرخات اليائسة :

واسواتاه ، ويا ويلى : ويا حربى  
انى أخو الجسم فيه السقم والكرب (٤)

وهي التهجية وقد تعذرت عنيه كل أسباب الشفاء لا يجد  
سوى الخوت يتمناه ، ويلجأ إليه صديقا مخلصا :

---

(١) ريع السراب - اضطرابه وتحركه : الحمرا - ماوارك من الشجر .

(٢) دمنا مفردنا دمنا وهي المكان الذى اسود وبعت وبالت فيه مواسمهم .

(٣) نازح - تبعه .

(٤) واسواتاه ويا ويلى ويا حربى - الفاظ للمدح والمجمع ومعناها عاينى

يا حطر - يا حلاوى . ويا لما سلب منى من مال أو سعادة ..

متى أبل ؟ أو ترفع بنى النعش رفعة  
على الراح إحدى الحزومات الشواعب (١)

فلقد تأكد من أن هذا المرض لا شفاء منه ، وأين له الشفاء  
ودواؤه فى يد محبوبته الضنينة بالدواء :

هى السقم الذى لا براء منه  
وبرء السقم لو رضخت نوالا (٢)

واذ كنا أطلنا السماع لشكواه ؛ وصرخاته فلننصت معه  
قليلا الى بعض ما تعلمه من تجربته فى الحب ، لقد عرف الكثير مما  
لا يتلقنه الناس من الكتب اذا لم يلقيه لهم كتاب الحياة .

لقد علمته تجربته كيف يرضى العاشق بالقليل فاذا كان جميل  
يقول :

وانا لنرضى من بشينة بالذى  
لو أبصره الواشى لقرت بلبله  
بلا ؛ وبالا أستطيع ؛ وبالمنى  
وبالامل المرجو قد خاب آمله

فشاعرنا ذو الرمة يرضى من محبوبته بمجرد انصاتها  
لشكواه دون أن يكون منها بذل أو مشاركة :

وانا لنرضى حين نشكو بخلوة  
اليهن حاجات النفوس بلا بذل

وتعلم الاستمانة بكل شئ حتى الموت اذا تيسر له اللقاء  
بمن يحب :

ألا . لا أبالى الموت ان كان قبله  
لقاء بـمى ؛ وارتجاع من الوصل

---

(١) متى أبل البيت ومعناه : متى أهلك وتحملنى الأيدى على النعش بعد  
أن يخزمنى الموت لاستريح من هذا العذاب .  
(٢) رضخت - منحت وأعطت .

وكيف تشرق الأرض . ويفضر اليوم : ويصبح ميسارنا حين  
تقبل عليه محبوبته اقبال سحابة صاحكة متهللة :

إذا غاب عنهن الغيور ؛ وأشرقت  
لنا الأرض في اليوم القصير المبارك

تيلين ، واستأنسين حتى كأنما  
تهلل أبكار الغمام الضواحك (١)

ويهوئ الأرض لا تمتاز بشيء عن سواها غير أنها كانت يوما  
عنزلا لمحبوبته :

لقد كنت أهوى الأرض ما يستفزني  
لها الشوق إلا أنني من ديارك

بل قد ترتفع مكانتها في عين العاشق الى أن تصبح شبيهة  
بالأماكن المقدسة :

أدور حواليك البيوت كأنني  
إذا جئت عن أتيان بيتك محرم

وقد عمق الحب إنسانيته ، فجعله صديقا لكل عاشق يلتقى به  
دون سابق معرفة :

أخو كل مشفق ينيم فؤاده  
إذا جعلت أعلام أرض تقابله (٢)

كما جعله يلخص لنا في بعض أبياته ما وصل اليه من تجارب  
يمكن أن نطلق عليها « فلسفة الحب » من ذلك ادراكه أن الحب قد  
يبقى رغم تقادم العهد ؛ وزوال آثاره المحسوسة :

عفت ، وعهودها متقدمات  
وقد يبقى لك العهد القديم (٣)

---

(١) أبكار الغمام - الغمام المبكر الذي يقبل أوائل فصل الربيع .

(٢) أعلام أرض - جمع علم وهو الجبل .

(٣) عفت وعهودها متقدمات البيت - المعنى زالت تلك الديار بعد العهد

بها . ولكن ذكرها باقية رغم قدمها .

وكيف يموت الانسان وينشر في لحظات :  
 ليالى مى موتة ثم نشرة  
 لما ألمحت من نظرة وكلام  
 وكيف يهجر الانسان من يحبه مكرها رغم بقاء هذا الحب :  
 وقد عدتني عادات شجر  
 عنها وهجر « والحبيب يهجر » (١)  
 وكيف لا يسمع لما يقوله الوشاة الذين يلذ لهم التفريق بين  
 قلوب المحبين :  
 تغيرت بعدى أم وشى الناس بيننا  
 بما لم أقله من مسدى وملحم (٢)  
 ومن يك ذا وصل فيسمع بوصله  
 أحاديث هذا الناس يصرم ويصرم (٣)  
 كما عرف أن الجزع والشوق لا يعيدان الزمن الذى مضى  
 وولى :  
 وما يرجع الوجد الزمان الذى مضى  
 ولا للفتى من دمنة الدار مجزع (٤)  
 وأرهف حسه فأدرك حنين الحيوان الأعجم حين ينفصل عن  
 رفاقه :  
 فقد أورثتني مى مثل الذى به  
 هوى غربة دانى له القيد قاصر (٥)

- 
- (١) عدتني عادات أو عوادى - أى صرفتني صوارف وشواغل .  
 (٢) من مسدى وملحم ، السدى واللحمة خيوط داخلية فى نسيج الثوب بعضها فوق بعض والمراد : لم أقل شيئاً مما قيل عني ، يصرم - تقطع صلته بالناس .  
 (٣) ولا للفتى من دمنة الدار مجزع - أى لا ينفع الجزع حين الوقوف على الدمن وآثار الديار .  
 (٤) دانى له القيد قاصر - بعير قصر قيده .

وكيف أن الطيور يحزن بعضها الى بعض مثل حنينه محبوبته :

هوى لك ما ينفك يدعوك مادما  
حماما بأجزاء العقيق حمام (١)

والاوقات قد تتفاضل ؛ وتتفاوت :

لمية اذ لا نشترى بزماننا  
زمانا ؛ واذا لا نصطفى من يغولها (٢)

واذ نحن أسباب المودة بيننا  
دماج قواها ؛ لم يخنها وصولها (٣)

والهوى قد يصيب المتدين العاقل كما يصيب غيره فيستهدف  
لسهام اللائمين :

ألا ، لا أرى مثل الهوى داء مسلم  
كريم ولا مثل الهوى ليم صاحبه

ويستوى عصيان الحب والانقياد له :

متى يعصه تبرح معاصاته به  
وان يتبع أسبابه ، فهو غالبه (٤)

وكيف أن الحب قد يأخذ في الازدياد الى أن يصل الى أقصى  
مداه :

فما زال يغلو حب مية عندنا  
ويزداد حتى لم نجد من يزيدها

---

(١) أجزاء العقيق - منعطف الوادي وكل واد عقيق .

(٢) (٣) من يغولها - من يتنكر لها أو يضم لها الشر ، دماج - مندحة -  
متناسكة لم ينقطع ما بينها من اتصال .

(٤) متى يعصه - الخ - معنى البيت : متى يعص الانسان الهوى فانه يشتد  
به . وان اتبع أسبابه وأطاعه غلبه الحب وانتصر عليه أيضا .

ويدرك من تجاربه أن الزمن لا يطمأن اليه ؛ فهو في خوف دائم :

وأشفق من هجرانكم وتشفنى  
مخافة وشك البين ، والشمل جامع

ومن تجاربه فى الحب عرف أن الشوق يقتاد البصر :

ما زلت أتبع فى آثارهم بصرى  
والشوق يقتاد من ذى الحاجة البصرا

والنفس تحن الى حيث يكون من تحب :

هوى تذرف العينان منه وانما  
هوى كل نفس حيث كان حبيبها

وعلمه الحب كيف يعيش فى دنيا من الأحلام والأمنيات :

غداة أمنى النفس أن تسعف النوى  
بمى ، وقد كادت من الوجد تزهق

كما يهدد أشواقه؛ ويكفكف من آلامه بهذا الشعر الذى يصور  
فيه لوايع نفسه ، وأناة قلبه ألم يقل « ثيوكريتوس » لصديقه  
بيكياس : أى صديقى بيكياس ؛ ليس للحب دواء ، انه داء الأدواء  
لا يجدى فيه علاج لكن ربات الشعر وحدهن قدرات على ابرا-العاشق  
وشفائه ؛ فالشعر هو الدواء ، انه حلو ولكن أنى المنال ؟ ألم يكن  
الشعر بلسما شافيا لجراح بولوفيموس لما فتن فى ريعان شبابه  
بعروس البحر جالاتيا (١) . نعم هو الحب الذى أذل من كبرياء  
هذا الأعرابى فجعله يتوسل لمحبوبته قائلا :

سلى الناس هل أرضى عدوك أو بغى  
حبيبك عندى حاجة لا ينالها

والحب هو الذى رقق مشاعره ، وهذب وجدانه ؛ فرقت كلماته

---

(١) شعر الرعاة ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجة .

وعذبت أنغامه واكتست تلك الحلاوة التي أغرت بانسدادها المغنين .  
 هذه بعض ملامح « الحب العذرى » ولامح الحب عند ذى الرمة كما  
 استخلصناها من أشعار المحبين التي هي أصدق في الدلالة على حبهم  
 من كل وصف . . وقد رأينا ذا الرمة « يشارك سائر هؤلاء الشعراء  
 في هذه الملامح بل لا نبالغ إذا قلنا إن عددا ضئيلا من شعراء  
 الحب هو الذى يسمو الى ما يمتاز به ذو الرمة من حرارة الوجدان  
 والصدق فى التعبير ؛ حقا إن تجاربه التى تصور هذا الحب قليلة  
 مكرورة فهي لا تتجاوز الارتحال . والحنين والشوق . ولوم العزال  
 والشكوى من الصدم ؛ والغيرة من الزوج . ولعل مصدر ذلك هو  
 أن « مية » ربما لم تكن تبادله نفس الحب ؛ ولم تعطه من قلبها  
 ما أعطته « ليلي » للمجنون أو بثينة « لجميل » ؛ ولم يعش معها  
 كما عاش قيس مع لبنى . . لكن الذى لا شك فيه أن ذا الرمة  
 قد اكتوى بلهب هذا الحب ؛ وتعذب به ، والذى زاد فى عذابه  
 أنه استمر معه رغم مجاوزته الثلاثين ؛ وهى السن التى يتجاوز  
 فيها الانسان طيش الشباب ، ونزقه .

كما أنه كان متدينا ؛ متمسكا بالأخلاق ؛ كما كان صاحب زوجة  
 وأولاد . . وإن كان الحب الجسور قد يحطم كل حاجز عيما كان  
 منيعا ؛ وقصص العلماء ورجال الدين كالقس وسلامة . والذين  
 صرفهم الحب عن العلم أو الدين الى الوله ؛ والوجد والشعر .  
 والأتين - تزخر بالكثير منها كتب الأدب .

فأذن ذو الرمة شاعر عذرى ، وإن لم يكن من بنى عذرة أصدق  
 هذا انقياس عليه فالحب ليس وقفا على قبيلة دون قبيلة . وإن كانت  
 ظروف الحياة قد تتيح لبعض القبائل من الفراغ أو التحضر مايسمح  
 بديوع هذا الحب وانتشاره بين عدد كبير من شبابها . . ولا يغض  
 مما قلنا أن شاعرنا ذا الرمة لم يصنع قصائد مستقلة فى الغزل  
 وإنما جاء غزله فى مقدمات القصائد كما كان متبعيا فى العصر الجاهلى  
 . . فذو الرمة قد أثر هذا النهج ؛ ربما لينال تقدير وأعجاب  
 النقاد ، والرواة ؛ واللغويين خاصة أنه كان على اتصال مستمر  
 بالبصرة ؛ والكوفة مقر هؤلاء العلماء ؛ كما كان ذا طموح لأن ينال  
 الخطوة لدى الخلفاء والحكام وبخاصة أنه كان فقيرا وفى حاجة

الى العطايا ولم يكن كجميل أو عمر بن أبي ربيعة فكلاهما ينتمى  
الى قوم سادة أغنياء حموهما من السعى ، وطلب المال ، ولذى الرمة  
بيت موداه أن الفقر لم يكن مزرية له عند محبوبته .

وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا  
ولكن جرت أخلاقيهن على البخل (١)

ولقد آخذ عليه النقاد المتحجرون لأنه خالف ما دأب الشعراء  
على ترديده من أن النساء لا يحببن إلا كل صبوح الوجه ؛ كثير المال ؛  
عظيم الجاه . يضاف الى ذلك أن ذا الرمة كان ينافس كبار  
الشعراء كالفردق ؛ وجريز ؛ والراعى النميرى فى مكانتهم ويرى  
نفسه ليس أقل من هؤلاء ؛ لذلك كان كثيرا ما يتساءل : لماذا هو  
دون هؤلاء ؟ كما سأل الفردق فأجابه بأن الذى غص من شأنه  
هو وصفه للدمن ؛ وأبعاد الأطباء وكثرة البكاء ، وهؤلاء الشعراء  
الكبار لا ينظمون شعرهم الا على النهج الموروث التقليدى فكان لابد  
له من مجاراتهم فى ذلك ليتم له التقدم ، والمجارة ؛ ونكاد لا نجد  
ناقدا أو لغويا قديما حاول أن يجعل شاعرا كجميل أو المجنون فى  
طبقة الفردق والأخطل وجريز ؛ لا لسبب الا لأن شعراء الحب قد  
نهجوا نهجا جديدا لم يعتد عليه النقاد كما لم ينوعوا فى الأغراض  
تنويع الشعراء الآخرين .

بقى لنا تساؤل أخير نحب أن نجيب عليه هو : هل كان  
ذو الرمة يحب أكثر من واحدة فبالرغم من أنه أكثر من ذكر محبوبته  
«مبة بنت منذر بن قيس بن عاصم المنقرى» نجده كذلك يتحدث  
عن « صيداء » وعن « خرقاء » فمن هما ؟ وهل هما محبوبتان  
أخريان ؟ أم مجرد صفتين لمية ؟ أراد بهما أن يثير غيبتها ؟ أو يدفع  
الظنون عنها .

فلندع « صيداء » الآن إذ أن أحدا من رواة الأدب لم يشر الى  
حبه لواحدة اسمها صيداء ، ولنتناول بالحديث حبه خرقاء ؛ التى

---

(١) معنى البيت : ان فقرنا لم يزر بنا عندهن ، ولكن بخلهن بالوصال خلق

وعادة فيهن .



اضطرب الرواة فى حبه لها وقد لخص لنا صاحب الألفانى طرفاً من هذا الاختلاف اذ قال : «واختلفت الرواة فى حبه لخرقاء ، فقليل انه كان يهواها ، وقيل بل كاد بها مية ، وقيل بل كانت كحالة فداوت عينه فشبيب بها ؛ وقال فيها نحو قصيدتين أو ثلاث ثم مات ، والذى قال انها كحالة هارون بن عتبة . قال شبيب ذو الرمة بخرقاء بغير هوى وانما كانت كحالة فداوت عينه من رمد كان بها فزال ؛ فقال لها ما تحبين ، فقالت عشرة أبيات تشبيب بى فيها ليرغب الناس فى اذا سمعوا أن فى بنية لتشبيب ففعل ، وقال ابن سلام : شبيب ذو الرمة بخرقاء احدى نساء بنى عامر بن ربيعة ؛ وكانت تحل فلجاً ، ويمر بها الحاج ؛ فتقعد لهم وتحادثهم ؛ وتناديهم ؛ وكانت تجلس معها فاطمة بنت لها ولم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول : أنا منسك من مناسك الحج لقول ذى الرمة :

تمام الحج أن تقف المطايا  
على خرقاء ، واضعة المشام

وأرسلت الى العجيف العقيل ليشبيب بها فقال :

لقد أرسلت خرقاء نحوى جريها (١)  
لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت

وخرقاء لا تزداد الا ملاحاة  
ولو عمرت تعمير نوح ؛ وجات

لكن فى رواية حبيب بن نصر قال : نزل ركب بأبى خرقاء العامرية فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها ؛ وهى لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لهم أبوها : اتعرفين الرجل الذى سقيته صبوحك قالت : لا . والله قال : هو ذو الرمة المقاتل فىك الإقاول . فوضعت يدها على رأسها وقالت : واسوأ تاد . وأبوساه . ودخلت بيتها . فما رآها أبوها ثلاثاً ؛ والضبيب يؤكد الرواية السابقة التى قالت غيرها : انها

(١) جريها - رسولها .

منسك من مناسك الحج ، وعن مصعب بن الزبير : أنه شبب بها  
 ولها ثمانون سنة ، وعن محمد بن يعقوب عن أبيه قال رأيت خرقاء  
 بالبصرة . وقد ذهبت أسنانها ، وإن في ديباجة وجهها لبقية فقلت :  
 أخبريني عن السبب بينك وبين ذى الرمة فقلت : اجتاز بنا في ركب  
 ونحن عدة جوار على بعض المياه فقال : أسفرون فأسفرون غيرى : فقال  
 إن لم تسفروا لأفضحكنك : فسفرت ، فلم يزل يقول حتى أزيد ثم لم  
 أره بعد ذلك . وقال أبو الشيل المعدي : كانت خرقاء البكائية  
 أصبح من القبس . وبقيت بقاء طويلا حتى نسب بها العجيف  
 العقيلي : وعن صباح بن الهذيل أنه مر في طريقه إلى الحج بالنزول  
 الذي تنزله خرقاء ، فإذا امرأة جزلة عندها سباطان من الأعراب  
 نحدثهم : وتناشدهم فسلمت فردت ، ونسبتني فانتسبت لها :  
 ثم قالت لي ما اسمك . قلت صباح ، قالت وأبو من ؟ قلت المغلس .  
 قالت أخذت أول الليل وآخره ، قال فما كان لي همة إلا الذهاب  
 عنها .

ويصفها محمد بن الحجاج التميمي : بأنها عالة بالأنساب  
 كانت وهي قاعدة كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء فخمة الوجه ثم  
 يذكر حديثا طويلا معها : وفي روايه جحظة عن رجل من بني النجار  
 أنه التقى بها أيضا هي وابنتها . « ويؤكد ابن قتيبة تشبيهه بخرقاء  
 فيقول : وكان يشبب أيضا بخرقاء : وهي من بني البكاء بن عامر  
 ابن صعصعة وسبب تشبيهه بها ، أنه مر في سفره ببعض البوادي ،  
 فإذا خرقاء خارجة من خباء لها فنظر إليها ، فوقع في قلبه  
 فخرق ادأوته ، ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : اني رجل على  
 ظهر سفر ، وقد تخرقت ادأوتي فأصلحيتها لي فقالت : والله اني  
 ما أحسن العمل : واني لخرقاء ، والخرقاء التي لا تعمل بيدها  
 شيئا لكرامتها على أهلها . فشبيب بها ، وسماها خرقاء : وقال  
 الفضل الضبي كنت أنزل على بعض الاعراب اذا حججت فقال لي  
 يوما : هل لي أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ، فقلت ان فعلت  
 فقد بررتني : فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر  
 ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتا ففتح له : وخرجت علينا  
 امرأة طويلة حسنة ، بها فوه : فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة  
 ثم قالت لي : هل حججت قط قلت غير مرة : قالت فما منعك من

زيارتى . اما علمت انى منسك من مناسك الحج . قلت واكيف ذلك  
قالت اما سمعت قول عمك ذى الرمة :

تمام الحج أن تقف المطايا  
على خرقاء واضعة اللثام

ولكن البغدادى لا يكتفى بأن يتشكك فى حب ذى الرمة لخرقاء  
وانما يرى أن خرقاء هى مية ففى (١) انجزء الثالث من خزانة الادب  
يقول : استنبر ذو الرمة بحب خرقاء وهى مية ؛ ومما يؤثر عنه  
أنه يخاطب نفسه فى قصيدة طويلة كتبها غزل ونسيب فيقول :

إذا قمت ودع وصل خرقاء ؛ واجتنب  
زيارتها تخلق حبال الوسائل

فمن أين لصاحب الخزانة هذا الرأى ؟ يبدو أنه استخلصه مما  
جاء فى كتاب الإغاني (٢) من أن ذا الرمة لقب لقبته به مية . وكان  
اجتاز بخبائها وهى جالسة الى جنب أمها فاستسقاها ماء . فتألمت :  
قومي فاسقه . وقيل بل خرقاء أدوته لما رآها ، وقال لها اخوزى  
لى هذه فتألمت : والله ما أحسن ذلك فانى خرقاء ؛ قال والخرقاء  
التي لا تعمل بيدها لكرامتها على قومها فقال لأمها : مريها أن  
تسقينى ماء . فقالت لها قومي يا خرقاء فاسقه ماء ، فقامت فأتته  
بماء وكانت على كتفه رمة . وهى قطعة من جبل فقالت اشرب  
يا ذا الرمة . فلعب بذلك ، وهذه القصة نفسها قد سبق أن ساقها  
ابن قتيبة بن خرقاء لا عن مية ، والذي فعله أبو الفرج الإصفيهانى  
لم يكن سوى بعض الاضطراب والخطأ نتيجة لجمعه كل الآراء التي  
قيمت حول هذا الحب . . . وإذا لجأنا الى شعر ذى الرمة - كما  
هى عادتنا - نجده يعضد ، الرأى الأول القائل أن مية غير خرقاء ؛  
« فمية » من بنى منقر ؛ وخرقاء من بنى البكاء بن عامر بن صعصعة  
.. يقول فى احدى قصائده ربما شبه معذرا لى :

(١) لاغانى ج ١٦ ص ١٠٦ .

(٢) خزانة الادب ج ٣ .

ومن حاجتى ؛ لولا التنانى ، وربما  
منحت الهوى من ليس بالمتقارب

عطابيل بيض من ذؤابة عامر  
رقاق الثنايا ؛ مشرفات الحقائق

وإذا كان العطف يقتضى المغايرة كما يقول النحاة ؛ فهما  
اثنتان لا واحدة اذ نجده يعطف خرقاء على مية فى صدد حديثه  
عن رفيق سفره :

جعلت له من ذكرى تعلقة  
وخرقاء ، فوق الواسجات الهواطل  
ويقول فى قصيدة أخرى يمدح بها عبيد الله بن معمر  
التميمي :

أخرقاء للبين استقلت حملها  
نعم غربة فالعين يجرى مسيلها  
كأن لم يرعك الدهر بالبين قبلها  
لمى ؛ ولم تشهد فراقا يزيلها

وإذا لم نستطع أن نتبين ملامح كل منهما من خلال صوره  
المتشابهة ، فإن بيتا كهذا ربما يؤكد لنا ما قلناه من أن خرقاء غير  
مية ؛ فخرقاء السيدة ذات المال والجاه والتي تعترض طريق الحاج  
ونستنشد الشعراء بل تحاول أن تغريهم بالتشبيب ، كما صرح  
بذلك الشاعر العجيف العقيلي فى قوله :

لقد أرسلت خرقاء نحوى جريها  
لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت

خرقاء المرأة العارفة بأسباب الاثارة والفتنة فى التى تدهن  
مارن أنفها بالمسك ، والتى تضع النقاب على وجهها لتزيد فى الاغراء  
لا « مية » الفتاة الحديثة السن التى ليست لها خبرة بمثل ذلك ؛

و شاعر برسم لنا هذه الصورة فيقول بعد أن يصف ظبيته  
تشبيها

للك التي أشبهت خرقاء جلوتها  
يوم النقا بهجة منها ونطهيم (١)

تشى النقاب على عرنين أرنبه  
شما . مارنيا بالمسك مرتوم (٢)

عاجية : ووضع النقاب على الأنف المدهون بالمسك . لا يصدر  
الا عن « خرقاء » التي وصفها لنا الرواة ، ومن الواضح لنا من اقوال  
الرواة ، ومن شعر الشاعر أن حبه « لمية » هو الحب الاول الذي نفذ  
الى قلبه ؛ وهز بنيان نفسه ، بل ولد مع ميلاد شاعريته حين كان  
لا ينظم من القصائد الا الأراجيز ، ولقد اتفق الرواة على أن أول  
قصيدة له فى مية هي أرجوزته التي يستهدها بقوله :

هل تعرف المنزل بالوحيد  
قرا محاء أبد الأبيد

وقد ظل مسيطرا عليه مدى عشرين عاما . كما صرح هو  
بذلك حين حضرته الوفاة بأنه أحب مية عشرين سنة فى غير ربة  
ولا فساد . . . ومن شعره نستطيع ان نجزم بأن أخرى ، ولو كانت  
خرقاء ، التي حدثنا عن حبه لها الرواة - لم تقاسمها هذا القلب  
الذى امتلا بها . ولم يعد يقبل الزيادة فى الحب :

فما زال يغلو حب مية عندنا  
ويزداد حتى لم نجد ما يزيدا

بل لكاد نجزم بأنه لم يكن فى استطاعته التغزل فى سواها دون  
استحضار طيفها المحبوب أمامه ؛ وأن قصائده فى غيرها لم تكن  
سوى قصائد يترجم بها عن حبه لى مع تبديل فى الاسم ؛ بل كثيرا

(١) النقا - مكان ، تطهيم - حسن وتما خلق .

(٢) عرنين - مقدم الأنف ، شما - مرتفعة فى شموخ وسمو ، المارن - ملان

من الأنف ، مرتوم - مدهون .

ما ينسى « خرقاء » أو « صيداء » ليأخذ في الحديث عن « مي » وسنسوق بعض الأمثلة التي تعضد هذه الظاهرة ففي هذه القصيدة التي يستهلها بقوله :

أ ان ترسمت من خرقاء منزلة  
كالوحي في مصحف قد مـ منشور (١)

ينسى أنه يتحدث عن خرقاء فينتقل عنها الى مي مباشرة فيقول :

منازل الحي اذ حبل الصفا علق  
من آل مي جديد غير مبتور

وفي القصيدة التي أشرنا اليها سابقاً ، والتي أولها « أخرقاء للبين استقلت حمواها » يخلط أيضاً بين مي ، وخرقاء - اذ أنه بعد أن يقول : « يزيد التناثي وصل خرقاء جدة . . » يخطأ برفيقه بقوله :

أنا بمي قبل أن تطرح النوى  
بنا مطرحا أو قبل بين يزيلها (٢)

ثم يقول في قصيدة أخرى :

هيهات خرقاء الا أن يقربها  
ذو العرش والشعثعانات الهراجيب (٣)

ثم يقول بعد أبيات منها :

كم دون عية عن خرق ومن علم  
كانه لامع عريان مسلوب (٤)

---

(١) ترسمت - تتبعت ، الوحي - الكتاب ، مع - معي وزال .

(٢) بين - فراق .

(٣) الشعثعانات - الابل الطوال ، والهراجيب - الطوال .

(٤) خرق - فلاة ، علم - جبل ، لامع - يشير بثوبه أو يشير بيده ، مسلوب

- سلب ماله .

ولم يفرد لخرقاء سوى قصيدة واحدة تمكن فيها أن ينتصر على نفسه فينسى - مؤقتا - أن يذكر اسم مي ، وهذا يؤكد لنا أنه لم يكن جادا في حبه لغير مي ، وإنما فعل ذلك ربما ليشير غيرتها، وليوهمها - شأن العشاق من الشعراء أنه مرغوب فيه من النساء ألم يفتعل جميل قصة طويلة حول فتاة عرضت عليه وصلها ؛ وألحت في ذلك ، ولكنه رفض وفاء لبشينة التي لم تدع في قلبه ولو قدر قلامة ظفر فارغا لم تشغله ، وقد سبقهما الى ذلك امرؤ القيس الذي صرف بحبه ، كما يقول مرضعا عن طفلها ذي التمام الذي لم يتجاوز الحول من عمره ، ولقد أسرف الى حد النرجسية في هذا رفيقهما في الشعر وفي العصر عمر بن أبي ربيعة - فما الذي يمنع أن يفعل ذو الرمة ذلك .. والشاعر العربي كثيرا ما يكنى عن محبوبته . أو يخترع لها لقبا ليصرف الناس عنها .. ألم يقل ذو الرمة هذا :

وانى لأنحى الطرف عن نحو غيرها  
حياء ولو طاوعته لم يعادل (١)  
والمجنون يكنى عن ليله تارة بأمر مالك فيقول :  
الا انما غادرت يا أم مالك  
صدي أينما تذهب به الريح اذهب  
وتارة أخرى بأمر بكر :  
لقد شغفتني أم بكر وبغضت  
الى نساء ، ما هن ذنوب

وحينا بأمر حسان :

أستقبلي نفح الصبا ثم شائقي  
ببرد ثنايا أم حسان شائق (٢)  
ويصرح جميل بما يفعله الشعراء تصرّحا يزيل كل شك فيقول :

- 
- (١) أنحى - أميل الطرف .  
(٢) نفح - هبوب ، الصبا بفتح الصاد - ريح شرقية رقيقة باردة .

سامع طرفى حين القاك غيركم  
لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر

وأكنى بأسماء سواك وأتقى  
زيارتكم والحب لا يتغير

وليس معنى ذلك أن خرقاء اسم خيالى أو لقب لمية . وإنما هو اسم حقيقى استطاع الشاعر أن يختبئ خلفه ؛ وربما صاحبة هذا الاسم كانت تعرف أن اسمها لا يعدو أن يكون واجهة « لمية » يخفيها عن أعين الرقباء . . . وكذلك فعل بالأسماء والصفات الأخرى كأم سالم ، وصيداء ؛ والذي يعزز هذا أيضا أن أسماء الأماكن هي بعينها الأماكن التي تذكره كلما مر بها بمحبوبته مى . . . واعتقد أنه لا داعى للاطالة بذكر هذه الأماكن لتأكيد أنها هي بعينها لم تتغير .

ونحن لا ننكر على الشاعر الذى يحمل قلبا كالفراشة المولعة بالزهر - أن يحب أكثر من واحدة فى أوقات متباعدة ؛ وإن كنا ننكر أن يجمع فى قلبه بين حبين أو ثلاثة كما كان يفعل عمر ابن أبى ربيعة . . . فمثل هذا لا يمكن أن نسلميه حبا بالمعنى العذرى . . . وعلى كل فالذى يلوح لنا من معاشة ديوان الشاعر أن الحب الذى صحب رحلة حياته القصيرة ، والذي دام معه طيلة عشرين عاما ، هو حبه لمية ابنة المنقرى . . . وهو الحب الذى جعل منه عاشقا وشاعرا رقيقا تصنع فى شعره الألحان الماخورية التى يتغنى بها المغنون .





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثالث

---

الطبيعة في شعر ذي الرمة



مركز بحوث ودراسات العلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## الطبيعة فى شعر ذى الرمة :

ننتقل بعد هذا الحديث الى شعر الطبيعة عند ذى الرمة بعد أن نعرض عرضا سريعا مركزا لشعر الطبيعة عند أستاذه عبيد بن حصن الراعى النميرى ؛ فلقد كان ذو الرمة تلميذا للراعى وراوية أشعاره كما يقول ابن سلام الجمحى متخطين الحديث عن شعر الطبيعة فى صدر الاسلام ، لأن الحروب ، والغزوات قد شغلت الناس الى حد ما - عن الشعر المتوارث ؛ وسارت بهم فى دروب أخرى جديدة كوصف المعارك الحربية ، وإن كان لبعضهم شعر فى الطبيعة لا يقل روعة عن الشعر الجاهلى ، من ذلك هذه القصيدة التى يصف فيها أعرابى البحر الرهيب الذى لم يكن رأى أهواله من قبل ؛ وذلك حين أغزاه بلال بن أبى بردة من ناحية صور (١) ويندم على تلبيته الدعوة للجهاد ، عازفا عن العطاء الذى ينتظر المجاهدين بعد أن رأى من البحر وأهواله ما لم يره من قبل . . . يقول فى هذه القصيدة :

---

(١) تجارب شعرية للمؤلف .

أقول ، وقد ولى السفين ملججا  
وقد بعدت بعد التقرب صور (١)

وقد عصفت ريح ، وللموج هدة  
وللبحر من تحت السفين هدير (٢)

فله رأى قادنى . . لسفينة  
وأخضر موار السراب ، يمسور (٣)

ترى متنه سهلا اذا الريح أقنعت  
وان عصفت ؛ فالسهل منه وعمور

لئن وقعت رجلاى فى الأرض مرة  
وكان لأصحاب السفين كروور (٤)

ليعترضن اسمى لدى العرض حلقه  
وذلك ان كان الاياب يسير

لقد مزج فيها الشاعر بين احساسه بالخوف والفزع ، وندمه  
على المشاركة فى هذا الجهاد . وبين صور البحر المفرعة . مختارا  
منها كل ما يعبر عن احساسه ، والصدق فى تصويره ، وهذا هو  
شعر الطبيعة الذى تتوفر له عناصر النجاح ، والذى يخلع فيه  
الشاعر على الطبيعة من احساساته ، كما ينتقى منها الجزئيات  
التي تلون الصور التي هي صدى لوجدانه .

فاذا تركنا ذلك الى شعر الطبيعة عند الراعى النميرى الذى  
اخترناه من بين معاصريه لاشتياؤه بوصف الابل حتى لقب بالراعى  
النميرى ولأستاذيته لشاعرنا الذى ندرس حياته وفنونه الشعرية  
فاننا نجده قد اتبع فى الغائب سبيل من سبقه فوصف الكثير من  
مظاهر الطبيعة . وان لم يكن قد احتشد لها احتشاد ذو الرمة  
لإعتماده بشعر الهجاء . والمشاركة السياسية ؛ وذلك لزعامته لقومه  
التي دعت الى الدفاع عنهم بلسانه ؛ وسيفه بالرغم من ذلك .

(١) ملججا - ماخرا فى نجح الماء .

(٢) هدة - دوى .

(٣) يمسور - يضطرب .

(٤) كروور - رجوع .

وبالرغم من قلة ما وصلنا من شعره نرى أنه قد وصف الناقة وصفا  
يشناول كل جزئياتها يصفها في سرعتها ويشبهها بما سوف يشبهها  
به ذو الرمة فيما بعد بـ ( قراقر في آذى « دجلة » تسبح ) ويصف  
رجلها بالخفة والسرعة كرجل الحمار الوحشى ، كما يصف خفيها  
بالسعة والمراوحة فيقول :

ورجل كرجل الأجدري يشيانيا  
وظيف على خف النعامة أروح  
ويصف خديها بأنهما « كالمصحفين خطهما واضح أزهر »  
وإذنيها بأنهما دقيقتان منتصبتان حين تنظر ، وأعضائها  
المناسكة المحكمة بالثناظر ، مقلدا طرفه الذى شبيها « بقنطرة  
الرومي » .. كما يصف حتى زمامها ، فيؤ :

أصفر مجدول من القند ، مارن  
يلاث يعينها فيلوى ويطلق (١)  
ويصفها بالطاعة وصفا جعل بعض الأعراب حين سمع ذا الرمة  
ينشد قصيدته التى يقول فيها :

تصغى إذا شدها بالكور جانحة  
حتى إذا ما استوى فى غوزها تشب (٢)  
يصيح قائلا : علا قلت ما قاله عمك الراعى .. وحين يسأله  
ذو الرمة ماذا قال ؟ ينشده هذا البيت :

ولا تعجل المرء قبل البروك  
وعى بوكيته أبصر (٣)  
كما يصفها بالهدوء وقت حلابها وبالسرعة عند رحيلها فيقول :  
نعوس إذا درت ، جروز إذا غدت  
بوينزل عام أو سديس كبازل

(١) اعلمنا فى الحديث عن الراعى على ما أورده الدكتور محمد نبيه من شعر  
الراعى فى بحثه الجامعى عنه .

(٢) القند - الجلد ، يلاث - يلف .

(٣) استوى - استقر ، الغرز - جبل توسع فيه الرجل عند الركوب .

ويصف رائحة عرقها وصف محب عاشق ؛ فهي تاكل العشب  
والأزهار الطيبة وينضح ذلك عرقا ذا رائحة طيبة على جسدها .  
وكما وصف الناقة ، وصف الثور الوحشى ، ولقد أخطأ  
الدكتور نبيه حجاب فى قوله : شبه عينيه المتوقدتين بعينى الظبى  
البراقتين فى قوله :

يقلب عيني جؤذر بخميـلة  
كساعا قصى الخلفة المتروح

فالجؤذر هو ولد البقرة الوحشية وليس الظبى كما توهم ،  
ووصف الفرس ؛ والذئب والحيات ؛ كما وصف الصائد وقد أعد  
كلابه ، وسهامه المريشة ، ووصف من الطبيعة الصامتة الصحراء .  
وما فيها من همهمات كههمات الجن والبوم ووصف الليل وظلمته  
والسحاب ، والريح التى تسوقه ؛ والبرق الذى يلمع فيه ووصف  
الأنافى وهى تحيط بالرماد احاطة الحواضن ؛ وكأن بقايا هذا  
الرماد « بقايا هناء فى قلائص مجرب » .

كما وصف ما فى الصحراء من أزهار عاطرة كالخزامى التى  
شبهها بالمسك فى قوله :

أنتنا خزامى ذات نشر ، وحنوة

وراح وخطار من المسك ينفح (١)

هذا هو الراعى النميرى الذى سلك طريق الاقدمين فى الاهتمام  
بوصف الطبيعة الحية ، والصامتة ، والذى اهتم بصفة خاصة  
بوصف الابل التى اشتهر بها ، والذى لا شك أنه أوحى بعمله  
هذا الى ذى الرمة أن يسلك الدرب نفسه ويتوع فيه ، بل يقف عليه ،  
وعلى الحب موهبته الشعرية ؛ ولقد قال لمن اتهمه بسلوك الدرب  
الذى سلكه الراعى قبله « أما والله لئن قيل ذلك ؛ فما مثلى ومثله  
الا شاب صحب شيخا فسلك به طرقا ثم فارقه فسلك الشاب  
بعده شعابا وأودية لم يسلكها الشيخ قط (٢) » .

(١) خزامى - أزهار طيبة الرائحة ومثلها حنوة ، راح - نسائم باردة منعشة .

(٢) الاغانى ج ١٦ .

فماذا صنع ذو الرمة أو ما هي الشعاب والأودية التي سلكها بعد ذلك ! لقد كان ذو الرمة من الشعراء المحافظين ، وهم جرير والفرزدق والاختل ثم ذو الرمة ، ففي الوقت الذي برز فيه شعراء غزليون لا يتغنون بسوى الحب كجميل بن معمر والمجنون ؛ وقيس ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والعرجي أو شعراء مدحوا وتغزلوا كالأحوص ، ونصيب ، وشعراء استأثرت بهم السياسة كالكميت وشعراء الخوارج نجد ذا الرمة لا تشغله السياسة ، كما لا يشغله المدح والهجاء فهو مقل في هذين الغرضين ، كما لم يجعل قصائده غزلا كلها ، وإن كان في مطالعة الغزلية أقرب إلى شعراء الغزل العذري ، من شعراء الغزل التقليدي الذي تفتتح به القصائد - بل نجده يحافظ على نمط القصيدة الجاهلية ، وبحق ما قاله أبو عمرو « من أنه ختم الشعر بذى الرمة ، والرجز برؤبة .. »

« فلقد كان ذو الرمة آخر من ذهب مذهب البدو في القصيدة .. » كما يقول بروكلمان .

## ١ - الوقوف على الأطلال :

فهو يبدأ قصائده جميعا بالوقوف على الأطلال باكيا عليها « كما بكى ابن خدام » مستفيدا من كل التراث الشعري الذي سبقه منذ امرئ القيس إلى الراعي النميري أستاذه ومعاصره ، لذلك نجده بالرغم من سلوكه هذا الدرب المؤلف من الوقوف على الأطلال ينوع في وصفها محاولا في كل قصيدة أن يقول شيئا جديدا ، ولو مجرد التغيير اللفظي ، فهو مثلا : يشبه رسوم الديار ، بالكتابة البالية التي أوشكت أن تمحي ، وقد وصفها ليبد بذلك في قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر تجدد متونها أقلامها (١)

فينوع ذو الرمة في التعبير عن هذه الصورة الموزونة ، فيقول

(١) زبر - كتب ، تجدد - تجدد ، متونها - جمع متن وهو الظهر من الشيء .

واعني : أن السيول قد أزالت ما على الطلول من غبار فانكشفت فكانها أقلام أعادت تحديد منازل وانمحي من سطور بعض الكتب .



حيناً ان الأطلال تلوح ككتب منشورة « كما تنشر بعد الطية الكتب »  
وحيناً آخر هي ككتابة ممحوة في كتاب منشور « كالوحي » في  
مصحف قد مح ، منشور « أو كأن هذه الآثار كتاب زبور في مهاريق  
معجم (١) » أو « كأن قرا جرعائها (٢) رجعت به ، يهودية الأقلام  
وحي الرسائل » ، أو أخال نواحيها كتاباً معجماً « وأنوف الطير أقلام  
تخط وتعجم (٣) » .

كأن أنوف الطير في عرصاتيا  
خراطيم أقلام تخط وتعجم

ويفعل مثل ذلك حين يحاول أن يرسم صورة لتلك الحشائش  
التي نمت في ديار محبوبته فيشبهه ذلك بثوب منقوش ، وهذا  
التشبيه من الصور المألوفة المتوارثة ، فيأخذ في عرض هذه الصورة  
في أثواب جديدة من التعبير تبهر القارئ أو السامع ، بل ربما  
نوعه الجدة والتغير ؛ فيعرضها مرة في هذه الصورة :

كأن رسومه بسطت عليها  
ثياب الوشي أو لبس النمارة (٤)

وحيناً

كأنها بعد أحوال مضين لها

بالأشيمين يمان فيه تسهيم (٥)

« أو كمنقوش في ثوب مخمل من الثياب الغالية » على ظهر  
جرعاء الكشب « كأنها سنية رقم في سرة قرام (٦) أو مثل الثوب  
الحميري المخطط .

(١) مهاريق - المفرد مهرق وهو الصحيفة .

(٢) قرا جرعائها - ظهر رمالها .

(٣) الإعجام - وضع النقط على حروف الكلمات .

(٤) النمارة - نوع من الثياب .

(٥) بالأشيمين - جبلين اسمهما كذلك . يمان - ثياب يمانية ، تسهيم -

صور سهام واللوان .

(٦) القرام - الثوب ذو الخمل يستتر به .

ماذا يهيج الشوق من رسم دمنة  
عفت غير مثل الحميرى المسهم

لقد وفق فى أن يعرض علينا الصورة الواحدة فى أزياء من  
اللفظ أو العبارة مختلفة وإن لم يكن إلا مجرد خطوط أو نسات  
صغيرة يضيفها فى كل مرة لهذه الصورة فتعطيها نكهة جديدة ،  
و حين يعجزه اضافة شئ جديد يأتى بأنواع مختلفة لشئ الواحد  
كالشوب فمرة يجعله يمانيا وأخرى يجعله حميريا . . . وللساعر عذره  
فى ذلك . فشقافة عصره الضيقة المحدودة وخبراته بالحياة التى  
لا تتعدى هذه الأرض من بلاده التى تتشابه بقاعها ، كل ذلك جعله  
يحجل فى معانى القدماء التى تناولوها جميعا بهذه الصورة ؛ وإن  
اختلفت صور التعبير عنها .

ولا شك أن اهتمامه بفنه هو الذى جعله يسير باحثا عن  
ثوب جديد يبرز فيه معانيه التى عرضها من قبل فى ثياب أخرى  
مفارقة . . . ولقد منحها الشاعر من قدرته التصويرية رموهيته فى  
اختيار اللفاظ ذات الجرس الخاص - خلاوة وروعة جعلتنا نفسى  
معنا أن هذا المعنى قد تردد على آذاننا أكثر من مرة ، وفى تناوله  
لوصف الاطلال يعتمد على التعبير بالجزئيات الصغيرة ، التى  
باجتماعها تتكون لوحة تلتقى فيها كل ملامح الموصوف ، فحين  
يعبر عن زوال الديار ، لا يعبر عن ذلك تعبيرا مجردا ، وإنما  
ليخاطب حواسنا يعرض علينا صور ما تبقى من آثار هذه الديار :

يمدو لعينيك منيها وهى مزمنة  
نوى ؛ ومستوقد بال ؛ ومحتطب (١)

الى لوانح من اطلال احوية  
كانها خلل موشية تشب

ثم هو بما أوتى من قدرة على الملاحظة الدقيقة ، يعرض عليك  
الوانا من هذه الأشياء الباقية أو التى خلفت أحبابه ؛ وكثيرا ما يقت  
ليحيى هذه الآثار :

(١) سبق شرحهما .

قفا نحى العرصات الهمدا  
والنوى ، والرميم ، والمستواقدا (٢)

والسفع فى آياتهن الخلدا . . .

وهو فى كل قصيدة يعرض علينا صوراً لبعض الآثار تفار  
ما ذكره فى قصائده الأخرى أو يضيف إليها شيئاً جديداً ليمنحها  
نكهة الجدة ، والمغايرة . . فاذا كان فى البيتين السابقين أضاف شيئاً  
جديداً هو الجبل الرميم والأثافى ، فهو فى هذين البيتين يضيف  
الجبل الذى تشد به الخيمة ويعرض الأثافى فى صورة جديدة هى  
أن الأمطار قد هطلت عليها حتى أصبحت كنوق منعطفات على بو .

ولم يبق منها غير أرى خيمة

ومستوقد بين الخصاصات هامد (١)

ضرب بأرواق السوارى كأنه

قرا البو تغشاه ثلاث صعائد (٢)

وفى قصيدة أخرى يذكر هذه الأشياء : قطع الأغنة ؛  
والأثافى ؛ ووتد فقد الجبل الذى يربط به .

به قطع الأغنة ، والأثافى

وأشعث خاذل فقد الاصارا (٣)

كما يذكر فى موطن آخر ملاعب الأطفال ، هذا هو كل ما تبقى  
للمشاعر من الآثار التى تعيده إلى ذكريات الماضى بأفراحه ، وأتراحه ،

(٢) الهمدا - التى لاهياة فيها ولاحركة لذهاب أهلها ، النوى - حفرة حول

الخيمة تحميها من الأمطار ، الرميم - كل شئ قديم بال من جبال وغيرها . السفع -

الأثافى وهى الحجارة التى يطبخون عليها ويوقدون النار التى غيبتها . آيات -

علامات .

(١) أرى خيمة - الجبال التى تشد بها الخيمة ، الخصاصات - الشقوق

والفراغات ، هامد - ساكن .

(٢) ضرب - مضروب ، أرواح السوارى - أوائل المطر السارى ليلاً . قرا البو -

ظهر البو . والبو جلد يحشى تبنا ويوقف لتروهم الناقة أن ولدما حى والمعنى :

أن الأثافى كالبو تحيط به ثلاث نوق صعائد .

(٣) سبق شرحه .

وكثيرا ما يمزج بين هذه الأوصاف لآثار الديار : وبين أسواقه :  
بل كثيرا ما تكتسى هذه الصور مسحة من الحزن . لأنها تذكره بأن  
كل شيء الى فناء :

أودى بها الدهر قدما ، واستحال بها

بكل داج مسف الودق مبحور (١)

أضحت . وكل جديد صائر عجلا  
يوما الى قلة منه ، ونغير

والدهر لا يبقى شيئا على حاله :

فاستبدلت والدهر ذو استبدال  
من ساكنيها فرق الآجال فرائدا تحنو على أطفال (٢)

والبين قطاع ذوى الأوصال

وغير الأيام والليالى

وهو لا يكتفى بذكر آثار الديار ؛ وإنما يتناول بالوصف تلك  
الحيوانات التى ترتع فيها وهو لا يذكر الا الحيوانات التى تمتاز  
بجمالها كالبقر الوحشى المشهور بجمال عينيه ، وكذلك الظباء ،  
والنعام كأنه يضمن بديار من يجب أن تقيم بها الذئاب ؛ أو الشعاب  
أو غيرها من الوحوش المخيفة المفترسة ، بل يكاد لا يذكر تلك  
الحيوانات الجميلة دون أن يذكر معها أولادها ؛ والمحبون دائما  
بمنازول بانسانيتهم وقوة عاطفتهم ، وروحهم الودود التى تسكن الى  
كل جميل أو برى .

لقد رحل الحى وهامى الشيران تطوف فى الربيع كملوك من  
الفرس بطوفون بمعايدهم :

تمشى به الشيران كل عشية

كما اعتاد بيت المرزبان عراجه

كما تخور فيها أولاد الظباء ، وتنتشر الجآذر :

---

(١) أودى بها - أهلكها . استحال بها - غيرها وأزالها . داج - سحب مظله .

مسف - قريب من الأرض . الودق - المطر . مبحور - شارب من ماء البحر .

(٢) الآجال - قطعان البقر الوحشى . فرائد - منفردات . البين - الفراق .

بها كل خوار الى كل صلعة  
ضهل، ورفض المذرعَات القراهب (١)  
وتراب هذا الربع مسك مسحوق ، لما ينبعث فيه من روائح  
الأزهار بعد أن يرشها الندى :  
كان سحيق المسك ربا ترابه  
إذا هضبته بالطلال هواضبه  
وهو يدعو دائما للربع بأن يتردى بألوان من النوار ؛ وتمطره  
السماء .

ترديت من ألوان نور كئانه  
زرابى ، وانهلت عليك الرواعد  
وبالرغم من أن هذا الربع قد هاج أشواقه ، وأشجانه ؛ فانه  
لا يرغب فى أن يقتصر هذا الرى والخصب عليه ؛ وانما يمتد  
فبشمل كل مكان تحل به مى .

## ٢ - الصيف :

كان من الممكن أن أتحدث عن وصفه للطبيعة الصامتة معددا  
مظاهرها ؛ متحدثا عن كل مظهر على حدة ثم أتناول بالحديث وصفه  
للطبيعة الحية سالكا فيها نفس المسلك ، ولكننى آثرت أن أنهج فى  
البحث النهج الذى سلكه الشاعر نفسه فى أغلب قصائده ؛ فهو يقف  
على الاطلال أولا ، وأثناء حديثه عنها يتعرض لسبب ارتحالهم ، وهو  
ما أصاب الربع من جذب وجفاف ؛ وهو فى هذا يعرض علينا  
صورة صادقة - فيما أعتقد - لقسوة الحياة فى البادية ، وبخاصة  
فى أشهر الصيف ؛ حقا ان حديثه عن قسوة الصيف نجده موزعا  
بين حديثه عن قسوة السفر فى البادية ، وبين الحديث عن أسباب  
الارتحال ، ومن هذين المصدرين يمكن أن تجمع خيوط اللوحة التى  
رسمها الشاعر للصيف .

(١) خوار - ولد الطبية ، الصلعة - الطبية ، ضهل - قليلة اللبن - المذرعَات  
- البقرة الوحشى ، والمذرع - الجؤذر ، رفض - فريق ، القراهب - المسنات أو  
الاجسام .

ومن قصيدته التى مطلعها :  
الا أيها الربع الذى غير البلى  
كانك لم يعهد بك الحى عاهد

نقف على أن أهل محبوبته ( خرقاء ) أقاموا فى موطنهم  
بوهبين الى أن تعذر الحصول على الماء ، والمرعى ، وأخذ السفا  
يجول جول الحباب ومع ارتفاع نجم الثريا قصر اليوم من غداته ،  
وعشيه ، ويبس نبات القلقلان ، وأخرج ما فيه من ثمر حين هبت  
عليه الرياح الحواصد « وقد فقس كل بيض طائر المكايى وقد  
اكتست الأرض الصلبة بملاء من السراب ، والظباء فى هذا الحر  
تبحث الثرى تحت جنوبها لتبترد ، كما تلجأ الى الاحتماء من  
وهج الصيف بالغصون المائلة أو بجوانب الشجر كما يبدو  
عليها الذهول ؛ والبدوى الذى يحب البادية ويكره الريف  
بل يحتقره كأثر من آثار عادات المجتمعات العبودية ، حيث يحتقر  
فيها الناس العمل اليدوى لأنه من شأن العبيد ، كما أن البدوى  
يعتقد أن الوباء ينتشر فى القرى فهو دائماً يتجنبها كما يتجنب المدن  
أيضاً فى هذا الحر يتشهى لو يغادر البادية الى الحضر حتى الابل  
أسقط الحر عن أكتافها الوبر ، كما جعلها تنزف عرقاً أسود فى  
أوله ، أصفر اذا مرت عليه ليل ، والحصا يكاد أن يتصدع  
من الحر :

وهاجرة شهباء ذات وديقة

يكاد الحصا من حميها يتصدع (١)

ومن وهج الصيف يلجأ الطائر الى عش سواء ، بل تستظل  
الفريسة مع مفترسها فى ملجأ واحد « تجاوزن ، والعصفور فى  
الجحر لاجئ مع الضبيب ؛ والشقذان ( الحبارى ) تسمو صدورهما ،  
والحرباء قد جعل يبيض لونه ، ويخضر من لفح الهجير غباغبه »  
كما تركزض الجنادب الحصا برجليها أو بأجنحتها من شدة  
الحر .

هذه هى بعض ملامح الصيف التى تلجئ القوم الى الارتحال

(١) وديقة - شدة الحر ، شهباء - قاسية شديدة والشبهة لون أبيض ضارب

الى السواد ، الهاجرة - وقت الظهر عند اشتداد الحر .

الى حيث توجد بعض أعداد المياه يتلمسون فيها الرى ، كما  
يتلمسون المرمى ..

يهم ناوى آل خرقاء منهلا  
له كوكب فى صرة القيط بارد (١)  
لقى بين أجساد : وجرعاء نازعت  
حبلا بهن الجازئات الأوابد

### ٣ - التغزل فى المحبوبة :

حين يتغزل ذو الرمة أو سواه من شعراء العربية فى عصورها  
الأولى . فإنه يلجأ الى رسم العديد من الصور الحسية غالبا لمحبوبته .  
وهذه الصور مستمدة من الطبيعة بنوعيتها وقد عرضنا الكثير من  
هذه الصور حين تحدثنا عن محاسن مى : وحاولنا أن نتعرف على  
ملامحها أو قسما من الجمال كما يراها العربى ، فرأيناه يشبه  
جسمها فى ليونته بالغصن من شجر البان :

وذو غدر فوق الذنوبين مسبل

على البان يطوى بالمدارى ويسرح

كما ان ذراعيها لينان ممتلئان ناعمان كشجر العشر المرتوى  
باناء ، وكفنها ككثيب من الرمل لبدته الأعطار ، كما تشبه الظبية  
فى جيدها : ومقلتها وعطفها :

هى الشبه أعطافا ، وجيدا ، ومقلة

ومية أبهى بعد منها وأملح

وهى :

تجلو بفرع من أراك كأنه

من العنبر الوردى بالمسك يصبح

أسنانها البيضاء النقية التى تشبه :

ذرى اقحوان راحه الليل وارتقى

اليه الندى من رامة - المتروح (٢)

(١) سبق شرحهما .

(٢) اقحوان - زهر الحنظل الرائحة ، الندى المتروح - الهامة عليه

الريشة الباردة .

تحف بترب الـروض من كل جانب  
نسيم كفار المسك حين تفتح (١)

### وصف الابل :

وكما ورث ذو الرمة عن الأقدمين وصف الأطلال : فافاض  
عليه من شخصيته كذلك ورث عنهم وصف الابل وقد رأينا طرفة  
يصف الناقة وامرؤ القيس رغم اشتهاؤه بوصف الخيل له قصائد  
رائعة يصف فيها ناقته ، كما تأثر ذو الرمة في ذلك « بالراعى  
النميرى » الذى عرف عنه ذلك ، ولقب « بالراعى » من أجله ؛ ولقد  
كان ذو الرمة يحفظ شعره ؛ بل يحتج به مدافعا عن نفسه حين  
تحتوشه السنة النقاد ، فحين عابوا عليه قوله :

والقرط فى حرة الذفرى معلقة

تباعد الحبل منها ، فهو مضطرب (٢)

وقالوا له : جعلت لها ذفرى كذفرى البعير - احتج بشعر  
الراعى فى قوله « وذفرى أسيلة » قال أبو عبيدة فغضب العدويون ،  
وقالوا : كيف يحتج بشعر راعى الابل ، وهو أشعر منه ، قال منتجع  
ابن نبهان « انه كان يروى أشعاره ؛ ويجعله اماما » لقد سلك  
ذو الرمة نفس الطريق الجاهلى فى الوصف ، فكان يتبع أجزاء ناقته  
بعد أن يحسن التخلص من الغزل ، فيقول مثلا :

زار الخيال لى هاجعا لعبت

به التنائف ، والمهرية النجب (٣)

---

(١) فار المسك - وعاء المسك .

(٢) الذفرى - صفحة عنق الدابة .

(٣) هاجعا - نائما ، التنائف - جمع تنوفة وهى الصحراء ، المهرية - ابل  
منسوبة الى مهرة ، النجب - النجبة الكريمة ، معرسا - نائما فى أخريات الليل ،  
منجذب - أى منجذب الى المسير ، والمعنى : زار خيال لى نائما لعبت به الصحراوات  
الواسعة والابل النجبية ينام فى أخريات الليل قرب الصباح ، أما سائر الليل فهو  
يقظ مرتحل .



معروسا في بياض الصباح ووقته  
وسائر الليل الا ذلك منجذب  
ثم يواصل الحديث عن نفسه ؛ وعن ناقتة ؛ فهي تشكو  
الحشاش الذي في أنفها كما تشكو من السيور المصفورة حول حقويها ؛  
وهي تئن آنين المريض لعوده ؛ لكنها قوية ، تحب الأبل من حولها  
وتزجر ؛ أما هي فتتسلب من جوارها وتتسل بسرعة ولا يخشى  
راكبها المسقوط رغم احديداب ظهرها عن قطع الفيافي ، فكان  
راكبها على ريح جنوبية شديدة الهبوب ، وهي ذكية مطيعة ؛  
تصغي اذا شدها في الكور جانحة  
حتى اذا استوى في غرزها تثب (١)

وثب الحمار الوحشي المعضض من حلائله ، ولسرعتها تكاد  
تتسل من الحزام لجرد أن ترى راكبها يرفع يده الى عمامته . وهي  
طويلة الجسم ، ضامرة البطن من الترجاف كهلال بدا من خلال  
السحاب ، أنواح ظهرها كحجارة متلاصقة ، أذنها تدل على عتقها  
من التصاب وتنبيه وقلة في الشعر ، ملتصقة السنام من الاجهاد ،  
ذات خد ناعم كمرأة الغريبة أسجح « تدفع بأرجلها الحصا فيتطاير  
من خلفها ؛ وأرجلها كظل الذئب خفة وانطلاقا ، وعيناها عينا ثور  
أسود القرنين ؛ يسيل منها اللغام ، فكأنما ضربت قدام أعينها ،  
قطن مستحصد الأوتار مخلوج ، تلقى بأجنتها أثناء السفر من الاجهاد  
التي يشبه كل منها « دعموص الفراشة مغرق » وما أروع تشبيهه  
رأسها الضخم بقبر المرء من آل تبع ؛

ورأس كقبر المرء من آل تبع  
غلاظ أعاليه ، سهول أسافله (٢)

وكما يصف الناقة المفردة ، قد يصف الأبل مجتمعة لأنهم

(١) الكور - الرجل ، جانحة - مائلة ، الغرز - جبل توضع فيه القدم عند

الركوب .

(٢) آل تبع - ملوك التبابعة وكانوا باليمن قبل الاسلام ، سهول أسافله -

خده طويل ناعم .

عادة يسافرون جماعات خوفا من مخاطر الطريق وهو لا يكتفى بوصف أعضاء الناقة أو الجمل عضوا عضوا بل يصف حتى الزمام وقد ترك أثره على الأرض فكأنه ملاعب حيات ذكور « وصريف أنيابها كصياح البكرات التي يسقى بها ، ويكثر من ذكر كلمات الزجر للابل كهيد ؛ هيد أو « أيا » .

اذ قال حادينا أيا . عسجت بنا

صهايبة الأعراف . عوج السوائف (١)

ويبدو أنه كان يطيل التفرس . والملاحظة ، لمثل هذه الأمور الدقيقة ، التي قد يعبر بها الإنسان العادى دون أن يوليها أى اهتمام ، فهو يلاحظ السفاحين يشوك أيديها ؛ فيعبر عنه بهذه الصورة الدقيقة :

وشاكت به أيدي الجمال . كأنما

يعض به أعلى فراسنها النمل

بل يلاحظ ظل أخفاف الناقة وهو يجرى بازائها فيقول :

لألقاك ؛ قد أدابت ، والقوم كلما

جرت حذو أخفاف المطايا ظلالها

والرحل عليها كعش طائر على نخلة سامقة . ومن دراستنا لشعره نعرف أن له ناقة اسمها صيدح « فقلت لصيدح انتجعى بلالا » كما أن له ناقة أخرى اسمها « أطلال » وثالثة اسمها « عجلى » .

أقول لعجلى بين يـم وداحس

أجدى فقد أقوت عليك الأمالس (٢)

(١) أيا - صوت لزجر الناقة ، عسجت - مدت عنقها فى السير ، الأعراف -

شعر الأعناق ، السوائف - الأعناق أى مائلات الأعناق فى السير .

(٢) يم وداحس - مكانان أو اسمان لناقتين . الأمالس - الأرض الملساء

الصلبة ، أقوت - أفقرت .

وهو يضم الكثير من الحب لناقته : بل كما سنبين فيما  
بعد يكن الحب لسائر حيوانات الصحراء الجميلة كالحمير الوحشي  
والثور والظبي والنعام : وطيورها كالكأكي والقطا . علا غرابة أن  
يخاطبها دائما مخاطبة الصديق : الرفيق ، بل نكاد نتصوره وهو  
يقطع الصحراء وقد نام رفاقه يحدث ناقته بكل ما في نفسه من حب  
وشوق ، وما يشكو منه من آلام ؛ ولو أن بلال بن أبي بردة شعر  
بما يضمره الشاعر لناقته من ود وحب ، لما غابه حين أنشده قصيدته  
التي يمدحه بها والتي يقول فيها :

« فقلت لصيدح انتجعي بلالا ، فصاح بلال يا غلام ، اعطيه  
حبل قتل لصيدح فأخجله ، ويظهر أن الشاعر المرمف الجس أم  
يستطيع الدفاع عن نفسه ، فقال له أبو عمرو بن العلاء علا قلت له  
« ان هذا مثل قوله تعالى « واسأل القرية » أي أهل القرية ؛ ولكن  
عمل يدرى بلال أو سواه ممن استبد بهم غرور السلطان بهذه  
الاحساسات الشاعرة التي يتجاوب فيها الانسان الشاعر مع  
الحيوان ، ألم يقل المتنبي بعد ذلك .

خلقت ألوفا ؛ لو رجعت الى الصبا  
لفارقت شيبى موجه القلب باكيا

حقا لقد كان ذو الرمة محبا بل عاشقا متيما بالصحراء ،  
وما فيها من حيوانات ألفها وأحبها من طول ما مر بها كما أحب وألف  
ناقته التي تشاركه همومه ومسراته ، ذلك هو احساس العربي نحو  
وسيلة حله وترحاله ألم يقل لنا ذو الرمة : ان الاماء يكسون الجمل  
نياب الوشى ؛ ويعتنين به عند العزم على السفر :

أطافت به أنف النهار ، ونشرت  
عليه التهاويل القيان التلائد (١)

ومن المعتاد عند العرب أن تتركب الفتاة الجمل لقوته ؛ ولتوفير  
الراحة لها ، في حين يرتحل الرجل على أى نوع من الابل جمالا أو

---

(١) أنف النهار - أوله . التهاويل - الألمان . القيان التلائد - الاماء المؤنسات

اينقا ، وحين يستقر بهم المطاف تقبل الائمة على هذه الابل بالمسح  
لازالة ما علق بها من شوك أو غبار « كما يمسح الركن الاكف العوائد »  
وهذا أكبر دليل على حب العرب للابل واعزازهم لها لذلك جعلوا لها  
انسابا تنتسب اليها ؛ وذو الرمة ينسب ابله التي تشاركه الرحلة  
تارة الى « الجدیل » وهو فحل مشهور أو الى « العصافير » التي قيل  
انها كانت ابلا وحشية واستؤنست وأول من ملكها النعمان  
ابن المنذر :

نجائب من آل الجدیل ، وشاركت  
عليهن في انسابهن العصافر (١)

أو حميرية النسب : « تمر برحلى بكرة حميرية » أو تنتسب الى  
الفحل « داعر » أو الفحل « الجدیل » السابق :

« أبوهن الجدیل وداعر » - والمسافرون لا يأنفون من أن يتخذوا  
من سواعد الابل وسائد لهم ، كما يشبه حنينه الى مي بحنين الناقة  
الى رفاقها من الابل :

تحزن الى مي كما نحن نازع  
دعاء الهوى ، فارتاد من قيده قصرا

وهو يصفها بالذكاء ، والفتنة ؛ كما يخلع عليها صفات العذارى  
من الخوف والحياء والطاعة حين يدعوها الفحل :

دعاهن فاستسمعن من أين رزه  
بدر كما ارتج الغمام الرواجس (٢)

فيقبلن اربابا ويعرضن رهبة  
صدود العذارى ، واجهتها المجالس

---

(١) العصافر - ابل كانت متوحشة ثم استؤنست للنعمان بن المنذر فيما يقال .

(٢) رزه - صوته ، الرواجس - ارتجس الرعد تردد صوته .

وفى البيت الأخير عبر عن احساس مركب لدى النورق هو  
الافئال مرغمت ؛ والاعراض خائفات ، كل ذلك فى لحظة واحدة ؛  
واحبه للناقة ، وخطواتها فى الطريق يشبهها بترشاق الظمان  
للماء :

لأخافها بالليل وقع كأنه  
على اليد ترشاق الظماء السوابع (١)

ويشبه الفتاة الجميلة بالبكرة البيضاء :

كأنها بكرة أدماء ، زينها  
عشق النجار وعيش غير تزليج (٢)

وتميل الى من تحب بعنقها - كناقاة شد عنانها - ليرتشف  
الصديان من ريقها المشاوج ارتشاق الابل من أحواض المياه .

تسقى . . اذا عجن من أجيادهن لنا  
عوج الأعنة أعناق العناجيج (٣)

صوادي الهام والأحشاء خافقة  
تناول الهيم ارشاق الصاريج (٤)

والصورة الشعرية هنا من النوع المتداخل الذى هو من خصائص  
ذى الرمة التى انفرد بها فى صياغته . . وقد يشبه شعره بنيدر  
الابل ؛ فيقول مخاطباً حساماً المرثى وقومه امرأ القيس :

أحين مالأت الأرض هدرا وأطرقت  
مخافة ضغنى جنبها وأسودعها

---

(١) السوابع - مرت عليها سبعة أيام دون أن تشرب .

(٢) أدماء - بيضاء ، عشق النجار - كرم الأصل ، تزليج - قليل .

(٣) أعناق العناجيج - العناجيج هى جياذ الخيل والابل ، صوادي - عطشى .  
الهيم - العنشاء أى يميل عنقها الى من يقبلها كما يميل العنان عنق الناقة  
وترتشف ارتشاق الابل الظماى لمياه الصهاريج .

كما يجعل للأرض سناما فيقول : « سناما سنام الأرض بالتحيل  
وانقنا » .

ويحزنه أن يسمع اثنين ناقته من الجهد والأعباء :

أثنين الغنى المسلول أبصر حوله  
على جهد حال من نأباه غودا (١)

ولعلنا في نهاية هذا العرض لحديثه عن الناقة ، لا نغفیه من  
العلوم على افراطه الزائد وحرصه الشديد على ألا يدع شيئا له أساس  
بالناقة دون أن يصفه . ولقد حاول الدكتور محمد صبرى أن يدافع  
عنه في صنيعة هذا معلقا على وصفه لأبوال الأبل « بأن هذا وصف  
مصور ، والشئ الحقير قد يكون جليلا في عين المصور » وقد انتقد  
جريتير والفرزدق ذا الرمة على وصفه أبوال الأبل وأبعارها ، وهذا  
يذكرنا بما حدث للمصور الهولندي الحيواني « بول بوتير » فقد  
رسم صورة بديعة تمثل أبقارا في الحلاء وفيها بقرة تبول فكل  
من رأى الصورة شاهد البقرة وهي تبول فعرغت الصورة بالبقرة  
التي تبول وحين عرضت على الأميرة التي عملت خصيصا لها  
رفضتها لذلك فاشتراما أحد الهواة وهي اليوم في أكبر متحف في  
العاصمة الروسية (٢) « والفن - في رأينا - ذوق وانتقاء وليس في  
ما يرى يمكن أن يكون فنا ، وكون هذه اللوحة في أكبر متحف في  
العاصمة الروسية لا يمنحها صفة الروائع الفنية الخالدة ،  
ونذى الرمة صورة عن الناقة وهي تبول فتقطع رغبتها في السير  
أبوالها ، فهنا أعطى هذا الجزء للصورة ملمحا خاصا عاون في  
إبرازها ؛ أما تصويره البول لذاته أو كالصورة الشنيعة التي يصور  
فيها لغام الناقة ، وقد اختلط بالدم يسيل على أنفها ومشفريها ؛  
فمما لا يرضى عنه الذوق ، بل تثير الاستمزاز .

### الحمار الوحشى :

بعد أن يفرغ من وصف الناقة كما رأينا برغب في وصف  
الحمار الوحشى ؛ فيحسن التخلص إليه بقوله :

(١) ثناباه - من استثناء من خاصته .

(٢) الشوامخ ذو الرمة ص ٣١ للدكتور محمد صبرى .

..... حتى اذا استوى فى غرزها شب

وثب المسحج من عانات معقلة

كأنه مستبان الشك أو جنب (١)

ويستمر فى وصف ملامحه ؛ فهو يعدو معترضا مائلا لنشاطه  
كان به ظلعا خفيفا أو يشكو مرضا بجنبه ؛ يحدو أتنا أشباها قوية ،  
رمادية اللون مع خضرة تضرب الى السواد يتنقل بها من مرعى الى  
مرعى ثائرا ، صاخبا ، فاذا داهمه الصيف بحره اللافح فجف الماء  
والرطب ، وصوحت البقل ريح نكباء تهب من ناحية اليمن ، وذهب  
ما فى بطون الحمر من ماء وغذاء ؛ وشم شجر القصباء انتصبت  
حواله الحمر الطويلة الضامرة تراقبه وكأنها تنتظر أوامره للمشروع  
فى الارتحال ، ومع الغروب وعند اصفرار قرص الشمس اشتدت  
به الرغبة فى الانطلاق بحثا عن المراعى ومنابع المياه .. فانطلق  
يحدو حلائله . وكلما تنكبت الطريق منها واحدة بدا عليه الهم  
والحزن ، وصاح عليها بصوت حزين ، وهو يعلو بالأتن النجاد كأنه  
يريد الاضرار بها ، وكلما أرفضت جماعتها أسرع ليجمعها . ويضم  
بعضها الى بعض عاضا أكفاله ، ولسرعتها تشبه ابلا مسرعة يريد أن  
ينجو بها صاحبها من قوم اغاروا عليه . وكل ما يقصده هذا الحمار  
هو عين « اثال » لا يرغب فى عين سواها من عيون الماء .

لقد وصلت الأتن فى الغلس عند انصداع عمود الصبح الى  
تلك العين المطحلبة الطامية التى تصطخب فيها الضفادع والحيتان ،  
ويستل منها جدول كالسيف المنصلت يجرى بين صغار النخل الذى  
ارتفع جريده ( عسيبه ) وقرب هذه العين كمن صائد من قبيلة  
« جلان » المشهورة بالاكتماب بالصيد ، ثيابه ممزقة ؛ رثة ، اختبا  
فلا يتبين شخصه ، أعد سهامه المريشة حتى اذا هبطت الحمر الى

---

(١) مستبان - ظاهر واضح ، الشك - الظلع (عرج خفيف) ، جنب - مريض  
الجنب - المسحج - المعفض ، عانات - جمع عانة وهى القطيع من الحمر الوحشية .

منهل الماء ، وتغيبت رابها الأمر فأملت أعناقها ورفعت آذانها متسمة ، ولكن خريير الماء العذب استمالها وجذبها اليه ( يلاحظ أن الاحساس مركب ) فأقبلت على الماء ؛ وقد اضطربت أكبادها الناشرة من العطش ، حتى اذا وصلت جرع الماء القليلة الى غليظها الملتهب لم تروه أرواء كاملا .

رمى ، فأخطا ، والأقذار غالبية  
فانصعن ، والويل هجيره والحرب

فهربت الأتن بعد أن تركته يندب حظه العاثر ؛ يطان الصخر بحوافره « وطأ تكادله المعزاء تلتهب » وهن في سرعتهن يشبهن خوافي صقر جائع أخذ في مطاردة خرب ضعيف .

وهو في موضع آخر يصف التفاف الأتن حول الثور وتفاليها ؛ وهو واقف في مكان عال كربيئة لقوم عليهم ذحول كثيرة .

فظلت تفالي حول جأب كأنه  
ربيئة أثار عظام ذحولها (١)

والحمار الوحشى فى ليونة جسمه « كأنه عصا قس قوس - لينها راعتدالها » ويصف صوت الثور أثناء جريه السريع « كأنه نحيب الثكالى تارة ، واعتوالها » كما يذكر فى موضع آخر ذنبها بأذه قليل الشعر ؛ تطرد به الذباب ، كما ان الأتن المخططة تحوم حول الماء وتبصبص بأذنانها .

### البقر الوحشى :

اعتاد هو ؛ كما اعتاد الشعراء الجاهليون أن يشبهوا عيون النساء الجميلة بعيون « العين » أى البقر الوحشى وبعيون الأطباء ؛

---

(١) تفالى - تتفالى ، جأب - حمار وحشى صلب شديد ، الربيئة - من يراقب الأعداء من مكان عال ، أثار - جمع ثار ، الذحول - الثارات .



والجآذر وهى أولاد البقر الوحشى ، لكن فى بيان السرعة يشبهون بالثور الوحشى ، وفى القصيدة الاولى من الديوان . وهى القصيدة البائية التى قيل ان ذا الرمة ظل يضيف اليها الأبيات الى أن فارق الحياة ، والتى تمنى جرير أن تكون له من دون شعر ذى الرمة « فان شيطانه كان له فيها ناصحا » والتى يقول عنها : « جرير » . لو لم يكن له سواها أو لو مات دون أن ينظم غيرها لعد من كبار الشعراء . . . ولقد اعتمدنا عليها أكثر ما اعتمدنا فى تحليل ونثر أبياته فى وصف الناقة ، والحمار الوحشى وكذلك فى وصف الثور ، وقد تخلص اليه كما تخلص من قبل بقوله : أذاك أم نمش بالوحشى ذكره (١) ؟ « أى أيهما أشبه فى سرعته بالناقة : الحمار الوحشى أم الثور المنقط الأكرع ؛ الأسود الخدين مع ميل الى الحمرة . الشاب النشيط الذى أقام خلال أشهر الصيف الى أن هزت رياح الحريف نبات الخلفة فجف ، والأرطى تساقطت ذوائبه ، ولما اشتد الحر هاجر مجتازا وهين « وذا الفوارس » تدعوه رائحة الربيب من بعيد ، حتى اذا ضمته الرمال ؛ ولفه الظلام بشملته ؛ واحتوته السحب الممطرة أوى الى شجرة أرطاة استضافته فوجد فيها الدفء والاحتجاب ، وهى شجرة بمنأى عن القطعان الوحشية تتجمع الأبعاد على الكثبان القريبة منها ، وتجول حول جذورها أوراق حائلة شبيهة اللون كأن شجرة التوت قد ألقت بأحمالها حولها فاذا استهل عليها المطر تأرجحت مرايض البقر « حتى يارج الحشب » فكأنها بيت عطار وضع فيه أوعية المسك ( يحويها وتنتهب ) فاذا لمع البرق كشف عن ذلك الثور المنكمش الأبيض ؛ كأنه عزب يلتف فى « قباء » تسيل قطرات المطر من على ظهره وتتدحرج تدحرج الخرز الفضى هوى من نظامه ؛ فاذا دخل الكناس فى الشجرة اقتحمه بروقيه والرمل من حوله « ما بين منقاض ومنكشب » حاشرا نفسه بين عروق الشجرة التى تشبه أطناب الخيمة ، وهو فطن ذكى يتوجس خيفة ، لديه المعية وخبرة بنبأ الصوت لا يكذبه سمعه ، لقد بات يقلقه الندى ؛

(١) أكرعه - قوائمه .

ويسهره تدؤب الريح والوسواس والمطر ؛ حتى اذا بدا الصباح ،  
وجلا عن وجهه أغباش الظلمة عاله تجمع الغيم وتراكمه ، فأصاب  
الثور ما يشبه الجنون فهو يخشى ويرتقب ؛ ثم تلهى بالنبات  
(يلاحظ التتبع لوصف حالته النفسية) الذى حوله ، ومدت الشمس  
أشعتها - بعد أن لاح الصبح المشهور « بنقبتة » أى بلونه كاللهب  
على جبل « عاقر » هاجمته كلاب جوع زرق ضوامر ، لوحها الجوع  
والعطش فالتصقت رثاها بظهرها ، وهى كلاب غضف الآذان ، واسعة  
الأشداق ؛ كالذئاب الضارية التى شدت فى أعناقها سيور جلدية ،  
ويتمادى فى وصف الصائد الذى ورث الاكتساب بالصيد عن والده ،  
وليس له مصدر سواه ، فهو هبال للفرص ؛ تساقط شعر رأسه  
فلم يبق منه سوى قنازع كالغيم المتناثر ، وحين رأى الثور الكلاب  
نفر بجانبه الوحشى ؛ وهو جانبه الأيمن ، فانقضت الكلاب عليه  
فأسرع هارباً لا يقصر فى الجرى كل منهما ؛ حتى اذا الكلاب دارت  
فى الأرض حول نفسها ، وتمكن هو من الفرار راجعه الكبر وعزة  
النفس فرجع إليها ، لقد أدركه خزي ممزوج بغضب فخفف من  
أسرعه رغم أنه سمع نجيب الكلاب الغضف خلف ذنبه ، فاذا تمكنت  
منه أو كادت تمسك بعرقوبه وذنبه ؛ ومن سوء حظها أنها التقت  
بثور غير طياش ولا وجل - كر عليها يمشق روقيه فى صدورهما  
كمجاهد يطلب من الله الأجر والاحتساب ، يطعنهما فى أعناقهما  
طعنات تنتظم الرثات والقلوب بروق حاد (١) كالسيف القاطع ،  
ولما أصبحت الكلاب صرعى ، فهى بين مطعون بطعنة نافذة الى حجاز  
قلبه ، وبين ميت أو موشك على الموت ولّى مسرعاً نشيطاً فرحاً وقد  
خضبت الدماء روقيه ؛ وزايلت نفسه الكروب وهو فى سرعته  
كالكوكب المنقض على عفريت من الجن ؛ لقد ترك الكلاب خلفه بين  
واطى أمعائه برجليه وآخر يعانى سكرات الموت وعروق جوفه  
تشخب دماً . ويضطرب حين يحرق ذنبه ليطرد الذباب كذيل  
السرادق هزله الريح ، أما البقر الوحشى فهو يشبهه بالنساء آناً  
فيقول :

إذا ما نعاج الرمل ظلت كأنها  
كواعب مقصور عليها - حجالها (١)

أو يشبه النساء به أنا آخر :

كأنا رمتنا بالعيون التي بدت  
جآذر حوضى من جيوب البراقع (٢)

ولقد لاحظنا - كما سبق أن أشرنا الى ذلك - كيف أن  
حيوانات الصحراء قد اكتسبت لديه الألفة ، والمودة ؛ فأصبح يحس  
نحوها ما يحسه الانسان نحو الانسان ، لذلك تلاشت فى وجدانه  
الفروق ما بين الانسان والحيوان ، فسيان أن يشبه الانسان  
بمحاسن الحيوان أو يعكس فيشبه الحيوان ببعض صفات الانسان ،  
ظهر ذلك فى وصفه للناقة ، كما ظهر فى وصفه للثور .

كما رأينا الشاعر لا يقف فقط عند الصفات الحسية عند  
الحيوان بل يتغلغل فى وجدانه فيصف لنا احساساته وانفعالاته  
النفسية ، كما يصف ذكاءه وفطنته . . وما أروع تشبيهه الثور  
« وهو راجع من ضحائه » « يختال ويمشى » مثل مشى الهبرزى  
« أى الملك » المسرول .

### الظباء :

نم يفرط فى وصف الظباء افراطه فى وصف الناقة  
أو الحمار والثور الوحشيين ولكن لمساته القليلة التى يتناول بها  
وصف الظبية أدخل فى باب الشاعرية اللماحة من كل أوصافه فى  
الناقة أو الحمار الوحشى . . ذلك أن الذى يثيره فى الظبية ليس  
القوة أو السرعة أو الاهتمام بالتطيع أو الصبر على متابعة السير وإنما

---

(١) مقصور عليها حجالها - مقيمة فى الحجال ومفرد الحجال حجلة ومعى مكان  
مزين بالسنانير تقيم فيه العروس ، والكواعب - الشابات الملتفات الثدى .

(٢) جيوب - فتحات وخروق .

الذى يشيره ربما هو نقيض ذلك يشيره فيها ضعفها ، ورقتها ، فحين  
تلتهب الصحراء فى الصيف يصيبها الدهول والدوار فتبدو كأنها  
صرعى فى الطريق ، أو تهرب من وهجه الى أقصى مكان فى  
كناسها :

ويوم يزير الطبى أقصى كناسه  
وتنزو كنزو المعلقات جناده (١)

ويروقه دائما أن يرسم صورة لبياضها وقد انعكست على  
ظهرها أشعة الضحى أو أشعة ما قبل الغروب التى تلونها بلون  
ذهبى جميل ، ويذكره ذلك ببياض « مية » وقد رشت المسك  
السحيق على صدرها ولبتها بل سائر جسدها . كما يجذبه دائما  
منظر عينيها وهى مذعورة تراقب من بعيد ولدها الضعيف الذاهل  
وما أجمل تعبيره عن ذلك فى الأبيات الآتية :

ذكرتك اذ مرت بنا أم شادن  
أمام المطايا تشرئب ؛ وتسبح (٢)  
من الآفات الرمل أدماء حرة  
شعاع الضحى فى متنها يتوضح  
تغادر بالوعساء ، وعساء مشرف  
طلا ، طرف عينيها - حواليه يلمح  
رأتنا كأننا قاصدون لعهدا  
به ، فهى تدنو تارة ، وترحزح  
هى الشبه أعطافا ، وجيدا ومقلة  
ومية أبهى بعد منها وأملح

وهو دائما يكرر هذا المعنى ، كما لا يجب أن يصف الظبية  
الا وقد جعل كل ما حولها ينبض بالروعة والجمال ذلك لأن جمال

---

(١) كناسه - بيته ومكانه الذى يقيم فيه . تنزو - تضطرب ، المعلقات -  
الوحوش التى علق بها الشرك .  
(٢) سبق شرح الأبيات متفرقة .

ما حولها يزيد في إبراز جمالها . . أنظر إليه وهو يصف عينيها  
الحائمتين حين بصرت بإنسان يدنو نحوها ، وقد وقفت على تلة  
مطورة ، كساها المطر ورقا ناصرا ، وأحاطت بها الرمال الضارب  
لونها إلى الحمرة الذهبية :

فما ظبية ترعى مساقط رملة  
كسا الواكف الغادى لها ورقا نضرا (١)

تلاعا ، هراقت عند حوضي ، وقابلت  
من الجبل ذى الأدعاص أميلة غفرا  
رأت أنسا عند الخلاء ، فأعرضت  
ولم تبد إلا في تصرفها . . ذعرا (٢)

كما أن عنقها حين تمدده مشرئية يبدو جميلا فاتنا ، لذلك  
يشبه به عنق مية ورفيقاتها حين رأينه وعن مرتحات قد جاء  
ليودعهن أو ليودع محبوبته من بينهن :

فألحن لها من خلود أسيلة  
رواء خلا ما أن تشف المعاطس

كما أتلت من تحت أرطى صريمة  
إلى نياة الصوت الظباء الكوانس (٣)

ومن المؤكد أن عاطفة الحنان الأبوى عند ذى الرمة عاطفة  
متقدمة ، فالأسفار التي تطرح به كل مطرح وتعرضه للمهلك في  
وسط الصحراء ، فالماشى فيها كالماشى على حد السيف ، كما يقول

---

(١) الواكف - السحاب المطر ، تلاعا - جمع تلة وهي مسيل الماء إلى  
الوادي . الأدعاص - جمع دعص وهي الكثبان الرملية . أميلة - جمع ميلة وهي  
جبل من الرمل عرض ميل ، غفرا - ضارب لونها إلى الحمرة .  
(٢) أنسا - إنسانا .  
(٣) أتلت - مدت عنقها ، صريمة - رملة .

هو فى بعض قصائده دائم الشوق والحين لغذات كبسده  
ذلك ما جعل بصره يتتبع بالحب ، والرحمة كل فروخ صغير أو حيوان  
صغير نقد رأيناه وهو يصف طير المكاكى ، وقد خلا له الجو فاخذ  
يعلم صفاره الطيران ، كما يصف ضعف هذه الصغار وقسوة  
الطبيعة - حولها ، والنعامة والظلم قد تركا فراخهما فى مكان  
لا مؤيس « نأيا ولا كشب » أى ليس بالقريب أو البعيد ، وحين تغير  
الجو . وتجمع الغيم وبدا يتساقط المطر ، ومد الليل رواقه  
حولهما ، انتهبا الصحراء الى فراخهما نبيا :

لا يذخران من الايغال باقية

حتى تكاد تفرى عنهما الأهب (١)

لا يأمنان سباع الطير أو بردا

ان أظلما ، دون أطفال لها لب

كما أن القطا تحتفظ بالماء فى حواصلها لصغارها ، وتعود  
اليها من بعيد :

ومستبقيات من بلاد تنوفة

لمصفرة الأشداق ، حمر الحواصل (٢)

وفى الأبيات الآتية يكشف عن هذه العاطفة التى تسده الى  
كل ما هو صغير . ضعيف ، لقد كانت الطبيعة ترعى بأعطف الرمال  
اللينة . وقد أودعت ولدها صفصفا من الأرض أو وضعت فوق  
رملة منعزلة لتعرف مكانه ثم لا تلبث أن تنحى مرتفعا من الأرض ،  
وتمد جندها ناظرة اليه :

حذرا على وسنان بصره انكرى

بكل مقيل عن ضعاف فواتر

---

(١) لا يذخران - لا يذخران ، الايغال - التوغل فى الجوى . الأهب -

الجنود جمع اهاب ، اظلما - دخلا فى الظلام ، لب - صعب .

(٢) مصفرة الأشداق حمر الحواصل - فراخها الصغيرة .

وتهجره الا اختلاسا نهارها  
وكم من محب ، رهبة العين هاجر  
حذار المنايا رهبة أن يفتنها  
به ، وهى الا ذاك أضعف ناصر

و حين تسمع صوته الصغير ، أو ترى راكبا يمر قريبا منه  
أو منها ترع ، وتفزع ، فيستبين جمال عينيها ، وما أدق تصويره  
وأروع حين لجأ الى تصغير الصوت ، كما صغر هذا الطلا الأبيض  
اللون الذى قام من نومه باحثا عن أمه ، ومناديا بصوته الصغير  
عليها :

تثور فى قرن الضحى من « شقيقة »  
فأقبل أو من حضن كبداء ، عاقر (١)

رأت راكبا ، أوراها لفواقها  
صويت دعائها من أعيس ، فاتر (٢)

كما يبدى الاعجاب الممزوج بالحنان والحب الأبوى لهذا الطلا  
الصغير ؛ فيشبهه بدملج منسى أو غمامة منفردة يظهرها البرق ؛  
والظلماء شديدة السواد ، كما يردد صوت الأم وهى توقظه من نومه  
« بماء » :

لا ينعش الطرف الا ما تخونه  
داع يناديه باسم « الماء » مغموم (٣)

ولالغته للظباء يخاطبها كما خاطب ناقتة من قبل ، مخاطبة  
الانسان لصديقه الانسان .

- 
- (١ ، ٢) تثور - ثار من نومه . شقيقة - أرض صلبة ، حضن - ناحية .  
كبداء - رملة عظيمة الوسط ، عاقر - لانيات ولا ماء فيها ، لفواقها - الفواق -  
ما بين الحلبتين ، أعيس - ولدها الأبيض ، فاتر - ضعيف .  
(٣) لا ينعش الطرف - لا يرفع طرفه ، الا ماتخونه - الا تعهده ، الماء - بكسر  
الميم صوت نداء الظبية ، مغموم - من البغام وهو أجمل صوت للظبية .

أرى فيك من خرقاء ، يا ظبية النوى  
مشابهة : جنببت اعتلاق الحبائل  
فعيناك عيناها ، ولونك لونها  
وجيـدك إلا أنه غير عاطل

النعام :

في قصيدته البائية التي احتشد لها طول حياته . وكاد أن يجعلها ملحمة ، لو توفرت لها شروط الملحمة والتي عدد أبياتها مائة وواحد وثلاثين بيتا ، صور الأطلال ، كما تغزل في محبوبته مى لا أقول غزلا فقط ، وإنما هو ترجمة صادقة لعاطفته الملتهية نحوها : ثم وصف الحمار الوحشى فالثور الوحشى ، وفي مجال الموازنة بين سرعة ناقته وسرعة غيرها ، تناول بالوصف العظيم الذى هو ذكر النعام فقال :

أذاك أم خاضب بالسى مرتعه

أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب (١)

وكعاداته فى رسم ملامح الحيوان حتى يتعرف عليه رسم ملامح هذا الظليم وهو دائما يستغنى بذكر الملامح الجسمية والنفسية عن الذكر المباشر للحيوان ، وهذه إحدى الظاهرات التى يتميز بها فنه ، ولقد سبقه القرآن الى ذلك فى قوله : « ذات ألواح ودسر » أى السفينة ، كما نجد لطريقته هذه نظائر فى شعر لبيد وأبى ذؤيب الهذلى وغيرهما ، ولكيلا نطيل سنتجنب ذكر الأبيات التى عرض فيها ملامح هذا الحيوان الذى يقال عنه انه طائر أكثر منه حيوانا ، مكتفين باستخلاصها من شعره . لقد وصفه بأن مرتعه مخضب من أكله الحشائش ، كما أنه يبيض بيضا كثيرا قد يصل الى عشرين أو ثلاثين بيضة ؛ قوائمه دقيقة « أى غير ممثلة » ، مرتفع ( مثل البيت سائره ) ضخيم ، طويل خشن ، كأن رجليه عمودان من كبار شجر العشر الضخم طويلان لم يزل عنهما

(١) السى - ما استوى من الأرض ، أبو ثلاثين - فرخا أو بيضة .



القشر ، يرعى النباتات التى تنمو خلال الحجارة فى الصحراء ،  
أسود اللون كأنه حبشى « يبتغى أثرا أو من معاشر من السود يشقون  
آذانهم كأنه يلتف فى مخملة سوداء ذات أهداب ، له جناحان يشبه  
بهما جملا ارتخى الحبل الذى يشد الى ظهره حمليه فتأخرا الى  
الوراء ؛ وحين رأى أن الجو اكفهر من حوله أسرع يبارى نعامه  
صلعاء ، ذات لونين أبيض وأسود ، خاضعة الرأس ليلحقا غراخهما  
التى « جاءت من البيض زعرا ؛ لا لباس لها » الا الرمل اللين « وأم  
برة وأب » كأنما فلقت عنها ببلقعة جماجم يبس أو حنظل خرب  
« ذات أعناق مائلة سوداء كأن الجرب يشمل كل أجسامها ،  
أشداقها كصدوع شجر النبع فى قلل الجبال أو مثل الدحاريج  
وهو نوع من الثمر « كالجوز لم ينبت لها زغب » وأعناقها كنبات  
الكرات الذى طارت أكمامه أو شجر الهيشر الذى سقط ورقه .  
ولعلنا نلاحظ أن تصويره لفراخ النعام قد خلا هذه المرة من  
العاطفة التى نلمسها فى كل وصف وصفه لحيوان ، أو طائر  
صغير ، ويبدو أن هدفه كان إيجاد المشابهة العقلية فقط ، والا فآين  
العاطفة الانسانية فى قوله « شاعل أجسامها جرب » أو « غنقت  
عنها جماجم يبس أو حنظل خرب » فالحنظل المر والجماجم اليابسة  
والجرب صور لا تحمل شيئا من معانى الحب التى ظهرت واضحة  
فى أوصافه لفراخ المكاكى أو القطا أو أطلاء الأطباء .

وربما كان أكثر صدقا حين قال : « اذا هبت الريح الصبا  
درجت به غرابيب » فقست من بيض شديد البياض ، والظلم وهو  
يرعى يخيل لها بشخصه ، كما ينقنق بصوته لتسكن وتطمئن .  
الموضوعات السابقة هى التى كان يعتمد عمدا الى وصفها وهى  
التى استغرقت الجزء الأكبر من اهتمامه .

وقد رأينا فيما سبق أنه يبدوها بعد المقدمة الطللية ، ثم  
القصيد الغزلى بوصف الناقة ثم يشبهها بالحمار الوحشى أو الشور  
فيأخذ فى وصفه ، كما يصف الصحراء الواسعة التى يقطعها  
متحدثا عن قوة احتماله ؛ دون رفقته غالبا ، كما يتحدث عن نشاط  
ناقته وسرعتها التى تفوق نشاط سائر الابل التى تسير معها .

لكنه فى خلال ذلك قد يصف أشياء أخرى وصفا جزئيا  
لا يمنحه الكثير من عنايته السابقة خاصة حين يتناول الصحراء  
وحرها اللاعب بالحديث ، وما أكثر الحيوانات والحشرات ، والطيور  
التي تروج بها الصحراء من ذلك وصفه للحرباء ، والقطا ، والنسر ،  
والغراب ، وكلاب الصيد ، والسراب ، والليل والنجوم والفجر  
والصباح وغير ذلك ، وسنستعرض موضوعاته هذه فى شيء من  
الايجاز الذى يتلاءم مع مقدار اهتمامه بها .

**الحرباء :**

الذى يسترعى انتباه ذى الرمة فى الحرباء هو تأثيره بحر  
الهجرة ، وهو دائما يصوره وهو يعانى من هذا الحر كما يسترعى  
انتباهه أيضا ما استرعى الشعراء قبله استقباله للشمس ،  
واستدارته معها .

فمن الأول هذا التبيت الذى جاء بعقب حديثه عن لظى الصيف  
الذى جعل الجندب يرمح كما جعل الحرباء يلوى رأسه ويترنج :  
إذا جعل الحرباء مما أصابه

من الحر يلوى رأسه ويرنج

وقد فطن ذو الرمة لدقة ملاحظته ، وتردده الكثير بين جوانب  
الصحراء الى تأثير الشمس فى لون الحرباء .. فيبيض لونه ،  
ونخضر جلده حلقه ، وأيا قال العلم فى سبب هذه الظاهرة ،  
والتي تسبب اليه من هذا هو دقة الملاحظة التي تميز بها ذو الرمة  
على سائر شعراء عصره وبخاصة المشهورين منهم كالفرزدق  
وجرير والأخطل الذين شغلهم الهجاء والسياب عن تصوير جمال  
الطبيعة بل حاولوا كما سنرى فيما بعد النيل من ذى الرمة شاعر  
الحب والطبيعة .. وفى هذا التأثير بحرارة الشمس يقول :

وقد جعل الحرباء يبيض لونه

وينخضر من لفح الهجير غباغبه (١)

كما أنه ينتصب بقامته على الاعواد باسطا ذراعيه كالمصلوب

(١) غباغبه - جلدة حلقه .

ويشبح بالكفين شبعا كانه

أخو فجرة ، على به الجذع صالبه (١)

ربما هو يفعل ذلك من شدة وهج الشمس ، أو لأنه لا يعرف أين الشمس ، لأنه يفعل ذلك حين تكون في كبد السماء لا يهتدى الى مكانها ليستقبلها بوجهه كعادته ، وقد كرر هذه الصورة في مكان آخر ؛ ويضيف الى صوره بعض الخطوط التي تخرج بها عن أن تكون مكررة فيقول :

لطي تلفح الحرباء حتى كانه

أخو جرعات ، بز ثوبيه شابع (٢)

فقد أضاف الى الصورة « بز ثوبيه » أي صلب عاريا . . . وفي موضع آخر يوحى اليه هذا المنظر بصورة مغايرة فهو ليس مصلوبا وانما عاص رفع يديه ضارعا الى الله أن يعفو عن خطيئته وذلك حين يكون الحرباء متجها بوجهه الى الشمس :

كان يدي حربائها متشمسا

يدا مذنب يستغفر الله - تائب

ويخرج الصورة في اطار آخر هو أن الحرباء كمصل ينقصه التكبير وهو مسلم في العشي حين تتجه الشمس الى الغروب ونصراني في الضحى حين تكون الشمس في جهة المشرق .

يظل بها الحرباء للشمس ماثلا

على الجذل الا أنه لا يكبر (٣)

إذا حول الظل العشي رأيته

حنيفا ، وفي قرن الضحى يتنصر (٤)

---

(١) فجرة - ارتكب جريمة فصله صالبه .

(٢) بز ثوبيه - خلع عنه ثوبيه .

(٣ ، ٤) الجذل .. جذع الشجرة وأصلها ، حنيفا - مسلما يتجه الى القبلة

شرقا .

ونقد سبقه الى رسم هذه اللوحة الدينية للحرباء شاعر آخر  
هو التاليم بن البراء الفقيمي (١) الذي يقول :

ويوم من الجوزاء أما سيكونه  
فضح ، وأما ريحه فسموم (٢)

إذا جعل الحرباء والشمس تنتظي  
على الجذل من حر النهار يقوم  
يكون حنيفا بالعشى وبالنضحى

يصني لنصرانية ويصوم

وبيتا ذي الرمة أدق ، وأوجز تعبيراً من أبيات الفقيمي .  
فالبيت الأول عند الفقيمي تعبير مباشر ، في حين يشتمل عند ذي  
الرمة على صورة للحرباء وهو منتصب كالمصلي الذي لا يكبر ،  
وغنى البيت الثاني عند الفقيمي إضافة لا مبرر لها وهي « ويصوم » ،  
ولاندرى لم خص الصيام في الضحى علماً بأن الحرباء يصوم اليوم  
كله ويبحت عن ضعامه في الليل بعد غروب الشمس ، لا وقت أن  
تكون في جية الغرب ونحن ننكر باب السرقات بأكمله في البلاغة  
القديمة ونرى أن الشاعر الحق لا يسرق أو يسلمح وإنما قد يختلط  
عليه الأمر فيذكر أبيانا برعتهما في شعره معتقدا أنها له وهي في  
الواقع من محفوظة ، كما حدث لذي الرمة قديما ، وللبارودي  
حديثا ، وهو كشاعر مثقف قد يستمد صوره من ثقافته كما  
يستمدحها من واقعها وليس في كلا الأمرين ما يعيب ، رغم أن  
القدامي قد لاحقوه بتتبع واحصاء الصور والمعاني التي رأوها  
صدي لشعراء آخرين ، كما تبعيم في ذلك بروكلمان في كتابه  
تاريخ الأدب العربي فيقول (٣) : وليس ذو الرمة من الشعراء  
المطبوعين ، فإنه يفتخر بسهره لنظم الشعر الغريب يجنبه السناد  
والحال . . ثم يقول : ومن الظواهر الدالة على قصده الى التقليد

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٣٢ .

(٢) ضح - شمس ، سموم - ريح حارة مريّة .

(٣) تاريخ الأدب العربي ج ١ .

فإنه كان يضمن شعره أبياتا للقدمات في بعض الأحيان . فأخذ  
أبياتا لم يكد يغير فيها لكعب بن سعد الغنوي ، ولبيد والنابغة  
- كما أخذ عن الأعشى تشبيه قوم ينظرون الى زجل أريحي بقيامهم  
لللهلال ، فيقول الأعشى :

أريحي صلت يظل له القو  
م قياما قيامهم للهلال (١)

ويقول الفرزدق :

قياما ينظرون الى سعيد  
كأنهم يرون به هلالا

ويقول ذو الرمة :

قياما ينظرون الى بلال  
رفاق الحي أبصرت الهلالا

ولقد حمل النقاد البلاغيون القدامى عبء الدفاع عن الشاعر  
اذ قالوا ان اللاحق اذا أخرج المعنى في ثوب من التعبير والتصوير  
أجمل وأروع من السابق كان هو أحق بهذا المعنى الذي أخذه ،  
وأبو هلال العسكري يثنى على الأبيات التي صور فيها ذو الرمة  
الحرباء قائلا : وهذه تشبيهات مصيبة عجيبة الاصابة ، دالة على  
شدة الحزن ، وثقوب الذهن ، وقد أجمعت العرب على أن ذا الرمة  
أحسنهم تشبيها (٢) .

### القطا :

ومن الطيور التي ينظر اليها بعين الإعجاب طيور القطا ،  
ولقد شبه مرة بها النجوم وهي تبدو ضعيفة باهتة كالعيون الخوص

---

(١) أريحي - كريم ، صلت - ماض في الامور أو براق الجبين .

(٢) ديوان المعاني لأبي عمال العسكري .

أى التى تضيق وتقترب جفونها من النظر الى ضوء قوى كضوء الشمس .. فيقول :

مصايحه خوص العيون كأنها

قطا خامس أسرابه متميم (١)

ومن أغرب الصور تشبيهه جرعات الماء المتتالية كأوساط القطا المتتابع ، حقا أن هذه الصورة البعيدة النادرة دليل ساطع على نفاذ بصيرته ، وعمق ملاحظته فالابل حينما تسحب الماء بمسافرهما أى تمتص فانه ينسحب اليها متكورا فى لون رمادى كلون طيور القطا ، مثل هذه الصور الرائعة النادرة هى التى جعلت الصيقل الذى قيل عنه انه أنشد شعر ذى الرمة فاستحسنه يقول : ماله قاتله الله ما كان الا ربيقة ، هلا عاش قليلا .. نعم لو عاش قليلا لكان أثرى الشعر العربى بمثل هذه اللوحات الرائعة ولكن كيف يعمر أو يطول أجل من يستنزف حياته كل يوم قطرات فى شعره . ويذكرنا ذلك بأبى تمام حين رآه أحدهم وهو ينشد شعره فتنبأ له : بأنه سيموت شابا « وقد مات أبو تمام أيضا شابا » ولقد شبه مامس الأرض من صدر الناقة وركبتى رجليها ويديها - كما شبه غيره بقطا خمس متجاورات فقال :

مناخ قرون الركبتين كأنه

معرس خمس من قطا متجاور (٢)

وحين يتصدى للحديث عن مناهل الماء كثيرا مايشير الى القطا والحمام الذى يحوم حولها أو يسعى فيها اذا جف ماؤها ، كما يصف هديلها بتراطن قوم من الروم :

اذا ماوردنا لم نصادف بجوفه

سوى واردات من قطا وحمام

(١) خوص العيون - ضيقة العيون ضعيفتها والمراد أن ضوءها قد ضعف .

قطا ، نوع من الحمام ، خامس - فارى السرب منذ خمسة أيام ، متميم - قاصد للسرب .

(٢) قرون الركبتين - ناقة تقتون ركبتها ، معرس - مبيت ، والمراد أن مسها الأرض بصدرها وركبتى يديها ورجليها كخمس من القطا جائئة على الأرض .

كان صياح الكدر ينظرون عقينا  
تراطن أنباط عليه قيام (١)

كما يصفها وقد شربت ثم ملأت حواصلها بالماء عائدة الى  
فراخها الضعيفة :

ومستخلفات من بلاد تنوفة  
لصفرة الأشداق ، حمر الحواصل (٢)

الى مقعدات تطرح الريح بالضحى  
عليهن رفضا من حصاد القلاقل (٣)

ينؤن ، ولم يكسبن الا قنازعا  
من الريش تنوء الفصال الهزائل (٤)

ودائما يصف طيور الصحراء وحيواناتها بالضعف والهزال ،  
كما أن عاطفة الأبوة التي تقلقه تجعله يرى في فراخ القطا الضعف ،  
والحاجة لرعاية أمهاتها . وما أروع تصويره لهذه اللقطة ، وهي  
أن كل قطاة تملأ حوصلتها بالماء ثم تسرع عائدة دون انتظار  
الأخريات أو الاستعانة بهن في حمل سقائها .

إذا ملأت منها قطاة سقائها  
فلا تنظر الأخرى ، ولا تستعينها

### النسر :

لقد وصف النسر ، وذلك في مجال تشبيه نفسه به ، وقد  
ربض فوق ناقته بعينه النافذتين كعيني الصقر :

(١) الكدر - القطا ذو اللون المغبر ، عقينا - ماتعقب منا من ماء ، أنباط -  
النبط غوم كانوا بالعراق .

(٢،٣،٤) مستخلفات - مستبقيات الماء لفراخها . رفضا - متفرقا ، القلاقل -  
نبات ، ينؤن - لا يستطيع النهوض الا بجهد ، قنازعا - نتقا من الريش ، تنوء -  
نهوض ، الفصال - جمع فصائل وهو ولد الناقة ، الهزائل - جمع هزيل أى  
ضعيف .

نظرت كما جلى على رأس رهوة  
من الطير أقنى ينفض الطل أزرق (١)

ويقول أيضا :

كما نفض الأشباح بالطرف غدوة  
من الطير أقنى أشهل العين واقع (٢)

كما يشبه به ذلك الأمير الذى يطرق الناس حوله اطراق الخربان  
أمام الصقر :

ورب أمير يطرق القوم عنده  
كما أطرق الخربان من ذى المخالب (٣)

تخطيت باسمى عنده ودسيعتى  
مصاريع أبواب غلاظ المناكب (٤)

### الغراب :

أما الغراب ، فلا يذكره الا فى موقف الفراق ، فالغراب عند  
العرب - نذير الفراق أو الهجران وحين يختار الكلمة التى تعبر  
عن صوته يختار له كلمة طويلة متنافرة الحروف تدل على غلظ  
صوته هى مستشججات قال الجاحظ فى كتابه الحيوان: « اذا مرت  
على الغراب السنون ، وغلظ صوته قيل شحج » ثم يذكر بيت ذى  
الرمة الآتى :-

---

(١) جلى - ظهر . رهوة - مكان مرتفع ، أقنى أزرق - النسر .

(٢) أشهل العين - فى سواد عينه زرقة .

(٣ ، ٤) الخربان - ذكر الحبارى وهو نوع من الطيور . دسيعتى - أعمالى

العظيمة وشهرتى .



ومستشججات بالفراق كأنها  
مشاكيل من صيابة النوب نوح (١)  
يحققن ما حاذرت من صرف نية  
لمية أمست في عصا البين تقدح (٢)

فقد وصف الغربان بالمشاكيل كما اختار لها ذلك اللفظ  
المستغفر الثقيل ، ولما كانت الغربان نذير شؤم ناسب أن يختارها  
من بين سائر الطيور لتعبر عن همومه وأشجانه في هذا البيت  
الرائع :

أخط ، وأمحو الخط ثم أعيده  
بكفى ، والغربان حولى وقع

وقد نسب هذا البيت الى جران العود ، ولكن الدلائل تؤكد  
أنه لذى الرمة ، فهو يحمل طابعه من التعبير بالصورة التى تتكون  
من جزئيات صغيرة تتكون منها الصورة الكلية ، كما أن التذييل  
الذى جاء به فى قوله : « والغربان وقع » ، له نظير عنده ، من ذلك  
قوله فى وصف رضاب الثغر :

كان السلاف المحض منهن طعمه  
( اذا جعلت أيدى الكواكب تضجع )

وقوله يصف ناقته :

بمخططة الأرجاء أزرى بنيتها  
جذاب السرى بالقوم (والطير هجع) (٣)

- 
- (١) مستشججات - شحيح الغراب صوته الغليظ ، مشاكيل - جمع مشكال. وهى  
من فقت غريزا عليها ، من صيابة النوب - من خيار أهل النوبة .  
(٢) عصا البين - أى عصا الفراق - كناية عن التفرق .  
(٣) مخططة الأرجاء - ضامرة الجوانب والانعاء ، أزرى - ذهب ، بنيتها -  
بنحمتها .

## الطبيعة الصامتة :

لقد تناولت أهم أجزائها وهو وصف الأطلال . كما تحدثت عن الصيف وقسوته لكن الصحراء غنية بمناظرها ، ومظاهر الطبيعة فيها . حقا انها قاسية ، ومدمرة « على مثل حد السيف يمشي دليها » وسالكها دائما يتوقع الهلاك ، لهذا أطلق عليها مفازة تغاولا ، وعلى الناقة « نجاة » كذلك وليريح فيها نواح الشكالي كما أن « لصوت الجن في منكراتها هزير » ولأبوام فيها نوائح « وتغولها واتساعها » يفتات الأحاديث ركبها « ويهملك فيها النسيم ، ولصمتها الرعيب يخيل للسائر فيها أنه يسمع « غناء أناسي بها وتنادى ، ينفها الظلام بعباءته ، وتغوى ثعالبيها والجندب الجون يرمح : وتخشى القطاة الردى من التهاب قيطانها . . ومن أهم مظاهرها سوى ماسبق أن ذكرنا ، السراب : الذى يشبهه بملاءة منسوجة من الحر تلتف بها ثانيا الطريق الجبلية لى الملاء بمصاريع الأبواب ، والريح تتلاعب به :

يجرى ، ويرتد أحيانا . وتطرد

نكباء ، ظمأى من القيظية الهوج (١)

فى قاع صحراء مضر ج بلعاب الشمس ، وكل شىء يتحرك فى السراب ، أعناق الرمال حينما يعبر بها السائر ثم ينظر اليها من بعيد يخالها « أحصنة شقرا » يركضها السراب ، كما يخيل الرائي أن كل مرتفع من الأرض يدور ويلف كفلكة المغزل « يدوم رتواق السراب برأسه كما دوومت فى الخيط فلكة مغزل » .

فلا عجب اذا اختلطت الرؤية ، فى وجدان الشاعر فتخيل الماء صحراء . والابل زوارق ؛ وعبر عن ذلك فى هذا البيت الذى قيل عنه انه من الصور الرمزية فى الأدب العربى « تلك الصور التى يتبادل فيها معطيات الحواس فيشتم الشىء المسموع ويرى لونا للصوت

(١) نكباء - ريح بين الصبا (الشرقية) والشمال . القيظ - الحر الشديد .

الهوج - جمع هوجاء . .

كما يقول الجارم « والنبرة السوداء فى آهاته (١) يقول ذو الرمة  
معبرا عن هذا الاحساس :

كان مطايانا بكل مفازة

قراير فى صحراء دجلة تسبح (٢)

ومن صور الطبيعة الصامتة الليل الذى يقول عنه الشاعر انه  
قد « صبغ الحصى بسواد » كما أنه كجل على ظهر البيداء أو خندق  
مضروب حولها ، ويبدو أن الظلمة فى الصحراء شئ كريبه وجامد  
وحين يشقه بناقته يقول :

شجبت الدجى .. أو مزقتها .. وكلا الفعلين يوحى بالضيق  
كما تبدو روح التحدى من الشاعر لهذا الليل الجاثم على صدر  
الحياة ، ويتصوره أحيانا غابة من الظلمة تكاثف سوادها ، وحينما  
يقترب الفجر ، يغبش الليل مصابيحہ ... تلك النجوم التى تشبه  
« المنها واليعافر » لقد كانت النجوم تسبح فى السماء ، كسرب من  
قطا يرد مناهل الماء ، وتبدو الثريا من بينها كطائر ابن الماء المخلق ،  
والدبران الذى تزعم الأساطير أنه خطب الثريا وزف لها قطيعا من  
الابل فرفضت الزواج منه يتبعها بابلہ « فلا هو مسبوق ولا هو يلحق »  
بعشرين من صفرى النجوم

كانها قلاص كادت عليه تفرق

ولكن الفجر بدأ يهتك ستار الظلام « فالليل «أدهم أبلق» «كما ساق  
الثريا فى ملاءته الفجر » فبدأ الشاعر وصحبه يشربون ويسقون  
ابلهم ، وأخذت تتهلل أساريرهم وانعكس ذلك على الصور التى عبر  
بها عن العجز ، فهى صور كلها زاهية ، فهو كالحصان الأشقر :

وقد لاح للشارى الذى كمل السرى

على أخريات الليل فتق مشهر (٣)

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى للدكتور مندور .

(٢) قراير - زوارق .

(٣) فتق مشهر - مشهور واضح والمراد به الصبح الذى يشبه الفتق فى

نوب الليل .

## كلون الحصان الانبط البطن قائما

تمايل عنه الجل واللون أشقر (١)

أو : كان عمود الصبح جيد، ولبة

وراء الدجى من حرة اللون حاسر (٢)

أما الأشجار والنباتات فقد ذكر منها الكثير اذ أنها مورد خصب من الموارد التى يستمد منها صوره شأنها شأن المظاهر الأخرى للطبيعة ، ومن أمثلة ذلك شجر العشر الذى يشبه به رجبى العظيم فيقول :

« كأن رجله مسما كان من عشر » ، كما يقول أيضا : ألهاه آء ، وتنوم » وهما نوعان من النبات ، وفراخ النعام مثل الدحاريج ويقال ان ثمره كالجوز ، وأشداقها كصدوع « النبع » ، وأعناقها « كالكرات » أو « هيشر » طارت كئامه . وأعناق امرى القيس الحمراء كأنها فوق اللحى « الصرب » أى الصمغ الأحمر ، والجمل كالنخلة من نخل يبرين أو هجر ويصف الروضة حين يريد أن يتحدث عن نكهة فم محبوبته فيفضلها على روضة مطرتها السماء وهبت عليها نسائم ريح الصبا الرخية، بهذه الروضة زهر الحنوة، والذرق الغض ، تعاودها الامطار مرة بعد مرة ، كما يكثر من تشبيه بياض أسنانها بالأقحوان الممطور ، وقد يصف السحابة فى موطن الدعاء لديارها بأن وجودها المطر ، فيقول : سقى دارها سحاب متراكم له صوت أجش ؛ يقبل من ناحية العراق ، له هزيم كالرعد أبيض كالخيول المائلة بجنوبها تستدرها ريح الصبا . وتتداوب حولها ريح تجرى المطر وتمنحه للحياة ، فإذا افترقت المزن دعت سحبا ثقلا « مرجحات » واللفظة تفيد الإمتلاء كما يشبهه الندى فى ضوء الشمس بنثار الفضة .

(١) الانبط - الأبيض ، الجل - الجلال - وهو كساء يوضع على ظهوره .

أشقر - بياض مع حرة .

(٢) حرة اللون - خسة اللون ، حاسر - مكشوفة الوجه .

عنده هي مظاهر الطبيعة التي فتن بها الشاعر ، فصرف اليها كل جهده وحياته ولم يغره طلب المال بالجري وراء المدح الزائف أو الهجاء المقذع حتى زعم البطين الناقد أنه ربع شاعر ، لأنه لا يجارى الشعراء فى الأغراض الأخرى كالمدح والهجاء (١) ولقد كان خيرا للفن عامة ، وللشعر خاصة أن يقصر ذو الرمة فى الأغراض التي أولوها اهتمامهم صارفا عبقريته الى رسم هذه اللوحات الرائعة .

### الخصائص البارزة لشعر الطبيعة عند ذى الرمة :

أولا : نعتبر ذا الرمة امتدادا ؛ بل استمرارا طبيعيا لشعر الطبيعة فى العصر الجاهلي ، وإذا اعتبرنا عصره عصر احياء للشعر (٢) كما يرى الدكتور سيد نوفل فذو الرمة يعتبر عودة وانعطافا الى الشعر فى أزهى عصر من عصوره بالنظر الى العصر الذى كان يعيش فيه ذو الرمة بعد أن انقطع أو توقف قليلا الاهتمام بالشعر ، وانصرف الى غرض جديد هو المشاركة فى الكفاح الدينى والسياسى بعد ذلك ، وكل ما قلناه عن شعر الطبيعة فى العصر الجاهلي يتفق وشعر ذى الرمة الى حد كبير ، كالوصف الحرفى الذى تستقصى فيه كل جزئيات الموصوف ، وكان يكون الوصف غرضا لذاته وهو ما يمكن أن نطلق عليه الوصف الفوتوغرافى أو التسجيلى الذى يلتقط المنظر كما هو دون أن يضيف اليه من ذات الفنان شيئا سوى اختيار زاوية الالتقاط كما أنه يعتمد الوصف تعميда خاصا فى الموضوعات التي اعتاد الجاهليون وصفها كالأطلال والحمار الوحشى والبقر الوحشى ، والناقة ، والصحراء ، ودمج الحديث عن الطبيعة بالفخر بالنفس ، وإبراز القدرة على المخاطرة ، وشيوع الكلمات الغريبة فى وصفهم للابل والحيل

---

(١) الموشح للمرzbاني .

(٢) الطبيعة فى الشعر العربى .

والثيران ، والحمر الوحشية التى يؤتى بها كما قلنا لإبراز  
قوة الناقة أو الفرس ، وبينان مدى صلابتهما .

ثانيا : لكن ذا الرمة ينفرد عن شعراء الجاهلية بما يأتى :

١ - كان الوصف عند الشعراء السابقين جزءا من أجزاء  
القصيدة الجاهلية ، كما أنهم لم يجعلوه همهم . وغايتهم ، فكانوا  
يمدحون كثيرا ، ويتبدلون أحيانا فى المدح طلبا للمال كما كان  
يفعل النابغة والأعشى ، كما يفخرون بقبائلهم أو بأنفسهم ،  
ويصفون حروبهم وأسلحتهم ، مما قد تجنبه ذو الرمة ، لما أصاب  
المجتمع العربى من تغير فى بنائه الاجتماعى ، إذ لم يعد مجتمعا  
قبليا كما كان فى الجاهلية ، وإن ظلت آثار هذا المجتمع باقية .

ولقد غلب على ذى الرمة هذا اللون من الوصف للطبيعة ،  
ويبدو أنه قد راق لمعاصريه فجعله بعض النقاد أوصف الناس فى  
الإسلام ، كما كان امرؤ القيس أوصف الشعراء فى الجاهلية ،  
ونحن نرى وسنؤيد هذا رأى بالدليل فيما بعد - أن ذا الرمة  
كان يحتقر المدح ، كما اضطر اضطرارا إلى الهجاء ولم يمنعه من  
أن يتفوق على معاصريه أو أن يكون ندا لهم فى هذين الفرضين  
سوى إيمانه بأن غرض الوصف الذى أخلص له - الصق بالفن من  
الأغراض التكسبية الأخرى ، فنجده يمدح الأمير أو الخليفة فلا يمدحه  
الابيت أو بثلاثة أبيات غالبا ، يضعها فى نهاية القصيدة كأنها  
شئ منبوذ حقير مستهجن .

٢ - كما انفرد أيضا بدقة ملاحظته التى نشهد معالمها  
واضحة فى الصور الجزئية المتناثرة خلال قصائده ولقد ذكرنا  
بعضها ، ونذكر هنا منها ملاحظته للابل وهى تسير ووجعها من  
لفح الرمضاء تتجه الى غير وجهة أرجلها :

ترى الناعجات: الأدم ينحى حدودها  
... سوى قصد أيدينا شعار مكافح

أو رفاقه الذين ينامون على الحصى من الإعياء فكانهم  
ينامون على الأرائك الوفيرة بعد أن كان نومهم كحسور الطير وعم  
« على شعب الأكوار فوق الحرائك » كما يصور ظل الناقة وهو  
يجرى بجوارها وكيف يلجئ القبط الطائر الى أن يحتوى بعش  
سواه ، ويجتمع الضدان معا فيسكن الضب مع العصفور والنجوم  
تعوم فى السماء ، وخذ الناقة كمرأة الغربية أسجج لأن الغربية  
لا رفيق لها سوى المرأة فتكثر النظر فيها وإزالة كل ضرر عن  
صفحتها . وسرعات الماء كظهور سرب من قضا يتبع بعضه بعضا .  
والسراب يرتفع بالجبل ويهبط به فكأنه فرس أطلع ، ويرسم صورة  
لعين الناقة منعكسة على صفحة الماء فيقول :

كأنما عينها منها ، وقد ضمرت  
واحتثها السير فى بعض «الأضواء» (١) ميم  
والنجوم عند الفجر كعيون تتخاوض وتضيق .

٣ - الجمع بين الوصف الحسى والنفسى لحيوانات الصحراء ،  
وهو كثيرا ما يخلع عليها صفات تتسامى بها الى مرتبة عالية من  
الانسانية ، فلقد رأينا فيما سبق الثور الوحشى تتملكه روح الكبر  
ممتزجة بالغضب ، والحجل من انسحابه من المعركة فيكر الى الكلاب  
راجعا ، ويشتبك معها فى معركة دامية ، والنعام كالمرأة تتصف  
بإطاعة والخضوع بينما الذكر يتصف بالحدب والرعاية والقوة ،  
وهو الذى يتولى قيادة القطيع فى البحث عن المراعى الجديدة ، وهو  
الذى يأمرها بالارتحال ويعيد النافر الناد منها الى القطيع ، بل  
يشكو النور من الهموم التى تمنع عينه من النوم كالشاعر تماما .

باتت لعينه الهموم عودا حوائما تمنعه أن يرقدا  
الا غشاشا خافيا مسيدا . . .

وناقته تحن مثله الى ابل الدهناء :

حنّت الى ابل الدهننا فقلت لها

أمى هلالا على التوفيق والرشد

والقطا يحمل الماء لفراخه فهو (أم برة ، وأب) والمكاكى يعلم  
صغاره الطيران فى الجو ، والطبيرة لا يغادر طرفها ولدها فاذا سمعت  
صوته الصغير أسرع فتزعة اليه . . لقد قلنا من قبل ان الشاعر  
يتميز بعمق العاطفة الأبوية ، كما يشعر بالحب لسكان الصحراء  
من الوحوش والطيور لذلك لم نصادف له بيتا واحدا يعرض فيه  
صورة حيوان من الحيوانات الوحشية المحبوبة صريعا ، بل ينهى  
دائما وصفه لى معركة تدور بين أحد هذه الحيوانات ، وكلاب  
الصيد أو الصياد بانتصار الحيوان وهربه .

فالنعامه تحاصرها كل مظاهر الطبيعة الغاضبة كالليل  
والسحب والمطر ، ومع ذلك تنجو وتعود لفراخها ، والثور ينتصر على  
الكلاب بل يصرع بعضها منها ، والحرر الوحشية لا تصيبها سهام  
الرماة المصوبة ، ويعود الصائد حزينا متحسرا . أما الطبيرة التى  
تحمل ملامح مى فلا يرغب حتى فى مجرد تنغيرها أثناء سيره .

٤ - يصور دائما مناظر الطبيعة وهى فى تحرك أى لا يصفها  
ساكنة جامدة مستقرة انما فى حال تحركها وهذه كما يقول ليسنج  
احدى الفروق التى بين فن النحت أو الرسم وبين الشعر ، فالشعر  
فى امكانه رسم الحركة بخلاف فن النحت الذى يتقيد بلحظة  
زمنية واحدة لا يتعدها ، وشاعرنا ذو الرمة يتتبع بجهاز تصويره  
المنظر أثناء حركته لأن الحركة هى التى تهب لمنظر الحياة ، وقد كان  
ارسطو يعرف المأساة اليونانية « بأنها محاكاة فعل نبيل تام ، لها  
طول معلوم بلغة مزودة بألوان من التزيين ، تختلف وفقا لاختلاف  
الأجزاء (١) . . » ولا أبالغ فأزعم ان قصائده تشبه شعر المأساة  
عن قرب ، وانما يمكن أن نقول : تقرب أن تكون فصلا من مأساة  
تتوافر لها أناقة العرض والحدث بما فيه من بداية وخاتمة ، وكثيرا

(١) الشعر لارسطو ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى .



ما تنتهى نهاية سعيدة فهو يرسم صورة للصحرَاء وهو يتحرك فوقها  
وعى تتحرك بحركته ، كما يتحرك كل ما فيها بفعل السراب الذي  
يجعل آكامها تبلو وتختفى ؛ ويخيل للرائى أن تلال الرمل ابل  
تسير ، أو زوارق تسبح ، كما يصور الثور وهو يشتبك فى معركة  
طاحنة مع كلاب الصيد ، والحمار الوحشى وقد طاردته قوى الطبيعة  
الغاشية . والسحاب المزم . والريح العاصفة والليل الزاحف ،  
والخوف الذى يملأ قلبه ، حتى محبوبته لا يذكرها الا وهى مرتحلة .

هـ - لتقافته ، ونعنى بها احاطته بالتراث الشعرى « فهو من  
الشعراء الرواة » ، ولاتساع تجاربه استطاع أن يعرض أفكاره  
ومعانيه المحدودة بفعل البيئة المغنقة فى صور قشبية وأزياء من  
اللفظ والعبارة تجعلها جديدة ، ولقد كان كما لمسنا ذلك يحاذر من  
تكرار الصور فيضيف اليها بعض اللمسات الصغيرة حتى تتجدد  
معالمها ، كما أنه يمتاز بالقدرة على اكتشاف المشابهة بين أشياء  
تبدو للإنسان العادى متباعدة ، كصورة جرعات الماء التى تشبه  
القطر ؛ كما يورد هذه الصورة التى لا شك انها أثر من آثار الحضرة  
فى شعره ، ربما سمع بها فى البصرة أو الكوفة أو شاهدها عند  
أمير من الأمراء الذين تردد عليهم ، وهى صورة فتاة تلبس ثوبا بدون  
كمين ، وتروح بمروحتها المصنوعة من ريش الطواويس لتطرد الذباب  
عن وجه أمير فارسى . . . ولقد شبه ذنب ناقته وهى تحركه كلما نقلت  
رجلا بهذه الصورة الحضرية الرائعة (١) كما أن له معرفة بالأنواء ،  
ومهاب الرياح وأسماء الأمكنة التى يتحدث عنها ، وخبرته بمعرفة  
أوصاف الحيوانات والطيور والحشرات وعاداتها كإشارته دائما الى  
قوة حاسة الشم عند النيران والخمر الوحشية مثل قوله :

أمسى بوعيين مجتازا لمرتعته

من ذى الفوارس تدعو أنفه الرب (٢)

(١) اشار اليها بروكلمان فى كتابه تاريخ الادب العربى .

(٢) الرب - بفتح الراء المياء الكثيرة ، وبالكسر جمع ربة ما تصنع عليه

الاس من نبات وهو المناسب منا .

كما يشير الى قوة حاسة السمع عندها ، وروح الشك التي تسيطر عليها ويبدو أن هاتين الحاستين وهما حاسة الشم ؛ وحاسة السمع قويتان عند الشاعر ، فهو كثيرا ما يكرر فى شعره كلمات الأرج ولطائم المسك كقوله :

إذا استهلت عليه غيبة أرجت

مرايض العين ، حتى يأرج الخشب (١)

لأنه بيت عطار ، يضمه

لطائم المسك يحويها وتنتهب (٢)

ومى محبوبته ترش المسك على شعرها ، وترائبها ، وصدرها بل تجعله شعاعا تحت ثيابها ، ولغمها رائحة عطرية محببة حتى بعد القيام من النوم ؛ وإذا كان الثور الوحشى حديد السمع ؛ فهو يتوجس « ركزا (٣) ؛ بنبأة الصوت ما فى سمعه كذب » - فان الشاعر يسمع وسط صمت الصحراء هماهم كغناء النصارى ، أو غناء محب عاشق يضرب فى رمال الصحراء .

فلاة لصوت الجن فى منكرايتها

هزير ، وللأبوام فيها نوائح (٤)

٦ - قدرته على اختيار الزاوية التى يلتقط منها صورة المنظر ، فحين يريد أن يشبه مية البيضاء الجسم التى تدهن بالعطر

---

(١) لمبة - مطر غليظ ، أرجت - فاحت منه رائحة طيبة .

(٢) لطائم المسك - أوعية المسك .

(٣) ركزا - همسا .

(٤) هزير - حفيف وسرعة كصوت الريح وسرعتها ، الأبوام - البوم .

والطيب : بالطبيعة لا يشبهها بها الا وهى واقفة فى الضحى أو قرب المساء لتتكسر الأشعة الذهبية على جسمها فتطليه بلون أشعة الشمس الصفراء ، وكذلك حينما يشبه الثور الوحشى النكمش فى ظل شجرة الأرتى ، يشبهه بعزب يلتف فى ثوبه أو قبائه . لقد شبه امرؤ القيس جبل ثبير وقد ألبسه المطر ثوبا من العشب اليابس بعجوز يلتف فى ثوبه أو عباءته المخططة : وذو الرمة هنا : شبه الثور بعزب ملتف فى قبائه ومن الواضح أن نظرة ذى الرمة أدق من نظرة امرؤ القيس ، لا من باب التعصب له ، وإنما لأن كل انسان يعرف أن الشيخ العجوز كثيرا ما يلتف فى قبائه من البرد ، وليس كل انسان يدرك أن العزب ينكمش فى نفسه وحيدا وبخاصة فى الليل .

ويفعل ذلك فى وصفه للأزهار والرياض التى كثيرا ما يصورها وهى بمعزل عن غيرها ليكون أدعى للاعجاب بها ، وقد هطلت عليها الأمطار فازدهرت وتفتحت ، ثم كفت الأمطار عن التهطل . ولكنها تراوحنا بين آن وآخر .

عنده هى خصائص فنه فى وصف الطبيعة - الى جانب ما سنتناوله بالتفصيل عن صوره وتشبيهاته ، ودقة اختياره لكلماته ؛ وتركيبه للعبارة تركيبا خاصا يسهم فى جلاء الصورة وتشبيتها فى النفس .

الباب الرابع

---

المديح والفخر والهجاء  
في شعر ذي الرمة



مرکز تحقیقات کتاب و توثیق علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## المديح :

لقد بلغ المديح فى عصر بنى أمية أعلى ذروته ، فكان الشعراء يترددون على أبواب الامراء ، والخلفاء ، ويتبارون فى المديح ليحصل كل منهم على أكبر قدر من عطايا الامراء والخلفاء ، وكان النقاد والخلفاء ذاتهم يدفعون الشعراء الى التنافس بنقدتهم لمدائحهم ، واجزالهم العطايا للبعض دون البعض الآخر . كما فعل عبد الملك ابن مروان اذ حرم عبيد الله بن قيس الرقيات من أن يعطيه شيئا على قصيدته التى مدحه بها قائلا له :

تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وذلك فى قوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه المذهب  
وتقول فى مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء  
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

بل ربما كان من أسباب تلك الأعاجى التى شاعت فى ذلك العصر الى جانب الاسباب الاخرى السياسية والقبلية هو الصراع على التقرب الى الخلفاء ؛ ونيل الحظوة لديهم وهذا ما كان يقلق شاعرنا ذا الرمة ، فكثيرا ما شكى من أنه لم يعامل معاملة الفحول من الشعراء . . لهذا فقد حاول أن يشارك بنصيب فى فن المديح .

فترودد على البصرة والكوفة وخراسان والشام وغيرها مادحا بعض  
الولاة والامراء ، ولقد مدح هشام بن عبد الملك أميرا وخليفة بثلاث  
قصائد ، كما عتب على عمر بن عبد العزيز حين توجه مدحه مع من  
توجه فتركه واقفا منتظرا على بابه دون أن يأذن له ، وإذا كان  
الشعراء سواء قد قبلوا الذل والاهانة فإنه لم يقبل ذلك وهو ينتمى  
الى بنى تميم القبيلة الشامية التى اولا الاسلام ما أعطت جبل  
مقدتها لأحد كما يقول هو فى بعض قصائده ، لهذا عتب عليه عتابا  
قاسيا ، واصفا كرم نفسه ، شاكيا متألما من المرض الذى حال بينه  
وبين التعجيل بمدحه :

وقائلة ما بال غيلان لم يلح  
الى منتهى الحاجات لم تدر ما شغلى  
ولو قمت مذ قام ابن ليلى لقد هوت  
ركابى بأفواه السماوة والرجل  
ولكن عداى ان اكون أتيته  
عقل أوصاف يشبهن بالخيل  
أنتنى كلاب الحى حتى عرفننى  
ومدت نسوج العنكبوت على رحلى (١)

ومدح ابراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة خال الخليفة  
هشام ، الذى عزل من أجله عبد الله بن عبد الله النضرى وولاه  
بدلا منه على المدينة ومكة والطائف بقصيدة واحدة ، كما مدح  
عبد الملك بن بشر بن مروان وهو ابن عم الخليفة هشام بن عبد الملك  
بيت فى قصيدة طويلة عدد أبياتها تسعة وستون بيتا وهذا  
البيت هو :

نؤم فتى من آل مروان أطلقت  
يداه ، وطابت فى قريش مضاربه

كما مدحه بأربعة أبيات فى نهاية قصيدته التى مطلعها :

---

(١) سبق شرح الأبيات .

خليلى عوجا عوجة ناقتيكما  
على طلل بين القلات وشارع (١)

وما أظنه قد مدح عبد الملك بن مروان لأنه لم يكن قد تجاوز  
الحادية عشرة من عمره يوم وفاة عبد الملك بن مروان الذى توفى  
عام ٨٦ هـ بينما ولد ذو الرمة فى العام السابع والسبعين من  
الهجرة والقصيدة التى أولها :

بكيت ، وما يبكيك عن رسم منزل  
كسحق سبا باقى السخوم رحيضها (٢)

والتى فيها :

اليك ولى الحق أعلمت أركبا  
أتوك بأنضاء قليل خفوضها (٣)

أعتقد أنه قد مدح بها هشام بن عبد الملك ، لا عبد الملك بن  
مروان كما زعم ابن يموت فى مختاراته لشعر ذى الرمة ، وإذا كان  
قد حاول أن يمدح بعض الخلفاء وأقاربهم كعبد الملك بن بشر  
وابراهيم بن هشام، فلقد تردد على أكثر من واحد من الولاة والأمراء  
ويظهر أنه حين قعد به حظه عن التطلع الى أبواب الخلفاء رضى بمدح  
الولاة والقضاة ورجال الشرطة .

فلقد مدح من هؤلاء عمر بن هبيرة الذى كان واليا على العراق  
وخراسان ولاء هشام بن عبد الملك عام ١٠٤ هـ ثم عزل عام ١٠٥ هـ  
وولى بدلا منه على هذه الاقاليم خالد بن عبد الله القسرى ، كما مدح

---

(١) عوجا - ميلا واتجها .

(٢) سحق - قديم بال ، سبا - ثوب من الحرير ، السخوم - السواد أى  
المنزل اسود كهذه الثياب ، رحيضها - غسلها .

(٣) أنضاء - ضعاف مهازيل ، قليل خفوضها - الخفض الراحة أى راحتها  
قليلة ، أعلمت - أخبرت وأرشدت ، أركبا - جمع راكب .



مالك بن المنذر بن الجارود الذي كان رئيسا للشرطة في مدينة  
البصرة ، ولقد كان عبد الملك بن بشر بن مروان أيضا واليا على  
البصرة حين مدحه ذو الرمة بقصيدته السالفة ، كما مدح المهاجر  
ابن عبد الله الذي كان واليا على اليمامة بقرابة ثلاث قصائد ولقد  
كانت إحدى هذه القصائد وهي قصيدته التي مطلعها :

غضا الزرق من مئ فمحت منازل

فما حوله صمانه ، فخمائنه (١)

شكوى من عتيبة بن طرثوث الذي احتال بواسطة رومي كاتب  
المهاجر فسلب ذا الرمة وقومه بثراهم التي يتجمعون حولها . معبرا  
عن مخاوفه من أن يحصل عليها بواسطة أكاذيبه ، وبما يقدمه لنوال  
من رشاءى . . فيقول :

لعل ابن طرثوث عتيبة ذاهب

بعاديتى تكذابه ، وجعائنه (٢)

بقاء منعناه ثمانين حجة

وبضعا لنا اخراجه ومسايله (٣)

جمعنا به رأس الرباب فأصبحت

تعض معا بعد الشـتـيت بـوازلـه (٤)

الى أن يقول :

إذا خاف قلبي جوساع وظلمه

ذكرتك أخرى فاطمأنت بـلابـله

---

(١) محت - زالت وذهبت ، صمانه - حجارته ، وخمائله - أشجاره .

(٢) (٤ ، ٣ ، ٢) عاديتى - بثرى ، تكذابه - كذبه فى ادعائه ، وجعائنه - جمع

جعالة - رشوة ومال يبذله ، منعناه - حميناه ، حجة - سنة ، اخراجه - أحرأته .

مسايله - جمع مسيل للماء ، بوازلـه - أبـله المسنة والمعنى اجتمعت الرباب وهو اسم

قبيلة الشاعر حول هذا البشر واتحدت بعد تفرق فأصبحت تدافع عن نفسها متحدة .

كما مدح الملازم بن حريث الحنفي . رابان بن الوليد ،  
وعبيد الله بن معمر التميمي ، وأبا غسان مالك بن مسيع الذي كان  
رئيسا لقبيلة بكر في البصرة فانضم الى عبد الملك بن مروان وقت  
أن كانت البصرة تحت حكم عبد الله بن الزبير ، وقد كان منصبا  
أخوه واليا عليها ، ويظهر أنه كان فيما بعد ذا منصب وجاه . وقد  
شكا منه الشاعر لأن علي بن بابه الحراس يحولون بينه وبين القاصدين  
«والباب دون أبي غسان مسدود» كما مدح شلال بن أحمد التميمي  
الذي قتل آل المهلب، وقضى على قوتهم، وأخيرا فلقد كان أكثر تردده  
على بلال بن أبي بردة الذي كان واليا على شرطة البصرة عام ١٠٩ هـ ،  
وفي سنة ١١٠ ضم له خالد بن عبد الله القسري الامامة والقضاء  
والاحداث الى ولايته على الشرطة (١) والذي يقال عنه انه أول من  
أظهر الجور من القضاة، وكان يقول: ان الرجلين ليتقدما الى فأجد  
أحدهما على قلبي أخف فأقضى له (٢) وروى أنه وفد على عمر بن  
عبد العزيز بخنصرة فلصق بسارية من المسجد فجعل يصلي اليها  
ويديم الصلاة ، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البدار  
ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال  
العلاء : أنا آتيك بخبره فاتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء ، فقال:  
اشفع صلاتك فان لي اليك حاجة ، ففعل فقال له العلاء قد عرفت  
حالي مع أمير المؤمنين ، فان أنا أشرت بك على ولاية العراق فما تجعل  
لي ؟ قال لك عمالتي سنة وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم قال  
فاكتب لي بذلك، فكتب له بذلك، فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه  
كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والي  
الكوفة : أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا أن نغتر فسبكناه فوجدناه  
خبثا كله والسلام . ويروى أنه كتب الى عبد الحميد : اذا ورد  
عليك كتابي هذا فلا تستعن بأحد من آل أبي موسى على عملك .  
قال أبو العباس المبرد « وكان بلال داهية لقنا ؛ أديبا » ويبدو أن  
بلالا هذا كان يقبل على ذي الرمة ، ويجزل له العطاء ، ولقد حاول

(١) الطبري ج ٧ .

(٢) الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٦٨ .

بعض الحاقدين على ذى الرمة ان يصرفه عنه ، فلقد قال له : «رؤية ..  
علام ؟ تعطى ذا الرمة ، وهو يعمد الى مقطعاتنا فيفصلها ، فيمدحك  
بهاء فقال : والله لو لم اعطه الا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة  
آلاف درهم ، (١) : كما قيل لذي الرمة أيضا « لم خصصت بلالا  
بمدحك : قال : لانه أوطأ مضجعي ، وأكرم مجلسي فحق له أن  
يستولى على شكري لما وضع مو معروفه عندي (٢) لذلك فقد مدحه  
بخمسة قصائد يظهر فيها الجذ والاعتناء ، والحرص على رضاه  
واعجابه .

### اسلوبه فى المدح :

لذى الرمة ثلاثة أنواع من شعر المديح . أولها هو المدح الذى  
يصدر فيه عن ذات نفسه ، وتحس فيه الصدق ، والانفعال وعدم  
التكلف ، وهذا النوع هو الشعر الذى يمدح فيه بعض الولاة أو  
القادة الذين ينتمون الى القبيلة التى ينتمى اليها الشاعر ، وهى  
قبيلة بنى تميم ، وكان الشاعر حين يمدح هؤلاء التميميين إنما  
يمدح نفسه ، وقومه ، من ذلك مدحه لهلال بن أحمد التميمى الذى  
قضى على سلطان آل المهلب فى السند ، وهو يمدحه بالكرم فى بيت  
واحد على عادة القدامى فى المدح بالكرم ثم يأخذ فى وصف بطولته ،  
وحسن قيادته للجند ، وقتله للأعداء وقضائه على الأزد قوم المهلب  
الذين كانوا ذوى عدد وعدد حتى تمنوا لو أن المهلب ( لم يولد ولم  
يلد ) ؛ وبهذا الانتصار رفع هلال مجد تميم حتى تمت النساء أن  
يقدينه بالمال والولد :

التائد الخيل تمطو فى أعتها  
اجدام سير الى الأعداء منجرد (٣)  
رفعت مجد تميم يا هلال لها  
رفع الطرف على العليا بالعمد (٤)

(١) الاغانى ج ١٦ .

(٢) التاريخ الكبير لابن عساكر ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٣) تمطو - تتبختر ، اجدام - اسراع ، منجرد - مواصل السير نحوهم .

(٤) الطرف - بيت من جلد .

حتى نساء تميم وهى نائية  
 بقله الحزن فالصمان ، فاعقد  
 لو يستطيعن اذا نابتك نائية  
 وقينك الموت بالآباء والولد  
 تمنى الأزدي اذ غبت أمورهم  
 أن المهلب لم يولد ، ولم يلد (١)  
 كانوا ذوى عدد دثر ، وعائرة  
 من السلاح وأبطال ذوى نجد (٢)  
 فما تركت لهم من عين باقية  
 الا الأراذل والأيتام من أحد  
 ويختمها بهذا الفخر الذى وصل فيه الذروة التى ما بعدها  
 ذروة :

فى طحمة من تميم لو يصك بها  
 ركننا ثبير لأمسى مائل السند (٣)  
 لولا النبوة ما أعطوا بنى رجل  
 جبل المقادة فى بحر ولا بلد (٤)  
 ومن المعروف أن بنى تميم كانوا أكثر القبائل ثورية وتمردا ،  
 كما أنهم من أوائل من ارتدوا عن الدين بعد وفاة الرسول ولم يعودوا  
 الى حظيرته الا بقوة السلاح .

**أما النوع الثانى :** فهو المدح الذى لا ينبعث من ذات نفسه ،  
 ولا يصدر عن غريزة الفخر والاعتداد بالنفس ولكنه رغم ذلك  
 يحتشد له احتشادا كبيرا وهذا النوع يتمثل فى مدحه لبلال بن أبى  
 بردة ذلك الرجل الذى وصف بأنه «أديب لبق» راوية للأشعار كثير  
 الجدل والمناقشة للرواة والادباء كما كان كثير الضحك ولهذه الصفة

(١) غبت - تأخرت .

(٢) دثر - كثير ، عائرة - كثير .

(٣، ٤) طحمة - دفعة كبيرة ، ثبير - جبل ، السند - ما سجد منه ، المقادة

- القيادة .

قبل منه ذو الرمة قوله : «يا غلام أعطه جبل قت لصيدح» حين مدحه  
ذو الرمة بالقصيدة التي يقول فيها :  
رأيت الناس ينتجعون غيثا

فقلت لصيدح انتجعي بلالا (١)

وقد رأينا فيما سبق مدى اكرامه له رغم مزاعم الوشاة  
والحقادين ، لهذا فقد مدحه بخمس قصائد استغرق المديح أكثر  
أجزاءها ، ومن مظاهر اهتمامه ، واحتشاده لمدحه ، تتبعه لوصف  
ممدوحه بصفاته النفسية والجسدية البارزة ، فهو أبيض ، ضخيم  
واسع العينين ، يبهر الناس بطلعته ، وهو خطيب مصقع :  
إذا المنبر المحظور أشرف رأسه

على الناس جلي فوقه نظر الصقر (٢)

فسلم ، فاختار المقالة مصقع  
رفيع البناء، ضخيم الدسيعة والأمر (٣)

كما يصف شدته، وقوته حين ردع الثائرين في العراق فحمى  
النساء العربيات اللواتي غادرعن الأزواج بعد أن ذهبوا للغزو أو  
مطاردة الأعداء .

ونكلت فساق العراق فاقصروا

وفلما يبق إلا داخل في مخيس

ومنجعر من غير أرضك في حجر (٤)

يفار بلال غيرة .. عربية  
على العربيات المغيبات بالمصر (٥)

كما يمدح قومه ، ويصفهم بالطيبة ، والتخلق بأخلاق النبي .  
والخلفاء الراشدين :

(١) انتجعي - اطلبي واقتدي .

(٢ ، ٣) المحظور - غير المباح ، أشرف رأسه - أطل على الناس - جلي -

أظهر ، مصقع - فصيح بليغ ، الدسيعة - الأخلاق والأفعال .

(٤ ، ٥) داخل - صاغر ، مخيس - سجن ، منجعر - داخل في حجره . حجر -

- ناحية ، المغيبات بالمصر - اللواتي غاب أزواجهن بالبصرة لأن بلالا كان أميرها .

خلفت أبا موسى وشرفت ما بنى  
أبو بردة الفياض من شرف الذكر  
وكم لبلال من أب كان طيبا  
على كل باق فى الحياة ، أو القبر  
خلال النبی المصطفى عند ربه  
وعثمان والفاروق بعد أبى بكر

ولقد عودنا ذو الرمة الصدق فى التعبير عن نفسه ، بل ألزم  
نفسه بالأمدح انسانا لا يستحق المديح فقال فى احدى قصائده  
التي يمدح بها بلالا أيضا :  
ولم أمدح لأرضيه بشعري

لئىما أن يكون أصاب ما لا  
ولكن الكرام لهم ثنائى  
فلا أخزى اذا ما قيل قالا

ولعله قد تفرد بهذه الصفة الاخلاقية النبيلة عن سائر معاصريه  
من الشعراء الذين كانوا لا يأنفون من أن يصفوا القاسى ، سفاك  
الدماء بالعدالة ، كما يصف الفرزدق الحجاج الذى أذل العرب ،  
وقتل فيهم كبرياءهم ، بل قد يهجو الشاعر قوما كبنى أمية ،  
ويعلن عصيانه وخلعه لطاعتهم ثم يعود ليمدحهم حين تضطره الظروف  
لذلك كما فعل الكميت بن زيد الاسدى الذى هجا الامويين ثم  
صالحهم . ومثله عبيد الله بن قيس الرقيات الذى كان زبيريا ثم  
صار أمويا بعد ذلك .

ومن مظاهر صدقه أن مدائحه لبلال تدرك لأول وهلة أنها  
لم تصدر عن عاطفة اعجاب وانما عن رغبة فى المال مع حرص على  
أن يجيد فى المديح ، لهذا نجده يكرر فى القصيدة الواحدة وصفه  
له ولقومه بالكرم ، بل يطالبه بذلك ، فكأنه يخشى أن يحرمه من  
المال الذى حبر قصائده من أجل الحصول عليه ، يقول فى القصيدة  
السابقة :

ذخرت أبا عمرو لقومك كلهم  
بقاء الليالى عندنا حسن الذخر  
أجل ، هو صادق مع نفسه ومع ممدوحيه ، فاذا كنا لا نلمس

عاطفة متدفقة فى مدائح لبلال بن أبى بردة كالعاطفة التى تدور فى شعيرة للمنتمين لبني تميم فأننا نجد فى هذه القصيدة الاهتمام ومحاولة رسم صورة للممدوح ، وحشد لكل مفاخره ، ومع آخر قومه ؛ ثم طلب عن طريق التصريح أو التلميح للغطاء ، ولقد شدت عن ذلك قصيدته التى هى آخر قصيدة الديوان والتى قال عنها المبرد أنها من أحسن القصائد التى مدح بها ذو الرمة بلالا ، فلقد حلت من الأوصاف العامة أو التكرار ، والإلحاح فى الطلب ، وجاءت صورها وعباراتها محكمة النسيج مركزة ، وقد تخيل فيها أن امرأة رأتها يتردد كثيرا على البصرة فتساءلت :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة  
أراك لها بالبصرة العام ثاويا

فقلت لها ، لا إن أهلى لجيرة  
لاكتبه الدهن جميعا وماليا

ولكننى أقبلت من جانبى قسا  
أزورا مرء محضا نجيبا . يمانيا

من آل أبى موسى ترى الناس حوله  
كأنهم الكروان أبصرن بازيا

وفى هذه القصيدة ، ربما لأول مرة ينتقل من وصف الناقة إلى المدح ثم من المدح إلى وصف الناقة ثم يعود إلى المدح مرة أخرى ليختم به القصيدة ؛ حقا أنه فعل مثل ذلك فى الغزل فراوح بينه وبين وصف الناقة والصحرى ومشاهداته فيها ، أما فى المدح فلم يفعل ذلك فى سوى هذه القصيدة وفى انتقاله من المدح إلى الوصف أو العكس لا تشعر معه بالقصد أو التكلف وإنما هو انتقال طبيعى ، انظر إليه حين أراد الانتقال إلى وصف الناقة والصحرى كيف مهد لذلك فقال :

بلال أبى عمرو وقد كان بيننا  
أراجيح يحسرن القلاص النواجيا (١)

---

(١) أراجيح - صحراوات تتأرجح فيها الإبل من السير والتمب ، يحسرن - تعريها من اللحم ، القلاص - الإبل ، النواجيا - السريمة سميت نواجيا تفاؤلا .

فلولا أبو عمرو بلال تزغمت  
بقطر سواها عن نبال زكاييا (١)  
إذا ما مطوت النسج في دف حرة  
النسج . . . . .

**أما النوع الثالث :** فهو هذا المديح الذي تدفعه إليه الحاجة فيما يبدو أو حب مجازاة الكبار من الشعراء فهو لا يصدر فيه عن عاطفة حب أو فخر أو إعجاب كما في النوع الأول أو عن عاطفة ولاء كما في النوع الثاني . . . لذلك جاء شعره في هذا النوع الثالث لا يمت إلى المدح بصلة سوى أنه قد قاله في شخص بعينه ، وذو الرمة المرعش الحس الذي كان ينشد شعره في البصرة ودموعه تسيل بغزارة على وجهه ولحيته ، وصاحب النفس الطموح الأبية ، لم يستطع أن يكذب أو يلبس شعره قناعا براقا زائفا ، وإنما غلبه صدقه على رغبته ، فجاءت قصائده في هؤلاء الذين لا يكن لهم حبا أو ولاء فاترة خالية حتى من عبارات المجاملة ، والا فماذا نقول عن شاعر يمدح خليفة بقصيدة طويلة يستغرق كل أبياتها في وصف رحلته ، وناقته ، ومفتخرا بنفسه ، وتحمله لمشاق السفر ، ولم يذكر هذا الخليفة سوى أنه قد قصده متحملا عناء السفر : « ولم آتكم من أجل أن تعينني في خصومة ، ولا مستجيرا بك من جريرة مجرم ، على نجائب هي من » عطاء الله « لا من عطاء خليفة أو أمير ، نتقى أعداءها بقبينة رعية تضم بينها كل فتى مشبوح الذراعين تتقى به الحرب » شعشاع وأبيض فدغم « ولنعرض بعضا من أبياتها التي ذكر فيها الخليفة :

اليك أمير المؤمنين تعسفت  
بنا البعد أولاد الجديل وشد قم (٢)

(١) تزغمت - رغت ، مطوت - مددت ، النسج - حبل تشد به الرحال ، دف - جنب نافذة كريمة .

(٢) تعسفت - تسير على غير هدى ، الجديل وشدقم - فحلان يسبب الهمما  
الابل الكريمة .



نواشط من يبرين أو من حذائه

(١) من الأرض تعمى في النحاس المخزم

الى أن يقول :

جشمت اليك البعد لا فى خصومة

(٢) ولا مستجيرا من جريرة مجرم

ولو شئت قصرت النهار بطفلة

(٣) هضم الحشا ، براقه المتبسم

تحن الى الدهنا بخفان ناقتى

وأنى الهوى من صوتها المترنم

الى ابل بالزرق أوطان أهلها

(٤) يخلون منها كل علية ؛ معلم

نجائب ليست من مهور أشابة

(٥) ولا دية كانت ولا كسب مائتم

ولكن عطاء الله من كل رحلة

(٦) الى كل محبوب السراقد ؛ خضم

تبرك بالسهل الفضاء وتتقى

عداها برأس من تميم عرمم

ثم يواصل الفخر بقومه فيقول :

وان تدع قيسا قيس عيلان ياتها

بنو الحرب يستعلى بهم كل معظم

كثير الحصا عال لمن فوق ظهرها

(٧) بهامة ملك يفتح الناس مكرم

(١) تعمى - ترمى بالزبد الذى يسيل على مافى أنفها من حلقات النحاس

(النحاس المخزم )

(٢) جريرة - جريمة

(٣) طفلة - ناعمة ، هضم الحشا - ضامرة الخصر

(٤) كل علية - مكان عال ، معلم - كالجبل وهو العلم

(٥) أشابة - مختلطة

(٦) محبوب السراقد - ملك لا يراه الناس ، خضم - كثير العطاء

(٧) مكرم - سيد

هذا هو نموذج يشبه أن يكون كاملا في بيان معالم هذا النوع  
من المدح ، الذي قد يكتفى فيه بيت من عتاب ، كما فعل مع أبي  
غسان مالك بن مسمع الذي لم يذكره في قصيدته الطويلة بسوى  
قوله :

ان العراق لأهلى لم يكن وطننا  
والباب دون أبي غسان مسدود

ومثل ذلك قصيدته التي يلوم فيها نفسه ، ويعاتب الخليفة  
عمر بن عبد العزيز ؛ بل يفخر بكرم نفسه معرضا أو متهما الخليفة  
عمر بن عبد العزيز بالشح والبخل ، ويجاهر فيها بأن ما يحزنه هو  
سهره في تحبير قصائد المديح الرائعة فيه . . كما يمدح عبد الملك  
ابن بشر بن مروان بيت واحد في قصيدة طويلة له هو :

نؤم فتى من آل مروان أطلقت  
يداه ، وطابت في قریش مضاربه

ويمدح هشام بن عبد الملك أيضا بيت واحد فيقول :

الى ابن أبى العاصى هشام تعسفت  
بنا العيس من حيث التقى الغاف والرمـل (١)

بل قد يجمع بين المدح والهجاء في القصيدة الواحدة كما في  
مدحه للملازم بن حريث الحنفي الذي يمدحه فيقول :

أعاذل ان ينهض رجائي بصدـره  
الى ابن حريث ذى الندى والمكارم

ثم ينتقل الى هجاء امرئ القيس قوم هشام المرثى الذى التحم  
معه فى معركة هجائية استمرت فترة طويلة فيقول :

أحار بن عمرو لامرئ القيس تبتغى  
بشتمى ادراك العـلا والمكارم

---

(١) الغاف - شجر بعمان .

كأن أباهما نهشل أو كأنهم  
بشقشقة من رهط قيس بن عاصم  
وغير امرئ القيس الروابي وغيرها  
يداوى به صدع الشأى المتفاقم (١)

لا نحب أن نعرض نماذج لهذا اللون من المديح أكثر من ذلك .  
وانما نقول ان هذا اللون الأخير من المديح هو الذى جعل نقاد  
الشعر ورواة الأدب يتهمون ذا الرمة بالتقصير فى فن المدح وهذا  
فى رأيهم من أسباب تقصيره عن أن يلحق بالفحول من أمثال  
الأخطل والفرزدق ، وجريز ، يقول ابن قتيبة : « وقالوا ذو الرمة  
أحسن الناس تشبيها وانما وضعه عندهم أنه كان لا يجيد المدح  
ولا الهجاء » (٢) ويسأل الفرزدق قائلا : فما لى لا أعد فى الفحول من  
الشعراء ؟ فيجيبه قائلا : « يمنعك من ذلك ذكر الأبعاد ، وبكاؤك  
الديار » وكان الأصمعى يقول :

« انما وضع من ذى الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ؛ ولا يمدح »  
فما السر فى انصرافه عن المدح وتقصيره ، خاصة مع هؤلاء الخلفاء  
والأمراء الذين أشرنا اليهم فى النوع الأخير من فن المديح ، يرجع  
سر ذلك - فى رأينا - الى حساسية ذى الرمة ، وعلم النفس يقرر  
أن السوداويين الذين يميلون الى الضمور والنحول كذى الرمة  
يكونون ذوى أنفس منفعة متوترة حساسة انطوائية غالبا ؛ فلم يكن  
يروق له ما يعامل به الشعراء على أبواب الحكام والولاة لذلك كان  
كثيرا ما يعاتبهم عتابا هو أدخل فى باب الهجاء منه فى باب العتاب  
كما فعل مع الخليفة عمر ، ومع ابن مسمع .

بل قد هجا أحدهم وهو الحكم بن عوانة الوالى على خراسان  
لأنه غاب شعره كما يقول صاحب كتاب الإغاني . لذلك لم يقبل  
بنفس راضية على مدحهم ، كما أنه فيما يبدو كان يأمل أن يبهرهم

(١) الشأى - الفتق .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

باتجاهه الجديد فى عرض صور البادية وما فيها : وقد بهر هذا  
شعر سدان البادية فدناوا يعجبون بشعره . أما النقاد المحترفون  
فقد قالوا : ان شعره لا يشبه شعر العرب الا واحدة تشبه شعر  
العرب وهى التى يقول فيها « والباب دون أبى غسان مسدود »  
وقد نسى الشاعر أن هؤلاء الخلفاء والحكام أنانيون بطبعهم  
لا يستهويهم الا أن يشاهدوا صورهم وصور أمجادهم وبطولاتهم  
الزائفة غالبا فى مرايا قصائد الشعراء ، ولا يروق لهم الفن الذى  
لا يتحدث عن ذواتهم مهما كان رائعا جديدا ، وهناك سبب ثالث  
هو أن ذا الرمة رغم فقره وحاجته حتى زعم ابن عياش « أنه كان  
طفيليا يأتى العرسات (١) كان ينظر الى هؤلاء الامراء والحكام  
على أنهم لا يفضلونه فى شئ فقبيلته بنو تميم من أكبر القبائل  
العربية وقد تولى عدد كبير منها الإمارة أو قيادة الجيوش ، وربما  
كان بعض الامراء أقل شأنًا منه ، خاصة أن علو الشأن وانخفاضه  
يتوقف على العائلة التى ينتمى اليها هذا الأمير أو ذاك لذلك وجدناه  
يهجو بعضهم ويعاتب البعض الآخر ، ويفتخر بقومه فى مجال  
مدح الخليفة ، وكأنه يهدده بقومه ، وقلما نجده يعود الى الواحد  
منهم ليمدحه مرة أخرى ولم يمدح سوى بلال الذى كان يعزه  
ويكرمه بأكثر من قصيدتين ، وخلاصة رأينا أن ذا الرمة يملك من  
وسائل النجاح فى فن المديح مالا يملكه سواه ، فهو غنى بصورة ،  
كما كان يلم الماما واسعا بمحامد الممدوح القديمة والحديثة ، ومفاخر  
أجداده ، وقومه قبل أن يمدحه ثم يستعين بكل ذلك فى قصائد  
مديحه ، بل نجح فيما لم ينجح فيه شاعر معاصر كأحمد شوقي  
الذى أخذ عليه بأن ملامح من يمدحهم أو يرثيهم تكاد تختلط بلامح  
غيرهم حتى قيل انه قد يرثى انسانا فاذا لم يمت بدل اسمه  
باسم آخر قد مات - أقول ان ذا الرمة نجح فى رسم ملامح ممدوحه  
النفسية والجسمية ؛ فاذا كان قائدا وصفه بصفات المحارب معددا  
معاركه وانتصاراته واذا كان قاضيا تحدث عن عدالته وتمسكه  
بما جاءت به الشريعة الاسلامية ، كما يذكر اسمه ولقبه وكنيته

أحيانا في القصيدة الواحدة متعرضا لذكر صفات آبائه وأجداده وأيامهم في الجاهلية ومفاخرهم في الاسلام . . ان شاعرنا هذا لم يكن يعمد الى الصفات المألوفة المبثولة ليخلعها على ممدوحه - حقا ان بعض قصائده لا تخلو من ذلك ولكنه يمدح كل انسان بما هو موصوف به في الواقع ، بل ان الموقف من الممدوح والمناسبة التي مدحه من أجلها كثيرا ما تلقى ظلها على مدائح ، لذلك أكثر من وصف المناجر بن عبد الله بالعدالة ، ورد المظالم الى أصحابها ، وتمييزه للحق من الباطل مهما كان الخصم بليغا ذلق اللسان ، وكيف يروع الظالم وينكل به ، لأنه استعان به ذو الرمة في استرداد البئر التي سلبها من قومه عتيبة بن طرثوث . . ولعل ما أخره عن الفحول لم يكن هو التقصير في فن المديح أو الهجاء ، وانما لأسباب أخرى سنتبينها فيما بعد :

### الفخر والهجاء :

لج الهجاء بين ذى الرمة وهشام المرثي ، ويبدو أن ذا الرمة هو الذي بدأ هذا الهجاء إذ أنه مر على قرية لامرئ القيس تدعى امرأة أو القصيبة من حوران فلم ينزلوه ولم يقرؤه واضطر الى أن يستظل مع رفاقه بظل ثيابهم التي نشروها على سيوفهم فبهجأهم هجاء مقذعا مشهورا بهم ، ومعريا بخلهم للناس حاكيا قصته معهم ، يقول في هذه القصيدة :

نزلنا وقد غار النهار ، وأوقدت  
علينا حصي المعزاء شمس تنالها (١)  
فلما دخلنا جوف امرأة غلقت  
دساكر لم ترفع خير ظلالها (٢)

(١) المعزاء - الأرض الصلبة ذات الحجارة ، غار النهار - جاوز الزوال أي في ساعة القبلولة .

(٢) امرأة - اسم قرية سميت باسم قبيلة امرئ القيس قبيلة المهجو . دساكر - مخادع المفرد دسكرة .

بنينا علينا ظل أبراد يمنة  
على سمك أسياف . قديم حقالها (١)  
فقمنا ، فرحنا والدوافع تلتظي  
على العيس من شمس بطيء زوالها (٢)  
ولو عريت أصلا بهما عند بيهس  
على ذات غسل ، لم تشمس رحالها (٣)  
وقد سميت باسم امرئ القيس قرية  
كرام صواديتها ، لثام رجالها (٤)

وقد رماهم بالبخل ، كما وصف نساءهم بأنهن مرتخيات  
البطون ، يزيد القرط سوءا قذال الواحدة منهن ، ويبدو أن هذه  
القصيدة لم تكن الأولى - كما ادعى صاحب الأغاني - لأن ذا الرمة  
يرد على هشام الذى يفخر « بزيد » بأنه بعيد عن قبيلة زيد هذه  
بعد الثريا ، بينما هو أى ذى « الرمة عم زيد وخالها » . .

فخرت بزيد ؛ وهى منك بعيدة  
كبعيد الثريا عزها وجمالها  
ألم تك تدرى انما أنت ملصق  
بدعوى وأنى عم زيد وخالها

وسواء أكان هذا السبب فى نشوب الهجاء بينهما أم غيره ،  
فان أمر هجائهما هذا قد اشتهر ، ويقال ان ذا الرمة كان مستعليا  
هشاما ، متغلبا عليه الى أن رفده جرير بأبيات يرد بها على قصيدة  
ذى الرمة السابقة جاء فيها :

---

(١) أبراد - ثياب من الحرير والمراد أنهم استظلوا بشياهم التى رفعوها على  
أسياهم .

(٢) الدوافع - الحر الشديد .

(٣) صلابها - ظهورها . بيهس جد الشاعر ، ذات غسل - امرأة .

(٤) صواديتها - نخلها . .

غضبت لرحل من عدى تشمسوا  
وفى أى يوم لم تشمس رحالها  
وفيم عدى عند تيم من العلا  
وأيا من اللاتى تعد فعالها  
وضبة عمى يا ابن ضل فلا ترم  
مساعى قوم ليس منك سجالها (١)  
يماشى عدىا لؤمها لا تجنسه  
من الناس ما مست عدىا ظلالها  
فغل لعدى تستعن بنسائها  
على فقد أعيا عدىا رجالها  
إذا الرم قد قلدت قومك رمة  
بطيئا بأمر المطلقين انحلالها (٢)

فغلبه عشم ، والسبب الذى من أجله أعان جرير عشاها هذا  
أن هوى ذى الرمة كان مع الفرزدق لما كان بين جرير وابن جـ  
التيعى ؛ وتميم وعدى اخوان من الرباب ؛ وأخيرا يترضى ذو الرمة  
جريرا قائلا له : لقد تعصبت على خالك للمرئى حيث قلت كذا  
وكذا ، فقال له جرير : لأنه ألك البكاء فى ديار مية حتى استبيحت  
محارمك ثم يرفده بأبيات منها :

يعد الناسيون الى تميم  
بيوت العز أربعة كـ  
ويهلك بينهما المرئى لغوا  
كما ألغيت فى والدية الحوار (٣)

هذه الأبيات التى بهرت الفرزدق حين سمعها من ذى الرمة ،  
فادعاه لنفسه ، وعلى كل فالتلفيق واضح فى هذا الإرفاد الزعوم ،  
فالرواة الذين أعلوا من شأن جرير هم الذين زعموا له هذه

(١) ابن ضل - للرجل المجهول النسب . سجالها - دلائها والمراد أعمالها  
العظيمة . لآمت اليك بصلة .  
(٢) الرم - قطعة الحبل البالى وهو هنا يسخر من لقب ذى الرمة .  
(٣) سبق شرحه .

امراهم ، فكان جريرا قد بلغ من الشاعرية ما يجعله باييات يمد بها  
 شاعرا من الشعراء يكسب له النصر ، وابييات ذى الرمة التي  
 يهجو بها هشاما اقوى ، وأعنف بينما أبيات هشام التي زعموا أنها  
 مما أمده به جرير تدور حول معنى جزئى واحد هو تعرض ذى الرمة  
 ورغاقه للشمس المستعرة دون أن يجدوا السطر أو الماوى ، بينما  
 تناول ذو الرمة فى هجائه قصة بخلهم ، وعرضها فى ثوب من  
 الواقع الحى أو الخيال الذى هو أشبه بالواقع الحى ، كما استغل  
 عنصر المقابلة والتضاد فى بيان بخلهم . فنخلهم كريمة . وهم  
 بخلاء ، وبيوتهم توعد عند ما يشاهدون ضيفا ، والنساء الرئييات  
 المرتخيات البطون من الحمل والترهل لا يزين القرط قدالين ، وانما  
 يزيد قبحا على قبح . . (١) وقد مات ذو الرمة خلال تلك المعركة  
 فزعم الناس أن هشاما غلبه . . ليس من همنسا الدفاع عن  
 ذى الرمة ، بل كنا نود لو أنه أطاع خلقه الرضى ، ونفسه الشاعرة ،  
 ولم يطع الفرزدق أو جريرا فى تحريشهما له للاشتباك مع هشام  
 ابن سعد بن عبد مناة الذى ينتمى مثله الى فرع من فروع بنى تميم  
 فى هذا الهجاء ، ولكن الأدلة التى بين أيدينا من شعره تثبت تفوقه  
 فى هذا الفن وتمكنه منه ، حقا انه كان يصنع صنيع الهجائيين من  
 أمثال الفرزدق وجرير ، ولكنه لم يكن مقننا لواحد منهما ، بل  
 ربما كان يتفوق عليهما فى أن أهاجيه الممتزجة بالفخر كثيرا ما كانت  
 تعتمد على صور من الواقع « مع سخريه » يمتاز بها عن سواه .  
 وسنكتفى بعرض هذا النموذج من شعره الذى يهجو فيه هشاما  
 مفتخرا بنفسه وبقومه ، وفى هذه القصيدة يعتمد على أسلوب  
 المفارقة فيتحدث عن معارك قومه ، وانتصاراتهم ثم يعرج الى الهجو  
 فيجرده ويجرد قومه من مثل ذلك فبينما تثير خيولهم النقع يثير  
 قوم امرئ القيس التراب بالفئوس لأنهم فلاحون أو حراثون  
 يلبسون ثياب اللؤم ويمشون باكتاف مائلة من الارهاق والعمل ؛  
 والعربى يحتقر الريفى الذى يسكن القرى وهذا أثر من آثار العصر  
 العبودى الذى يحتقر فيه السادة العمل الذى هو من شأن العبيد ،



وكثيرا ما وصفهم بأنهم ليسوا عربا فشعورهم الصهباء تشي بذلك ،  
كما يرمى نساءهم برجل يدعى ابن خوط يظهر أنه أمير يقيم في  
قصر منيف واسع .

وإذا كان أسرف في هجاء هشام فان ذلك لم يشغله عن هجاء  
غيره . ولقد كان يزود عن شعره بالتهديد بالهجاء ، فلقد هدد  
أبا عمرو بن العلاء حين أيد رأى بلال بن أبي بردة أو مال قليلا  
في الرأي . كما هجا الأعور الكلبى الحكيم بن عوانة الذى كان واليا  
على السند وخراسان ولاء هشام ذلك عام ١٠٩ لأنه عاب عليه شعره ،  
ويهجو رجلا يدعى موسى بهذا البيت الذى يثير الضحك والسخرية  
فيقول :

فست أم موسى فوقه حين طرقت

فمازال منها منتن الريح أبخرا (١)

وفى مجال الهجاء كثيرا ما يفخر بشعره الذى يشبهه بقطع  
من الابل لا يستطيع المهجر ذوده عنه :

أحين ملأت الأرض هدرا وأطرقت

مخافة ضغنى جنها وأسودها (٢)

عوى مرثى لى فعصبت رأسه

عصابة خزى ليس يبلى جديدها  
فأصبحت أرميكم بكل غريبة

تجد الليالى عارها وتزيدها (٣)

قواف كشام الوجه باق جبارها

إذا أرسلت لم يبق يوما شرودها (٤)

---

(١) طرقت - ولدت بعسر وشدة .

(٢) هدرا - أى يهدر بشعر كالجمال والهدر صوت الجمل .

(٣) تجد - تجدد .

(٤) الشام - مفردا شامة وهى نقطة سوداء فى الوجه ، جبارها - أثرها .

شرودها - شاردها أى لايقدر أحد على ردها اذا سارت فى الناس .

توافى بها الركبان فى كل موسم  
ويحلوا بأقواء الرواء نشيدها (١)

هذا لون من أهاجيه كما رأينا يمتاز بالجدة والابتكار  
فى التصوير ، والبعد عن الدوران حول المعنى التافه الهزيل ،  
كما يمتاز بالوضوح ، والاتكاء على أرض الواقع . والاستمداد من  
أحداث الحاضر والماضى ؛ وبخاصة أيام قومه فى الجاهلية . يعرض  
ذلك فى أثواب زاهية من التصوير والتعبير مع ايقاع موسيقى  
جميل يجذب اليه القلوب ، كما يستولى على الحواس .

ولعلنا نخرج من هذا العرض بأن شاعرنا لم يقصر به عجز  
عن مجازاة شعراء المديح أو الهجاء . . . . . وإنما قصرت به أنفته .  
وتقواه ؛ واقتناعه بأن تلك الصور الرائعة التى يعرض فيها مناظر  
الصحراء وما فيها تضمن له السبق والتقدم وتروق الحكام والرواة  
كما راقت لسكان البادية . . . . . وقصر به عمره القصير ، فلقد مات  
فى الأربعين من عمره ؛ وقعد به عن بلوغ شأو هؤلاء المتقدمين صغر  
سنه ، كما كان يحسده معاصروه من الشعراء ، فعن صالح  
ابن سليمان راوية ذى الرمة « أن الفرزدق وجريرا كانا يحسدان  
ذا الرمة » وقال حماد الراوية « ما أخر القوم ذكره إلا لحدثة سنه  
وأنتهم حسدوه » وقد سأل الوليد بن عبد الملك كلا من الفرزدق  
وجرير عنه فشهدا بأنه « أخذ من طريف الشعر ، وحسنه مالم  
يسبقه إليه أحد غيره » فقال الخليفة : « أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر  
منكما جميعا . . . » ولا شك أنه لو عاش قليلا ولم يكن ربيعة كما  
قال الصيقل حين أنشد شعره فاستحسنه ، لكان له شأن كبير ،  
كما أن التعصب لشاعر دون شاعر لأسباب سياسية أو قبلية قد  
رفع من بعض الشعراء كما وضع من البعض الآخر .

---

(١) توافى بها الركبان - جاءوا بها وتناقلوها .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

النبأ الخامس

---

## مميزات أسلوبه



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

## مميزات شعره :

إذا كان الفنان الملمهم يمتاز عادة بأسلوبه الخاص به ، والذي تتشكل بمقتضاه صورته وتراكيب تعبيراته فإن ذا الرمة شاعر ذو أسلوب متفرد ، بل لا أنكر أن الذي جذبني إليه ، وحببني في شعره هو ذلك الجديد في أسلوبه ، والذي نحاول أن نتعرض له في هذا الفصل من البحث ، والحق أن ميزات أسلوبه كثيرة ومتداخلة ، وربما كان التعرض لدراسة بعضها يحفه الخطر من حيث أنه لم يتناول بالدرس من قبل بل إن بعض الظواهر كظاهرة التقديم والتأخير لا نجد لها نظيرا في شعر شاعر آخر وهي في حاجة إلى أكثر من دراسة متخصصة .

### ١ - ظاهرة التقديم والتأخير :

بما أننا قد أشرنا إليها في صدر البحث هذا لأهميتها وتفرد بها فلنتناولها بشيء من الإفاضة . . . لقد لاحظنا أن ذا الرمة خاصة حينما ينفعل وتلهث أنفاسه ، وتضطرب نفسه ، وتغيم الرؤى أمام عينيه ، فالشاعر الحق يكتب وهو في شبه غيبوبة أو في نصف اغفاء - يختل في يديه تركيب الجملة الروتينية المألوفة ، ويحدث في تركيباته تقديم ، وتأخير ، وفصل بين المبتدأ والخبر أو الصفة والموصوف قد يطول بل قد تمر بضعة أبيات ثم يأتي بعدها الخبر أو الصفة وهو يكثر دائما من تقديم الحال على صاحبها ، حقا إن هذا جائز عند النحاة ولكنه ليس الأسلوب المألوف المعتاد ، من ذلك قوله :

لا : بل هو الشوق من دار تخونها  
مرا سحاب ، ومرا بارح ترب (١)  
ومن التقديم قوله :

والهم « عين أثال » ما ينازعه  
من نفسه لسواها موردا أرب  
وأصل التركيب لا ينازعه أرب الى مورد سوى هذا المورد ، بل  
لأول مرة نجد شاعرا يقدم أداة العطف والمعطوف على المعطوف عليه  
فيقول :

خلاء تحن الريح أو كل بكرة  
بها من خصائص الرمث كل ظلام (٢)  
وتركيب الجملة هكذا كما يقول شارح الديوان : ألا حيا دارا  
خلاء تحن الريح فيها كل ظلام أو كل بكرة من خصائص الرمث .  
كما يقدم الصفة على الموصوف في قوله : « كأنه من كلي مفرية سرب »  
أى كأنه سرب من كلي مفرية أو قوله : « كأنه متقبي بلمق عزب »  
ومن ذلك تقديمه المعطوف وهو « وذا غدائر واردات » على المعطوف  
عليه وهو مقلد حرة » في قوله :

تريك وذا غدائر واردات  
يصبن عشاعت الحجيات سود (٣)  
مقلد حرة آدماء ترمى  
بحدتها بفاترة ، صيود (٤)  
ومن ذلك قوله :

ألربع ظلت عينك الماء تهمل  
والعبارة : ألربع ظلت عينك تهمل الماء

---

(١) تخونها - تنقصها ، بارح - ربح حارة .

(٢) سبق شرحه .

(٣) واردات - شعر طويل ، الحجيات - رؤوس الأوراك ، عشاعت -

لبنة كالأرض الرملية ، مقلد - عنق ، آدماء - ظبية بيضاء ، فاترة - ساكنة الطرف ،

صيود - تصيد القلوب بجمالها والمعنى : تريك جيدا أبيض كجيد ظبية ذات طرف

فاتر صيود . وتريك غدائر طويلة تصل الى رؤوس الأوراك الممتلئة .

## ثانيا - الفصل بين أجزاء الجملة :

وشبيه بهذا التصرف فى الجملة بالتقديم ، والتأخير ، ذلك الفصل بين أجزاء الجملة أو بينها وبين بعض ملحقاتها ، بل قد يستغرق الفصل بضعة أبيات كاملة ، من ذلك فصله بين الصفة والموصوف ، فى البيت الذى أشرنا إليه سابقا إذ يأتى بالموصوف وبعد أربعة أبيات كاملة يأتى بالصفة ، ولا مانع من أن نورد الأبيات جميعا للاستدلال على هذه الظاهرة يقول :

- ألا حياء بالزرق دار مقام  
لنى وان هاجت رجيع سقامى (١)  
على ظهر جوعاء الكثيب كأنها  
سنية رقم ، فى سراة قرام (٢)  
الى جنب مأوى جامل لم تدع به  
من العنن الأرواح غير حطام (٣)  
كأن بقايا حائل فى مراحه  
لقاطات ودع أو قبوض يمام (٤)  
ترائك أياسن العوائد بعدما  
أهفن ؛ وطار الفرخ بعد رزام (٥)

(١) رجيع سقامى - مرضى العائد الراجع ، جوعاء - أرض صلبة  
رملية ، رقم - نفس ، سنية - غالية ، قرام - ثوب يستتر به . والمعنى أن هذه  
الجوعاء مخططة بخطوط مختلفة كنقوش تبدو فى ثوب غالى الثمن .

(٢) جامل - جمال ، العنن - حطائر الابل ، الأرواح - الرياح ، حائل - بعد  
مضى عليه حوال ، ودع - خوز أبيض .

(٣) لقاطات - جمع لقاطة أى الملقطة من يريد . قبوض - قشر بيض .

رغم العوائد - الظهور التى تريد العودة الى بعضها ، ترائك - هذا البيض  
متروك الفساده ، أهفن - أصابتهن الهيف أى الريح الحارة ، رزام - عجز عن  
التهوؤ والمعنى الى جنب مأوى للجمال قد حطمته الريح ، والبعر القديم فى هذا  
المكان كالخروز أو قشر بيض الحمام الذى خرج منه الفراخ ، ويئس الحمام من العودة  
إليه .

خلاء لحن الريح أو كل بكرة  
بها من خصائص الرمث كل ظلام

فخلاء فى البيت الأخير - كما هو واضح - صفة لدار فى البيت الأول ، ويأتى بمثل هذا التركيب الغريب فيصف دمه الغزير « كأنه من كلى مفرية سرب » فلقد تمت الجملة بذكر ركنيها ولم تعد فى حاجة الى أية مكملات بعد ذلك . ومنتظر بعد ذلك من الشاعر أن يبدأ مستأنفا جملة جديدة ، ولكنه يفاجئنا بوصفه لكلمة « كلى مفرية » فيقول والقراء بالجر :

وفراء غرافية أثأى خوارزها

مشلشل ضيعته بينهما الكتب (١)

ويفصل بين المضاف والمضاف اليه فى هذا البيت الذى يرى النحاة أن الفصل فيه ضرورة ؛ ويعلق سيبويه عليه بقوله : « فهذا الفصل قبيح » فيقول :

كان أصوات من يغالهن بنا

أواخر الميس أصوات الفرائج (٢)

ومن الواضح أن التركيب هو : كان أصوات أواخر الميس من يغالهن بنا أصوات الفرائج ومثله قوله :

نضا البرد عنه فهو ذو من جنونه

أجارى تسهاك وصوت صلاصل (٣)

والتركيب المألوف : فهو ذو أجارى « كما يفصل بين « لم » الجازمة والفعل الذى دخلت عليه فيقول :

« كان لم سوى أهل من الوحش تؤهل » وسيبويه يعلق على مثل ذلك قائلا :

---

(١) وفراء - واسعة ، غرافية - مديونة بالغرف (اسم نبات) ، أثأى - أفسدها ، خوارزها - خائطوها ، مشلشل - سائل .

(٢) الميس - شجر تصنع منه الأعواد التى توضع على ظهر البعير ليحمل عليها .

(٣) تسهاك - سرعة جرى .



والكلام منه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب .  
ومستقيم قبيح ، والمستقيم القبيح أن تضع اللفظ فى غير موضعه .  
نحو : قد زيدا رأيت (١) .

فما السر فى تبديله لتركيب الجملة المألوفة ، وتغييره فيها  
بالتقديم والتأخير والفصل بين أجزاء الجملة فصلا يطول أحيانا  
كثيرة . ويكون أحيانا بين مالا يمكن أن يفصل بينهما كالفصل بين  
« لم » التى لا تدخل الا على الفعل المضارع ، وفعلها ، وكالفصل  
بين المضاف والمضاف اليه ، يمكننا فى ضوء هذين البيتين اللذين  
يمدح بهما بلال بن أبى بردة ، واللذين قد عيبا عليه ، فقل انه  
اقتدى فيهما بأثر غيره ، فأساء التعبير : يمكن أن نتعرف على  
السر . . يقول ذو الرمة :

كان الناس حين تمر حتى  
عواتق لم تكن تدع الحجالا (٢)  
قيامما ينظرون الى بلال  
رفاق الحج أبصرت الهلالا

نجد أن فكرة الشاعر التى يريد أن يعبر عنها تنمو وتتكامل  
اثناء التعبير عنها ليس قبل ذلك : فحين يقول « كان الناس حين  
تمر » يرى أن المبالغة لا تتم والصورة لا تكتمل الا بابرار العواتق  
من خدورهن لمشاهدة موكب الممدوح : فلبون صقل وصناعة يضيف  
« حتى عواتق لم تكن تدع الحجالا » كما يضيف الى البيت الثانى  
قوله « رفاق الحج » التى يخلو منها البيت الذى تأثره أو تأثر  
معناه كما يقولون وهو :

..... كأنهم يرون به الهلالا

ولا شك أن رفاق الحج أكثر تطلعا وتشوقا الى رؤية الهلال  
من غيرهم خاصة اذا كانوا برؤيته يفطرون من صيام ويعجلون بأداء  
شعيرة من شعائر الحج أو يرتحلون .

(١) كتاب سيبويه ج ١ صفحة ٣٦ .

(٢) عواتق - فتيات جميلات . الحجالا - البيوت .

وفى البيتين السابقين (١) « ومن حاجتى ، لولا التنائى الخ . .  
نجد نموا من نوع آخر ، فهو ليس نموا فكريا وانما هو نمو  
نفسى : أو ما يشبه التذبذب النفسى . فهو يقول : « ومن حاجتى »  
وفى نيته أن يتبعها بقوله : « منحت الهوى » لكنه يتردد نفسيا :  
أى حاجة تلك التى ترغمه على أن يمنح هواه من ليس بالمتقارب . .  
فيضيف ما يشبه أن يكون استداركا وهو « لولا التنائى » أى بسبب  
هذا التنائى : ولكنه ليس بالشخص الضعيف الذى ينتقل بهواه  
وراء كل انسان ، وان كان بعيدا بوده عنه أو بمكانه وشخصه ،  
فأضاف اضافة أخرى هي « وربما » ولا شك أن كل اضافة منهما  
لا يمكن للنفس الشاعرة المرهفة أن تستغنى عنها أو تتناساها  
فى مجال التعبير النفسى الدقيق الذى يجرى فى مسارب الذات ويعبر  
عما فيها من قلق أو تردد أو اضطراب ؛ ممزوج باحساسات أخرى  
من الرغبة والحنين ؛ والخوف ، من اثاره غضب أو سخط من يحب ؛  
وقد يحدث أن تتسابق احساساته النفسية لروعة أجزاء ما يصف ،  
فهو يريد أن يعبر عن جمال عنق محبوبته فيقول « تريك » فقط ،  
ويقفز الى بؤرة الشعور إعجابه بشئ آخر لا يقل جمالا عن الاول بل  
يتفوق عليه فيعدل عن الاول الذى كان مقدرا له فى بناء العبارة  
أن يكون معطوفا عليه ليقدم الشئ الجديد الذى قفزت ذكره الى نفسه  
قفزا سريعا لم يدع له مجالا للتراجع فيقول :

تريك ؛ وذا غداً ٠٠ وارداً

يصبن عثا الحجات ؛ سود

مقلد حرة أدماء ترمى

بحدتها بفاترة صبيود

وبمثل ذلك يمكن أن نعلل للفصل بين المضاف والمضاف اليه  
فى قوله : « كأن أصوات من يغالهن بناء الخ . . ومن قبيل التذكير  
العقل عطفه » وحولا « على » « كأن القطر والريح غادرا » فهو بعد  
استكمال أجزاء الجملة تذكر عاملا ثالثا قد ذهب بآثار هذه الديار

(١) البيت هو :

منحت الهوى من ليس بالمتقارب

ومن حاجتى لولا التنائى وربما

وعو مرور حول على الارتحال عنها فأضاف « وحولاً ، ليستعمل كل أجزاء الفكرة التي يعبر عنها، ومن عادته دائماً في صورة شمع الأجزاء الصغيرة والدقيقة لرسم ملامح الصورة . أما تأخير الخبر بعد أبيات . أو الفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه أو بين الصفة والموصوف فلاسباب تكنيكية غالباً ، فهو يؤخر مثلاً الجار والمجرور لأن مفعول الفعل المتعلق في حاجة لإضافة بعض الصفات إليه لرسم ملامحه ؛ فيؤخر لأجل ذلك الجار والمجرور الذي سينتقل به إلى شيء جديد هو « ريح الخزامى » التي تحملها الرياح المتعبة المتواعب ؛ لكن ذلك لا يمنعنا من أن نوافق بعض اللغويين والنقاد القدامى في أنه ربما يلجأ إلى ذلك أحياناً ليستقيم له الوزن ، من ذلك « راء » « التربع ظلت عينك الماء تهمل » فتقديم المفعول به على الفعل في هذه العبارة لا سبب له ؛ في رأينا - سوى إقامة الوزن لذلك جاء تركيب البيت ركيكاً ، كما قد يفصل أحياناً ليجتذب إليه النحاة واللغويين الذين كان الشعراء يحبون أن يستشهدوا بأشعارهم فتزداد ذبوعاً ، بل هدد بعض الشعراء الرواة اللغويين بالهجاء ليرغموهم على رواية أشعارهم والاستشهاد بها لذلك تألم ذو الرمة حين أجاب أبو عمرو بن العلاء بلال بن بردة على سؤاله :

هل تروون لدى الرمة ؟ فقال : نروى له على تضعيف . . فقال ذو الرمة له : « لولا أننى رأيتك تحتطب في حبله ليجوتك » من هذا الفصل السابق بين « لم » والفعل « تؤهل » بسوى : والفصل بين المضاف والمضاف إليه في قوله « فهو ذو من جنونه - أحارى » ولقد أورد ابن طباطبا عدداً من هذه التركيبات التي يراها غير مستقيمة ودعا شدة الأدب إلى عدم التأثر بها فقال : فأما هذه الأبيات المستكرهة الألفاظ ؛ المتفاوتة النسيج ؛ القبيحة العبارة التي يجب الاحتراز عن مثلها (١) ثم يسوق شواهد على ذلك لشعراء مختلفين منهم ذو الرمة في بيته « كأن أصوات من يغالبن بنا - أو آخر الميسر » البيت .

(١) معيار الشعر ص ٤٠ .

### ثالثا : الصورة الشعرية :

عن « حماد أن أحسن الناس (١) تشبيها فى الجاهلية امرؤ القيس : وأحسنهم تشبيها فى الاسلام ذو الرمة » وكان ذو الرمة يعرف ذلك فى نفسه ، ولقد قال مرة اذا قلت كأنه ثم لم أجد مخرجا فقطع الله لسانى « وعن محمد بن سلام » كان لذى الرمة حظ فى حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين . . » .

والحق ما قال هؤلاء النقاد ، فذو الرمة فى الكثير من شعره يرسم لوحات واسعة (٢) يضع بعضها بجانب البعض الآخر فى القصيدة الواحدة ؛ وربما لا تربطها فى القصيدة الواحدة سوى أنها صور شعرية أو لوحات فنية معروضة فى صالة عرض واحدة ؛ وتحمل سمات شخص بعينه ، وهو فى رسم هذه اللوحات الكبيرة يستعين بأداتى التشبيه والاستعارة لتلوين وتظليل لوحاته هذا الى جانب التصرف فى تكوين العبارة والموسيقى وغير ذلك وهو يستعين بالتشبيه أكثر من الاستعانة بالاستعارة ؛ بل أغلب تشبيهاته من النوع الذى تذكر فيه الأداة وهى كأن غالبا ؛ والاستعارات تكثر فى شعره حين ينفعل بعنف ، وتختلط فى مخيلته المراثيات ، فلا يستطيع أن يفصل بين ما هو حقيقى وما هو خيالى ويظهر ذلك واضحا فى غزلياته حين يشتد به الهيام . ومثل ذلك الكناية وهى قليلة فى شعره :

ومن كنياته قوله :

صمت الخلاخيل خود ليس يعجبها

نسيح الأحاديث بين الحى والصخب (٣)

ومن الاستعارات الرائعة قوله :

---

(١) لأمرى ج ١٦ .

(٢) انظر الى ذلك الدكتور شوقي ضيف فى بحثه القيم عن ذى الرمة فى

كتاب التطوير والتجديد فى العصر الاموى .

(٣) خود - شابة ناعمة جميلة .

نراى لنا من بين سـجـفـين لمحـة

غزال أحـم العين بيض ترائبـه (١)

وهو فى استعاراته وصوره عامة يميل الى التجسيم والتشخيص  
مع ميل للتلوين بالألوان الزاهية . انظر اليه وقد جعل للريح ذبلا  
منمنا لما يشبه من رمال وبقايا أعشاب يابسة :  
والركب تعلو بهم صهب يمانية  
فيما عليه الذيل الريح نميم (٢)

والليل : « قد صبغ الحصى بمداد » ومن التشخيص تلك  
الشمس الحيرى ( والشمس حيرى (٣) لها فى الجو تدويم ) وحين  
توشك أن تغرب تشبه حال انسان يعاني سكرات الموت :  
فلما رأين الليل ، والشمس حية  
حياة الذى يقضى حشاشة نازع

والليل شجر أسود :

أكلفه أهوال كل تنوفة

لموع ؛ وليل مطابخ غياداك (٤)

بل الليل كطائر يحط حتى يلمس الأزهار بقوادمه : « دنا  
الليل حتى مسها بالقوادم » والنجوم تعوم فى السماء :  
تجوز منها زائر بعد ما دنت  
من الغور أرداف النجوم العوائم (٥)

والشعر ينسدل على غصن من أغصان البان :

وذو غدر فوق الذنوبين مسبل

على البان ، يطوى بالمدارى ويسرح

---

(١) سجفـين - السجف - الستارة ، أحـم العين - اسود العين - الترابـه -

عظام الصدر .

(٢) صهب - ابل يضرب سوادها الى حمرة . فيما - المستوى من الارض

نميم - منقوش .

(٣) تدويم - وقوف .

(٤) مطابخم - أسود ، غباطه اشجاره .

(٥) تجوز - اجتاز واقبل ، أرداف - أواخر .

وللريح أنفاس ضعيفة متعبة :  
بريح الحزامى هيبتها وخبطة  
من الطل أنفاس الرياح الموابغ  
وفى الفجر يغبش الليل مصابيحہ :  
الى نضوة عوجاء والليل مغبش  
مصابيحہ : مثل المها واليعافر (١)

والنجوم مصابيح ذات عيون ضيقة ضعيفة :  
مصابيحہ خوص العيون كأنها  
قطا خامس ، أسرابه متمم

والمسافرون يقتاتون الأحاديث يتلهون بها أو يقطعون بها  
الوقت « وغبراء يقتات الأحاديث ركبها » وللأرض سنام « منعنا  
سنام الأرض ٠٠ » وللرمل أنف « وان حبا من أنف رمل منخر »  
وللنسيم روح تهلك :  
وقف كجلب الغيم يهلك دونه

نسيم الصبا واليجمات العواقد (٢)

لقد حاولت أن أعرض نماذج لصور من استعاراته : لأن النقد  
القدامى قد أفرطوا فى الحديث عن التشبيه عنده إفراطا يوهـم  
بأن كل صورة لا تتعدى لونا واحدا هو أقلها جمالا فى رأى البلاغيين  
وأعنى به التشبيه : حقا ان التشبيهات فى شعره أكثر : ولكن ذلك  
لا يمنع من ان الاستعارات تكثر فى شعره أيضا خاصة حين لا يقصد  
التصوير قصدا : وانما يندمج فى موضوعه ، ويعيش فى داخله :

وهو فى صورته عموما يميل الى التركيز ، كما يميل الى  
الاستيعاب . ولا منافاة بينهما فالمراد بالتركيز البعد عن ترهل  
الصورة : وإضافة الذبول اليها . وذلك يمكن مع استيعاب كل الأجزاء  
الضرورية لرسم الصورة : فمن تركيزه هذه الصورة التى يريد أن

- 
- (١) نضوة عوجاء - ناقة هزيلة ، مغبش - مظيء ، المها - البقر الوحشى ،  
اليعافر - مفردا يعفور وهو - الغزال لونه لون تراب الأرض .  
(٢) قف - أرض غليظة ، جلب الغيم - أوله ومقدمته ، اليجمات - الابل ،  
العواقد - القويات .

يشبه فيها العذارى الجميلات بالطباء ، والجاذر فى وقت واحد  
فلم يلجأ الى تعداد المشبه به : وانما ألف صورة جديدة تجمع بين  
أعناق الأطباء ومحاسنها الأخرى وبين عيون صغار البقر الوحشى ،  
فقال :

وتحت العوالى ، والقنا مستظلة  
طباء أعارتها العيون الجادر

وقد ظن الدكتور شوقى ضيف (١) خطأ أن الشاعر يصف  
نساء أسيرات لأنه قد قرأ البيت منفصلا عن القصيدة .

والشاعر يتحدث عن محبوبته مى وأترابها وقد ارتحلن الى  
أماكن أخرى بعد أن تعذرت الحياة فى ديارهن ؛ وقد سرن  
يحدوهن ويحميهن شباب القبيلة برماحهم أو هن تحت أعواد  
الهودج التى تشبه العوالى والقنا ؛ وقبل هذا البيت :

فقد أورثتنى مى مثل الذى به  
هوى غربة ، دانى له القيد قاصر

ومن الاستيعاب تشبيهه الفجر وقد بدا فى أخريات الليل وقد  
بقيت من الليل بقية بحضان أبيض البطن مال جله الذى يغطى به  
ظهره قليلا ؛ واللون أشقر ، فهنا لونان هما عمود الصبح الأبيض  
وبقايا من الليل شقراء لاختلاط بياض الصبح فيها وحمرة الأفق  
بسواد الليل :

وقد لاح للبارى الذى كمل السرى  
على أخريات الليل فتق مشير  
كلون الحصان الأنبيض البطن قائما  
تمايل عنه الجل ؛ واللون أشقر

ويميل بشكل واضح الى رسم الصور الحركية ؛ بل لا يحب أن  
يلتقط صورة المنظر بريشته الشاعرة الا وهو فى وضع متحرك ،  
يصور الثور وهو يقاتل الكلاب ، وتقاتله ، والنعامه وهى تسرع مذعورة

(١) التطور والتجديد فى الشعر الاموى .

على فراخها بعد أن أقبل الظلام ؛ واكفهر الجو ؛ والقطا وقد شرب  
فهو عائد ممتلئ الحواصل بالماء ، والرجل أثناء تحركها « ورجل  
كظل الذئب » وحين تسير الناقة :

تموج ذراعها ؛ وترمى بجوزها

حذارا من الایعاد ؛ والرأس مكمح (١)

وفى سراب الصحراء يبدو كل شيء يتحرك فالابل كزوارق  
تسبح فى نهر دجلة : « قراقير فى صحراء دجلة تسبح » وقنن  
الجبال تبدو كل واحدة منها كأنها فرس كميت يبارى الخيل فى  
الجرى :

ترى القنة القوداء منه كأنها

كميت يبارى رعلة الخيل فارد (٢)

والجبل وهو يرتفع وينخفض كفرس أعرج يتبع الخيل  
« أحوى يتبع الخيل ظالم » ومن أروع صوره الحركية تلك اللوحة  
التي يرسمها لقطيع من الحمير الوحشية ، حين انشق عمود اللوحة  
أبصرت جداول تترقرق كالسيوف البيضاء اللامعة ، ففرحت وأخذت  
تحوم حول الماء ثم تنظر اليه من كل جانب ، وتنفض أوتها زانباها  
مبتهجة ثم شرعت تصف خلودها الواحدة بجوار الأخرى خائضة  
فى الماء الى نصف سيقانها وأخيرا أخذت تشرب جرعات من الماء  
كظهور القطا المتتابع ؛ بعضه فى اثر بعض :

فما انشق ضوء الصبح حتى تبينت

جداول أمثال السيوف القواطع

فلما رأين الماء قفرا جنوبه

ولم يقض اكراء العيون الهواجع (٣)

(١) جوزها - وسطها ، مكمح - مرفوع .

(٢) القنة القوداء - القمة العالية ، رعلة - رجيل أى عدد كبير ، فارد -

ينفرد .

(٣) قفرا جنوبه - لا يوجد حوله أحد ، ولم يقض اكراء العيون الهواجع -

اكراء - نوم ، والهواجع - النائمة . والمعنى أنه كان ذلك ولم تزل فى الليل بمبة ،  
فالنائم لم يستيقظ من نومه .



- فحومن ؛ واستنفضن من كل جانب  
وبصبصن بالأذنان حول الشرائع (١)  
صففن الخدود ، والنفوس نواشن  
على شط مسجور ، صخوب الضفادع (٢)  
فخضخضن برد الماء حتى تصوبت  
على الهول فى الجارى شطور المذارع (٣)  
يداوين من أجوافهن حرارة  
بجرع كاثباج القطا المتتابع (٤)

لقد حملت هذه الأبيات كل سماته التصويرية : من دقة  
واستيعاب ؛ الى تصوير حسى ونفسى (على الهول ، النفوس نواشن)  
والجو الذى يحيط بالمنظر ، كل شىء هادىء حول الماء ؛ وهى عطشى  
والضفادع فقط هى التى تنق فى الماء وتصخب .. ان الانسان  
ليعجب كيف تأتى له أن يرسم هذه الأجزاء الدقيقة بتلك العناية ؛  
فكل شىء فى اللوحة محدد تحديدا دقيقا انظر اليه وقد حدد المكان  
الذى بلغه الماء من سيقانها اذ لم يتجاوز أنصاف مذارعها ، ويرسم  
لوحة للنعامة وهى ترعى ؛ فهى تطول وتقصر :

وكم نفرت دونك من صوار  
ومن خرجاء مرثلة وخود (٥)

- 
- (١) استنفضن - نظرن ، بصبصن - حركت أذنانها ، الشرائع - جمع شريعة  
أى منهل الماء .  
(٢) نواشن - خائفة ، مسجور - مملوء .  
(٣) خضخضن - حركن الماء ، تصوبت - انحدرت ، شطور المذارع - أنصاف  
القوائم : والمعنى حركن الماء ثم خضن فيه الى أن تغطت بالماء أنصاف القوائم منها .  
(٤) اثباج - ظهور .  
(٥) صوار - قطع من البقر الوحشى ، خرجاء - نعامة فيها سواد وبياض ،  
مرثلة - لها رنال وهى أفراخ النعام ، وخود - الوخد نوع من السير وهو اتساع  
الخطو فى السير .

تقاصر مرة ، وتطول أخرى  
تسف المرو أو قطع الهبيد (١)  
وان نظرت الى شبح أمجت  
كامجاج المعبدة ؛ الشرود (٢)

ولما كان صاحب ذاكرة واعية وعين لاقطة ، وقدرة على التأليف - رأى مشابه بين أشياء لا يرى فيها أنسان سوى ذى الرمة أى تشابه أو التقاء ؛ فكان كل ما فى الحياة أرضها وسمائها ؛ من مناظر جمعت فى وعاء أمام عينيه ؛ يختار منه ما يشاء لما يشاء بل ان بعض الصور يفاجأ بها القارئ فيذهل ، من هذه الصور الغريبة ، صورة الفجر وهو يسوق أمامه الثريا ، وهذه صورة يمكن أن تكون عادية ولكن الشاعر يجعل الفجر يسوقها بملاءته أو لافا اياها فى ملاءته البيضاء الشفافة فيقول : « وساق الثريا فى ملاءته الفجر » «والخد الناعم كمرآة الغريبة» وخذ كمرآة الغريبة اسجح « وأرض محبوبته عطرية الأنسام فكان العطر يخوض فى برد أنفاسها فى الليل :

تطيب بها الأرواح حتى كأنما

يخوض الدجى فى برد أنفاسها العطر

والكلاب تنقض على الثور « أمثال الزنابير » وللثور جبهة ، والليل حين ينصرم كرواق يتهدم :

حتى اذا الدجى مالت أواخره

مثل الرواق ، ولاحت جبهة النور

ويشبه عين الناقة وقد ارتسمت صورتها فى ماء الجدول  
بميم ..

كأنما عينها منها وقد ضمرت

واحتمتها السير فى بعض «الأضأ» ميم

والجندب يغرد فكان له طنبوراً يعزف عليه :

(١) تسف - تاكل ، المرو - الحجارة الصغيرة ، الهبيد - الحنظل المكسر .

(٢) أمجت - ابتعدت ، المعبدة - الجربى المبعدة عن بقية الابل .

يضحي به الأرقش الجون القرا غردا  
كأنه زجل الأوتار - مخطوم (١)

وينكمش الثور من الخوف والبرد فيشبه العزب المتقبي  
بقبائه « كأنه .. متقبي يلمق عزب » ولعمق نظرتة في الحياة .  
وعمق انسانيته واتساعها يرى الكون شيئا واحدا فسيان عنده  
أن يشبه المرأة بالطيبة أو البقرة الوحشية أو يعكس فيشبهه  
البقرة الوحشية أو الطيبة بالمرأة ؛ من ذلك تشبيهه الرمل بأوراك  
العذارى فيقول :

ورمل كأوراك العذارى قطعتة  
إذا جللت المظلمات الحنادس (٢)  
وعمود الصبح جيد ولبة :

كان عمود الصبح جيد ولبة  
وراء الدجى من حرة اللون حاسر  
والحب ورق أخضر يذبله الهجران " .  
إذا الهجر أودى طوله ورق الهوى  
من الألف لم يقطع هوى مية الهجر  
والصحراء مثل كف المشتري غير أنها واسعة :

ودو ككف المشتري غير أنه  
بساط لأخفاف المراسيل واسع (٣)  
والبقر والظباء ، كالنجوم أو ذبالات مضاءة :  
بها العين والآرام فوضى كأنها  
ذبال تذكى أو نجوم طوالع (٤)

---

(١) الجون - الأسود ، القرا - الظهر ، زجل الأوتار - غنبور ، مخطوم -

مشدودة عليه الأوتار .

(٢) الحنادس - الظلمات الشديدة .

(٣) دو - صحراء لها دوى من شدة ما فيها من صمت .

(٤) العين - البقر الوحشى المفرد عينا ، الآرام - الظباء المفرد رلم ، فوضى

منشرة ، تذكى - شعل وتوقد .

والنجوم كالبقر والظباء :

وردت وأرداف النجوم كأنها

وراء السماكين المها واليعافر (١)

» ولقد أخذ عليه قوله يصف الكلاب ..

حتى إذا دومت في الأرض راجعه

كبر ، ولو شاء نجى نفسه الهرب

قالوا والتدويم انما هو في الجو ؛ يقال دوم الطائر في السماء

إذا حلق ، واستدار في طيرانه ؛ ودوى في الأرض إذا ذهب ..

لكن مثل ذي الرمة الذي تختلط في مخيلته المرئيات ، وتشابهه ؛

وكثيرا ما تمثل الأرض سماء ، والبقر والظباء نجوما تسبح فيها

لا يقاس فنه بالمقاييس اللغوية الجامدة ، لقد تجلّى في مخيلته أن هذه

الكلاب وهي تلف وتدور طيور تحلق وتدور فعبر عن دورانها

والتفافها بفعل يستعمل عادة للتحليق في الفضاء والدوران فيها ..

ومن الصور الغريبة تصويره لقلوب الخائفين بأنها قد هوت في خوافي

أجنحة الطير ؛ وتعبيره « بهوت » و « في خوافي » و « مطعمات

لوامع » كل ذلك خطوط والأوان تلتقى في رسم صورة الفزع ؛

فالقلب الخائف يهوى « ويختبئ » في مكان خفي ؛ والمطعمات اللوامع

هي الطيور التي تطير بسرعة كالنسر والعقاب فأجنتها تهتز بسرعة

واستمرار ؛ ومن أغرب وأعجب الصور هذه الصورة التي يتحدث

فيها عن الناقة وهي تقطع المسافات واللحظات الزمنية يطلع عليها

نجم ثم يغيب فيطلع آخر وهكذا فيقول :

إذا اغتبت نجما ، فغار تسحرت

علاة نجم آخر الليل طالع

والغبوق هو شرب الخمر مساء وضده الصبوح ، فكأن النجم

اللامع كأس من الخمر تغتبق به الناقة في بده سيرها وتسكر

(١) السماكان - نجمان نيران (الاعزل والرامح) ، اليعافر - الظباء .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

بآخر في آخر الليل . لقد أخذ ذو الرمة ينشد إحدى قصائده التي يصور فيها رعوس رفقة السفر ؛ وهي تهتز وتنحنى من الأعياء والمأم النوم بها فجعلها ظلعا أى عرجا والعرج عادة توصف به الأرجل لا الرعوس ، لهذا صاح به أعرابى قائلا : ما رأيت أحدا اطلع الرأس غيرك فقال ذو الرمة : نعم واستمر فى انشاده أ

إذا انجابت الظلماء أضحت رعوسها  
عليهن من طول الكرى وهى ظلع (١)

هذه صورة غير عادية صدرت عن شاعر غير عادى ؛ ومثل هذا الشاعر والشعر كثيرا ما يتنكر له زمنه الذى لم يعتد سماع مثل هذا الجديد الذى جاء به .

ان شاعرنا يتجنب دائما التعبير المباشر حتى كأن بينهما عدا ، ويلجأ فى تعبيره الى الصور ، حتى اذا أراد ذكر الحيوانات فهو لا يذكرها بأسمائها ، وانما يذكرها بصفاتهما ويدعك أنت تستشف من الصفات معرفة نوع هذا الحيوان أو غيره من الموصوفات ؛ فحين يريد أن يصف الثور مثلا يفاجئك بهذه النقلة إليه :

أذاك أم نمش بالوشى أكرعه  
مسفع الخد، غاد، ناشط، شبيب (٢)

ومن المأمك بهذه الصفات وانتهى تليها تدرك أنه يتحدث عن الثور الوحشى ؛ وكذلك يفعل حين يصف الحمار الوحشى فيقول :

وثب المسحج من عانات معقلة  
كأنه مستبان الشك أو جنب (٣)

---

(١) الأغاني ج ١٦ والظلم - العرج .

(٢) نمش - منقط - أكرعه - قوائمه (أرجله) . مسفع الخد - أسود . شبيب - شاب قوى .

(٣) المسحج - الحمار المضض ، عانات معقلة - جماعات وقطعان الحمار الوحشية بهذا المكان . مستبان الشك - فيه عرج طفيف ، جنب - مريض بجنبه .

يحدو نحائض أشباهها محملجة  
 ورق السراويل . في ألوانها خطب (١)  
 وتلتقى كلاب الصيد بالثور في معركة ضارية : في رسم  
 لك ملامح هذه الكلاب دون ذكرها فيقول :  
 هاجت له جوع ، زرق ، مخصرة  
 شواذب . لاحها التغريت والجنب (٢)  
 غضف . مهرته الأشداق ، ضارية  
 مثل السراحين ، في أعناقها العذب (٣)  
 ويلوح الصبح ، فيعبر عنه هكذا :  
 ولاح أزهر مشهور بنقيته  
 كأنه حين يعلو عاقرا لئب  
 ولقد أدى به ذلك فيما بعد الى نظم أحجية شعرية : أطلق  
 عليها « أحجية العرب » ، يذكر فيها ملامح أشياء ثم يدعك تستنتج  
 ما هي ، ومن أبياتها قوله :  
 وسقط كعين الديك عاورت صاحبي  
 أباهها وهيأنا لموقعها وكرا (٤)  
 مشهرة لا يمكن الفحل أمها  
 اذا نحن لم نمسك بأطرافها قسرا (٥)  
 أخوها أبوها ، والضوى لا يضرها  
 وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا (٦)

- (١) يحدو - يسوق أمامه ، نحائض - اتنا وحشية . محملجة - شديدة  
 ورق السراويل - وبرها كالرماد في اللون . خطب - خضرة تضرب الى السواد .  
 (٢) مخصرة - كلاب صامرة ، شواذب - ياسة . لاحها - غيرها . التغريت  
 - العطش . الجنب التصاق رثته من العطش .  
 (٣) غضف - المفرد أغضف أى مائلة الآذان الى الألفية ، مهرته الأشداق -  
 واسعة الأفواه ، السراحين - الذئاب ، العذب - سيور تشد في أعناق الكلاب .  
 (٤) سقط - أى النار . أباهها - الزند .  
 (٥) الفحل - الزند ، أخوها أبوها - أخو الزند . ساق أبيها أمها أى  
 انهما من شجرة واحدة هي شجر المرخ .

والمراد بذلك « الزند » ، التي يقدر منها النار ؛ هذه  
الأحجية وغيرها عمل عقلي متكلف لا يلمس في القارىء وجدانه؛ ولا  
يهز مشاعره . وبالرغم من أن عددا كبيرا من صوره وتشبيهاته  
لا ترسم ملامح الموصوف من الداخل ، كما تعكس احساس الشاعر  
الا أن عددا غير قليل منها نستشف فيه روح الشاعر ونفسيته ؛  
من ذلك قصر الزمن مع حبيبته حين يغيب الغيور أبوها أو زوجها :

إذا غاب عنهن الغيور وأشرقت  
لنا الأرض في اليوم القصير المبارك  
تهللن واستأنسن حتى كأنما  
تهلل أبكار الغمام الضواحك

وأيام اللهو جميلة قصيرة كظل الكرم :  
فدع ذكر عيش قد مضى ليس راجعا  
ودنيا كظل الكرم كنا نخوضها  
وهذه الصور المتألقة الباسمة تكشف عن نفس راضية ؛ وقلب  
مبتهج :

كان أدامانها ، والشمس جانحة  
ودع بأرجائها فض ، ومنظوم (١)  
يضحي به الأرقش الجون القرا غردا  
في لحنه عن لغات العرب تعجيم

لكنه حينما لا يفعل يأتي ببعض الصور التي يتشابه فيها  
طرفا التشبيه تشابها خارجيا لا نفسيا من ذلك تشبيه الدموع  
« بفرائد خانتها سلوك النواظم » فحبات الدر المنفرطة الجميلة  
لا تشبه تلك الدموع الحزينة ؛ والبلاغيون وإن لم يكونوا اشتراطوا  
المشابهة التامة إلا أنهم جعلوا من شروط التشبيه البليغ أن يتشابه  
فيه الطرفان في أكثر صفاتهما وكشبهه بيض النعام بجماجم  
انفلقت أو « حنظل خرب » وصغارها سود « كأنها شامل أبشارها  
جرب » وقد يأتي بصور متتابعة متكلفة ، وذلك حين يريد أن يظهر

(١) ادمانها - طباؤها البيض ، فض ومنظوم - منشور ومنظوم .

براعته فى التصوير . وأخيرا فإن مما يميز شاعرنا عن سائر شعراء عصره كجرير والفرزدق وأصراهما هو تعبيره بالصورة . وبغضه الواضح للتعبير المباشر ، وتعليق جرير الذى علق به حين ذكر قوله :

ومنتزع من بين نسعيه جرة  
نشيج الشجا جاءت الى ضرسه نذرا (١)

فقال : قاتل الله ذا الرمة حيث يقول : «ومنتزع من بين نسعيه جرة» أما والله لو قال من بين جنبيه لما كان عليه من سبيل . هذا التعليق دليل على اختلاف ما بين الشاعرين ؛ فجرير يميل الى التعبير المباشر «من بين جنبيه» أما ذو الرمة فيهرب من التعبير المباشر الى التعبير المجازى «من بين نسعيه» والنسعان هما حبلا الحقب والتصدير اللذان يشد بهما القتد الى البعير . ذلك لأن ذا الرمة لا يكتفى بالمعنى العام وإنما يفوص الى المعنى النفسى البعيد لينقله نقلا أميناً دقيقاً ، فحين يريد أن يعبر عن الرياح الواهنة الضعيفة يعبر عنها بهذا التعبير الدقيق الذى ما كان ليتأتى له التعبير عنه بغير الأسلوب المجازى فيقول : «حشاشات أنفاس الرياح الرواجف والحشاشة البقية الباقية من النفس أو يقول :

بريح الخزامى هيبتها ؛ وخبطة  
من الطل أنفاس الرياح اللوالب

فالرياح اللاعبة المنهكة ضعيفة الأنفاس ، وعن السهر وديبه  
فى عظام رفقة السفر يقول مصورا له بالبقية من بقية كأس الكرى !  
أخى قفرات دببت فى عظامه

شفافات أعجاز الكرى وهو أخضع (٢)

(١) نسعيه - أى حبلى الحقب وحبلى التصدير ويكونان عادة على صدره وحقوقه قبل مؤخرته . نشيج - تنفس ، الشجا - الضيق أو شئ فى الحلق . نذرا - قليلة . والمراد أنه أخرج اجترارته . من بين حبلى التصدير والحقب فجاءت قليلة .

(٢) شفافات - بقايا ، أعجاز الكرى - أواخر النوم ، أخضع - مكس الرأس .



ولبعض الصور عنده ظلال تمتد على غير المشبه كقوله :  
وفرد يطير البق عند خصيله  
بذب كنفض الريح ذيل السراشق (١)

هذا التصوير يتجاوز وصف ذيله الى وصف الثور نفسه وبيان  
ضخامته .

#### رابعا - الموسيقى الداخلية فى شعره :

يقول بروكلمان «وهو كعادة الشعراء الجاهليين قد نظم شعره  
من الأبحر الطويلة فيكثر عنده الطويل ؛ والكامل ؛ والبسيط ،  
والوافر ولكنه يحسن مطابقة الحروف للمعاني ، فيصور ضرب رجل  
الجنذب على الرمل بترديد الراء والضاد (٢) وهذه المطابقة هى التى  
أطلقنا عليها الموسيقى الداخلية ، والتى تشمل ما أشار اليه  
بروكلمان وما هو أوسع من ذلك فمن هذا ..

( أ ) ترديده لأسماء الأصوات : كقوله :

تداعين باسم الشيب فى متثلم  
جوانبه من بصرة وسلام (٣)

وقد سبقه الى ذلك الراعى فى قوله :

اذا ما دعت شيبا بجنب عنيزة

مشافرها فى ماء مزن ، وباقل

والشيب صوت يدعو الابل للشرب ، كما أنه تقليد لشربها  
الماء ، ويقول « حتى اذا هأها به وأسدا » وهأها صوت حثه على  
السير ، ويقول :

---

(١) خصيله - ذنبه .

(٢) تاريخ الادب العربى لبروكلمان ج ١ .

(٣) اسم الشيب - حكاية صوت مشافر الابل عند الشرب ، البصرة - الحجارة  
البيضاء الرخوة ، سلام - حجارة واحدا سلمة ، متثلم - حوض فيه ثلم أى كسر .

إذا ما ارتمى لحياء يائين قطعت  
نطاف المراح الضامات القوارح (١)

أى قال : يا .. يا .. « وفرخ النعام يصحو من النوم فينادى  
أمه » بماء » بألف مماله :  
ونادى به « ماء » إذا ثار ثورة

أصبح . أعلى نقبة اللون ، أطرق (٢)

ومن أصوات زجر الابل : هيد ، هيد .. « إذا حدا هن بهيد .  
هيد » ويحكى صوت التثاؤب ، فالمسافرون إذا تنأب أحدهم أعدى  
بتثاؤبه الآخرين :

تعادوا « بيهيا » من مداركة السرى

على غائرات الطرف . هدل المشافر (٣)

والأمثلة على ذلك كثيرة فى الديوان :

#### (ب) اختيار ألفاظ ذات جرس خاص :

ومن ذلك أيضا اختياره للكلمات ذات الرنين والايقاع الذى  
يوحى بمدلول الكلمة ، واللغة العربية غنية بمثل هذه الكلمات ،  
والشاعر الفحل الملم هو الذى يستفيد من امكانيات اللغة ،  
ويستخرج أجمل وأروع ما فيها .. ومن هذه الكلمات الموحية  
قوله : رضراض الحصا .. فتكرار الراء والضاد يوحى بارتظام  
الحصا بعضه ببعض وقد دفعت به الريح ، وكلمة «نقنق» .. فى  
قوله :

يخيل فى المرعى لهن بشخصه

مصعلك أعلى قلة الرأس ، نقنق (٤)

(١) نطاف - بول . المراح - الابل المرحة النشيطة ، الضامات - الحاملات  
القوارح - المظاهرات الحمل . والمعنى إذا ماحتها على السير بقوله : يا .. يا ..  
قطعت الابل الحوامل النشيطة بولها وواصلت سيرها .

(٢) إذا ثار - قام من نومه . أصبح - أحمر مع بياض وهو ولد الظبية .

النقبة - اللون . أطرق - مسترخى البدن من الضعف .

(٣) هدل - متدليات المشافر .

(٤) يخيل - يبدى شخصه لهن . مصعلك - ظليم (ذكر النعام) صغير الرأس .

فالظلم ينقنق بصوته ، ولكلمة « حسيس » التي اذا مدت  
أعطت صوتا ضعيفا واهنا كصوت سكون الصحراء في قوله :  
بنا من حسيس القفر صوت كأنه

غناء أناسي بها وتنادى

وكذلك اختياره لكلمة « عزيز الجن » ولم يقل عزف لأن  
حرف المذ وهو الياء يوحى بالصوت في قوله :  
ورمن عزيز الجن في عقداته

هدوءا كتضراب المغنين بالطبل (١)

وقوله : تخطخ الخيم حتى ماله جوب ، يوحى بما فى الغيم  
من أصوات للرعد والبرق وتجمع للسحب ، والتعبير « بارثعت  
هواضبه » يوحى بسقوط المطر على الصخر، ويختار للتعبير عن الأبل  
الطوال العالية كلمات طويلة أيضا فيقول :

هينيات خرقاء ، إلا أن يقربها

ذو العرش ، والشعشعانات الهراجيب

ومن الكلمات الصوتية التي يستعملها : هينوم ، وهميم ،  
وميز الریح ، وخضخضوا فى الماء .. وغير ذلك مما لا يهمننا  
حصره ، وإنما يهمننا التعريف به كظاهرة من ظواهر الموسيقى  
الداخلية عند شاعرنا ذى الرمة ..

(ج) وإذا كان يستغل إيقاع الكلمة المفردة فى الإيحاء بمعنى  
ما يريد ، فإنه كذلك ودون إرادة واعية منه - يستغل الإمكانيات  
الصوتية التى يحدثها تجاوز بعض الكلمات ، وتكرار بعض حروف  
معينة فى العبارة وذلك شائع فى شعره كثير ، فهو حين يرغب فى  
نصوير صوت جناحى الجندب يكرر حرف الراء والضاد ليحدث هذا  
الإثر فيقول : معروريا ، رمض الرضراض يركضه (٢) فلقد كرر الراء  
ست مرات والضاد أربع مرات فى جملة واحدة .. وما أروع

(١) عقداته - رماله المنعقدة .

(٢) معروريا - يركبه عاريا ، رمض - الشديد الحرارة ، الرضراض - الحضا  
الحرك بهبوب الريح ، والمعنى أن الجندب يقف على الحضا الحار العارى يركضه  
ويدفعه بجناحيه .

تصويره لأصوات الهينمة التي تحيط بسالك الصحراء من كل جانب بقوله :

هنا ، وهنا ، ومن هنا لهن بها

ذات الشمال والايمان هينوم (١)

أكاد أن أقول بأن ذا الرمة كان على وعى بما يفعل ، لولا أن استغلال أصوات حروف الكلمات في الإيحاء بالمعنى لم يمتد إليه بشكل عقلي واع إلا في عصر الرومانسية فعمد بعض الشعراء إلى نظم قصائد يكثر فيها حرف السين مثلا للأشعار بسقسقة العصافير في الروضة التي يصفها . . وذو الرمة يشبه ضمور الحمار الوحشي بعضا قسيس ، وبالرغم من أن المعنى لا يوحي بما يوحي به تكرار السين في قوله :

على أمر منقذ العفاء كانه

عصا قس قوس لينها واعتدالها (٢)

الا أن ذكره للنفس أحاطه بجو كنسي ، فكرر حرف السين تصويرا لرنين أجراس الكنيسة؛ ويبدو أن هناك تداعيا لفظيا كالتداعي المعنوي ، فحين يأتي بكلمة ذات أحرف معينة ، ونغمة معينة تستدعي تلك الكلمة مثيلاتها في الأحرف والإيقاع من ذلك قوله : عن كورها الكرى ، فلما قرعنا القاع ، وقوله : ولا مستجيرا من جريرة مجرم . . فالجيم والراء هما مدار هذه الكلمات الثلاث . كما يأتي بكلمات ممدودة متتالية ليوحي بضخامة الناقة وارتفاعها فيقول :

يتبعن شأو علنداة ، مذكرة

خطارة ؛ حرة احدى المماهير (٣)

فالكلمات : «علنداة ، خطارة ، مذكرة ، حرة ، احدى المماهير» كلها ممدودة أو مشددة والشدة تشبه حرف المد حيث أن حرفها الأول ساكن فيشبه الألف القصيرة . وقوله : «صفا رصف مجرى

(١) هينوم - هينمة وصوت خفي .

(٢) منقذ العفاء - العفاء الوبر . ومنقذ يعنى ساقط والمراد به الحمار الوحشي .

قوس - منارة الرامب .

(٣) علنداة - شديدة - شأو - سير ، المماهير - الماهرات في السير .

سيول دوافع» يوحى بصغير الماء الجارى ، وصوت الريح الصادر من  
تكرار الميم فى قوله :  
ترميه بالمور مهياف يمانية  
هوجاء فيها لباقي الرطب تجريم (١)

### (هـ) المقابلة والجناس :

وقد يقابل بين بعض الإلفاظ والمعانى ليعمق الجو الموسيقى ،  
ويزيد فى أبعاد ، وهذه المقابلة تتضح فيها العفوية كقوله فى هجاء  
امرئ القيس :  
كثير مخازيها ، قليل عديدها

وقوله عن ناقته :

يشل نجاؤها وتبعوع بوعا  
ظهور أماعز وبطون بيد (٢)  
ومن الجناس أو ما يقرب أن يكون جناسا الاتيان بالكلمة  
ومشتقها أو نظيرها كقوله :  
ممر أمرت متنه أسدية  
يمانية حلت جنوب المضاجع (٣)

وقوله :

طوال الهوادى والحوادى كأنها  
سماحيج قب طار عنها نسالها (٤)  
والحوادى هى الأرجل :

- 
- (١) المور - التراب ، مهياف - ريح حارة ، الرطب - الكلا ، تجريم - أى  
تجفف الريح مابقى من الرطب .  
(٢) يشل نجاؤها - يطرد جريها . تبعوع بوعا - تبسط ذراعيها . أماعز -  
أرض صلبة .  
(٣) يصف الحمار الوحشى بأنه ممر - أى مقتول مدمج الخلق . أسدية -  
سحابة بنوء الأسد . جنوب المضاجع - نواحي هذا المكان . والمراد أن الذى جعله  
قويا ، مقتول العضلات أكله لنبات شرب من ماء المطر الذى هطل بنواحي مضاجع .  
(٤) الهوادى - الأعناق . الحوادى - الأرجل . سماحيج - طوال أى كأنها  
حمر وحشة طوال الظهور . قب - ضامرة . طار عنها نسالها - سقط عنها شعر  
ولادتها .

وقوله :

« فعرضت طلقا ، أعناقها فرقا »

وقوله :

« كان الدبا ، ماء الغضا فيه يبصق » (١)

#### د - أنواع أخرى :

وأنواع الموسيقى الداخلية فى شعره لا تنحصر فيما ذكرناه ،  
فمن مظاهرها هذا الترجيع الجميل فى قوله :

تذكر آلاف أتى الدهر دونها  
وما الدهر والالاف الا كذلك

وقوله :

نضت فى السرى منها أظلا ومنسما  
بزياء ، واستبقت أظلا ومنسما (٢)

والتكرار الذى يكشف عن حيرة عميقة فى قوله :

ألا لا أرى مثلى يحن من الهوى  
ولا مثل هذا الشوق لا يتصرم (٣)

ولا مثل ما ألقى اذا الحى فارقوا  
ولا أثر الأظعان يلقاه مسلم  
كفى خزنا فى الصدر يامى أننى  
واياك فى الأحياء لا نتكلم

واختياره نوعا بعينه من الأفعال ليصدق فى التعبير عن الزمن  
المعين وذلك كاختياره الفعل المضارع لاستحضاره الصورة والحركة  
فى قوله عن النعامة التى أدركها الليل فخشيت على فراخها  
من الغوائل :

---

(١) الدبا - صفار الجراد .

(٢) الأطل - باطن الخف . والمنسم - طرف الخف ، زيزاء - أرض صلبة .

(٣) لا يتصرم - لا ينتهى ولا ينقطع .

- يرقد فى ظل عراض ، ويطرده  
 حفيف نافجة : عشونها حسب (١)  
 تبرى له صلعة خرجاء خاضعة  
 فالخرق دون بنات البيض منتهب (٢)  
 لا يذخران من الايغال باقية  
 حتى تكاد تقرى عنهما الأهب (٣)

#### خامسا :

ويمتاز بالايجاز والتركيز ..  
 وعينان قال الله كونا فكانتا  
 فعولين بالألأباب ما تفعل الخمر  
 أى كونا فعولين ، فكانتا فحذف كما يصر على تصغير الكلمة  
 اذا اراد ان يتحدث عن فصيل الناقة أو طلا الطيبة أو فرخ النعامة  
 فيقول :

أعيس وأصيبح :  
 بها العائد العيناء يمشى وراءها  
 أصيبح أعلى الملون ذو رمل طفل (٤)  
 ويلجأ الى التصغير للتعبير عن قصر الزمن :  
 أناة يطيب البيت من طيب نشرها  
 بعيد الكرى ؛ زين له حين تصبح

ولديه جراءة على الاشتقاق ؛ واختيار الكلمات المناسبة ،

- (١ ، ٢ ، ٣) يرقد يسرع ، عراض - غيم كثير الرعد والبرد ، نافجة - صوت  
 ريح شديدة باردة ، عشونها - أولها ، تبرى - تتعرض له فى الجرى أى تباريه.  
 صلعة - صغيرة الرأس أى النعامة ، خرجاء - فيها سواد وبياض ، الخرق -  
 الصحراء ، دون بنات البيض - أمام الفراخ ، الأهب - الجلود .  
 (٤) لعائد - بقرة حديثة الولادة ، العيناء - الواسعة العينين ، أصيبح -  
 ولدهما الأشقر ، رمل - نقط ، طفل - ناعم .

فيشتق من الفجر أفجر ومن البحر مبحور ، ومن الخريف مخرف  
فيقول :

ولا مخرف فرد بأعلى صريمة

تصدى لأحوى مدمع العين، عاطف (١)

ويقصد بالمخرف ظبيا ولد في الخريف ؛ ومن « السيف ،  
يشتق كلمة مساييف فيقول : كصفح اليماني في يمين المساييف،  
ومن الظهر أظهر « بعد الضحى وأظهر المظهر » ومن الفجر  
أفجر :

فما أفجرت حتى أهب بسدفة

علاجيم عين « ابني صباح » تثيرها (٢)

ومن الغيم « تغام وتطلق » ومن الطحلب : عينا مطحلبة  
الأرجاء طامية فيها الضفادع والحيتان تصطخب ، وقد عيب عليه  
اصطخاب الحيتان ، والصواب ما قال فاصطخابها هو حركتها  
التي تحدثها بالقفز في الماء .

كما أن له قاموسه الشعري ، وبعض الكلمات التي تعتبر  
من لازماته وأغلب كلماته أو الكثير منها لا الأغلب يشتق من الناقة  
فشعره كهدر الابل « أحين ملأت الأرض هدرا » وللأرض سنام :

« منعنا سنام الأرض » . وتكثر كلمة الأنف في شعره ، وإن  
حبا من أنف رمل منخر و « أطافت به أنف النهار » وللجبل أنف ،  
يممت خطمه « والرياح تمرى السحاب فيمطر كما يمرى الحالب  
ضرع الناقة فيدر :

إذا ما استدرته الصبا وتذاءبت

يمانية تمرى الذهب المنائح (٣)

« واستدر من الدر وهو « اللبن » كما يكثر من استعماله  
لكلمة « أثباج » وقد استعملها غيره كالراعي النميري

(١) مخرف - ظبية ولدت في الخريف . صريمة - قطعة من الرمل ، أحوى

مدمع العين - اسود العين وهو ولدها ، عاطف - لاوى عنقه أى نائم .

(٢) علاجيم - ضفادع ، سدفة - ظلمة .

(٣) الذهب - السحاب ، المنائح - المطر .



لكنه كلف بها فكثر من استعمالها من ذلك : «بجرع كائباج القطا  
ممتابع» وللمل أثباج ، والشبح هو وسط الشيء .  
حتى اذا جعلته بين اصهرها

من عجمة الرمل أثباج لها حجب  
ومتون الابل كانها « اذا أبرقت أثباج أحسنه شقر » ومن  
الكنمات التي يولع بها كلمة ماتت « فالشهب تموت » لان شجر  
الأرطى يصد حرارة الصيف ؛ ويحجب أشعة الشمس الالهية :  
ربلا وأرطى نفت عنه ذوائبه

كواكب القيظ حتى ماتت الشهب (١)

والصحراء : «ماتت فوقها كل هبوة»

**سادسا :** ومن مميزات أسلوبه **التضمين . والأقواء والسناد :**  
وقد كان القدامى وعدد كبير من المعاصرين يعتبرون هذه عيوباً يحذر  
الشعراء من الوقوع فيها ذلك لأن القدامى كانوا يعتمدون على وحدة  
البيت في الحفظ والاستشهاد فيريدون له أن يكون مستقلامكتفياً  
بذاته ليتحقق لهم ذلك أما وحدة الفكرة أو القصيدة كما يراها  
المعاصرون فلم تكن تخطر لهم على بال ، وشاعرنا ذو الرمة صاحب  
الفطرة السليمة ، توجهه فطرته وتقوده الى وحدة الفكرة لا وحدة  
البيت فتأتى أبيات كثيرة في شعره يرتبط بعضها ببعض ، وفي  
القصيدة الواحدة نجد أن الفعل في بيت والفاعل في آخر :

أنخنا بها خوفاً برى النص بدنها

وألصق منها باقيات العرائك (٢)

نذكر آلاف أتى الدهر دونها

وما الدهر والآلاف الا كذلك

وجواب الشرط في بيت وأداة الشرط في آخر :

اذا غاب عنهن الغيور وأشرق

لنا الأرض في اليوم القصير المبارك

(١) ربلا ، نبات كثير اخضر ، كواكب القيظ - شدة حرارته .

(٢) خوفاً - غائرات الاعين ، برى - أكل وانقص ، النص - مواصلة السير .

بدنها - دهما وشحمها ، العرائك - الاسنة .

تهللن واستأنسن حتى كأنما  
تهلل أبكار الغمام الضواحك  
وكان وخبرها في بيت واسمها في الذي بعده :  
لأن على فيها إذا رد روحها  
الى الرأس روح العاشق المتهانك (١)  
خزامي اللوى هبت له الريح بعدما  
علا نورها مع الثرى المتدارك (٢)  
ويربط ما بين هذين البيتين بحرف العطف لأنها يكونان  
فكرة واحدة فيقول :  
ولما تلاقينا جرت من عيوننا  
دموع كففنا ماءها بالأصابع  
ونلنا سقاطا من حديث كأنه  
جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع (٣)  
ويأتى بالفعل تقول في بيت والمقول والمقول له قى آخر :  
تقول التي أمست خلوقا رجالها  
يغيرون فوق الملجمات العوالك (٤)  
لجاراتها أفنى اللصوص ابن منذر  
فلا ضير ألا تغلقى باب دارك  
ولا تخلو قصيدة من قصائده من هذا التضمين الذي هو  
من محاسن الشعر الحديث :

أما الاقواء أو السناد : فهو لا شك عيب ، ولكن لا يعتبر  
مأخذا إلا على الدارس أما شاعر الفطرة فمهما حاول تجنبه فلا  
يستطيع ؛ ولقد كان ذلك من سقطات شاعر كبير كالنابغة وبیتہ

- 
- (١ ، ٢) رد روحها الى الرأس - قبلها قبله حارة ، خزامي - زهر طيب  
الرائحة ، مع الثرى - المراد به الماء .  
(٣) الوقائع - جمع وقية : أرض صلبة تمسك الماء .  
(٤) خلوقا - تركها رجالها ذاهبين الى الحرب .

الذى جاء فيه « وبذاك خبرنا الغراب الأسود » مشهور : وردى أنه قال دخلت المدينة وفى شعري السناد وخرجت منها وأنا لا أساند وذو الرمة يصارحنا بأن هذا السناد كثيرا ما يؤرقه ليخلص شعره منه :

وشعر قد أرقى له غريب  
أجنبه المساند والمحالا

وإذا كنا نعرض نماذج لهذا العيب الذى هو من مستلزمات الغضرة قبل صقلها بالدرس والتعليم فنحن لا نعدّه عيباً خطيراً فى شعره وإنما هو شيء شكلى عارض لا يفض من قيمة شعره الفنية ويفرق « ثعلب » فى قواعد الشعر بين السناد والاقواء (١) فالاقواء اختلاف حركة حرف الروى فى الكسر أو النصب أو الضم والسناد هو اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى عند ثعلب ، وعند غيره اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات ، وعن أمثلة النوع الثانى عند ذى الرمة قوله :

أما استحلبت عيناك إلا محلة  
بجمهور حزوى أو بجرعاء مالك

ثم يقول بعد أبيات منها :  
إذا غاب عنهن الغيور ؛ وأشرقت  
لنا الأرض فى اليوم القصير المبارك

فما قبل الحرف الأخير مفتوح بينما هو فى سائر أبيات القصيدة مكسور ؛ ومن النوع الأول مما تصادفه أحيانا - قوله :

خليلى عوجا عوجة ناقتيكما  
عسى الربع بالجرعاء أن يتكلمنا  
دعانى الهوى من حب مية والهوى  
إذا غالب منى الفـؤاد المتيما

(١) قواعد الشعر لثعلب تحقيق د. خفاجى .

فرب بلاد قد قطعت لوصلكم  
على ضامر منها السنام المحطم  
ومن الواضح أن الضبط هكذا (على ضامر منها السنام المحطم)  
وكذلك يفعل في قصيدته :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة  
ماء الصبابة من عينيك مسجوم (١)

فيقول بعد أبيات :

قد يترك الأرحبى الوهم أركبها  
كأن غاربه يافوخ مأموم (٢)

وأخيرا من الظواهر التي كان يكثر منها في شعره وصفه  
للموصوف بالجملة أولا ثم المفرد بعد ذلك ، وبالرغم من أن أحدا  
من النحاة الذين وقعت يدي على مؤلفاتهم لم يشر لهذا النوع من  
النعت ، وهل يجوز تقديم النعت بالجملة على المفرد أم لا ، إلا أن  
احساسى الخاص يضيق بهذا ؛ بل يوقع القارئ صنيعة هذا في  
نوع من الاضطراب وربما كان سببه القافية ، لأن النعت بالمفرد  
يأتى قافية للبيت ؛ فيلزم ضرورة أن يتقدم عليه النعت بالجملة  
ومن أمثلته في شعره قوله :

كانها ابل ينجو بها نفر  
من آخرين أغاروا غارة - جلب

فجلب صفة لابل أى ابل مجلوبة ينجو بها نفر من آخرين  
أغاروا غارة عليهم ؛ ومثل ذلك وصفه للحرباء :

كأن يدي حربائها متشمسا  
يدا مذنب ، يستغفر الله ، تائب

---

(١) أعن أصلها أن - قلبت الهمزة عينا في لغة بعض القبائل .

(٢) أرحبى - ابل رجة الذراع أو منسوبة الى فعل اسمه أرحب ، الوهم  
- الضخم ، يافوخ - مؤخر الرأس . مأموم - مشجوج .

وأصل التركيب يدا مذنب تائب، يستغفر الله : ومنه أيضا :  
وقد لاح للسارى سهيل كأنه  
قريع هجان عارض الشول جافر (١)

أى قريع هجان جافر عارض الشول ، وقد يحشـو بعض  
الكلمات - وهذا قليل فى شعراء - التى تعتبر زائدة ليستقيم له  
الوزن : رغم ما عرف عنه من معاودته لصقل أبياته وتغيير ما لا يراه  
فيها مناسبا حتى شكا بعض الرواة من فعله هذا قائلا : أفسدت  
على شعرك ، وذلك أن ذا الرمة كان اذا استضعف الحرف أبدل  
مكانه (٢) . فمن حشوه لبعض الكلمات الزائدة قوله : كسا  
الواكف الغادى لها ورقا نظرا « فكلمة » لها « زائدة لاقامة الوزن  
حيث لم يتأت له أن يقول : « كساها » وكذلك قوله :

« لمياء فى شفتيها حوة لعس » « فحوة » والمعنى بمعنى واحد  
هو سواد الشفة والعرب تحب ذلك لدلالته على الصحة واكتناز  
الشفتين وان كان (٣) « نصيب » ينصح الكمية بأن يصنع  
صنيع ذى الرمة فى قوله :

لمياء فى شفتيها حوة لعس  
وفى اللثات وفى أنيابها شنب

وذلك حين أنشده قوله :

وقد رأينا بها حورا منعمة  
بيضا تكامل فيها الدل والشنب

ومن الحشو أيضا قوله :

يذكرنى ميا من الطبقى عينه  
مرارا وفاها الأقحوان المنور

---

(١) قريع هجان - فعل ايض ، الشول - الابل اللواقح ، عارض - لم  
يتبعه . جافر - ممتنع عن الضراب (المقاج) .

(٢) المونج للموزيانى .

(٣) الكامل للمبرد ج ١ .

فمرارا هنا زائدة لا مكان لها فى البيت ، وانما جىء بها فقط  
لإقامة الوزن .

هذه هى بعض خصائص أسلوب ذى الرمة ؛ كما استطعنا  
أن نستخلصها من شعره ولعل باحثا آخر فى المستقبل يجذبه  
شعره فيتوصل الى ما لم نتوصل اليه من هذه الخصائص ، ذلك  
لأن ذا الرمة شاعر يضم بين جنبيه الكثير من غرائب أسرار الفن  
التي تحتاج الى بحث دائب ؛ وتذوق خاص حتى يتوصل دارسه الى  
استكناه أسرازه ؛ فهو فى الشعر صاحب أسلوب منفرد ، متمرد على  
ما ألزم نفسه به من السير على خط الاوائل ؛ والنسج على منوالهم  
فى بناء القصيدة العربية المتوارث ، فبالرغم من أنه قد سلك  
مسلكهم ؛ ونظم فى أغراضهم الا أنه بنسيجه الخاص للمادة ، التي  
صاغ منها قصائده استطاع أن يفلت من قبضتهم ويحطم قيودهم ،  
ويجعل لنفسه أسلوبا شعريا خاصا ربما لم ينجح شاعر - ممن أتوا  
بعده وحاولوا تقليده - أن يقتفى أثره فيه ، لأنه صادر عن عبقرية  
شاذة ؛ وتكوين مزاجى خاص لا يتوفر لكل شاعر .

مركز تحقيق التراث  
بمكتبة جامعة القاهرة



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب السادس

## منزله الشرعية

مركز بحوث ودراسات إسلامية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## منزلته الشعرية :

كثيرا ما تكون الظروف السياسية ؛ أو مفهومات النقاد الخاطئة عن الفن فى عصر ما سببا فى الاشادة ببعض الفنانين ، و ابرازهم فى دائرة الضوء ، فى حين تحجب غيرهم وتدعه فى الظل بعيدا عن أعين الناس ؛ وأسماعهم ؛ هذا ما حدث فى العصر الأموى مع أكثر من شاعر تنكر لهم عصرهم ، وقدم عليهم من هم أدنى منهم . . . موهبة ؛ ومقدرة فنية ؛ وليس ذلك بغريب فى كل زمان ، ومكان فشكسبير الشاعر الانجليزى المشهور عاش مجهولا أو شبه مجهول ، ولا يزال الباحثون يناقشون قضية وجوده كإنسان حقيقى ؛ وجد يوما ؛ وكان يحمل هذا الاسم . . . ولم يهتد الى موهبته الفنية الخارقة الا بعد مرور أعوام على وفاته .

والعامل السياسى الذى أشرنا اليه ، وربما كان له أثر فى التأخر بشاعرنا ذى الرمة عن مرتبة الفحول فى عصره ، هو تشجيع خلفاء بنى أمية للشعراء الذين يقفون فى صفوفهم والذين يكيلون لهم آيات المديح والثناء ؛ وينافحون عنهم أعداءهم ؛ لهذا أقبل هؤلاء الخلفاء على الأخطل ، وكان عبد الملك يدعه يدخل عليه والخمر تفوح من لحيته ، وقد علق صليبا ذهبيا فى عنقه ، فى دواة كانت تجلد شارب الخمر اذا شرب كأسا واحدة ، وتلزم أهل الذمة يدفع اتاوات باهظة ، وذو الرمة شاعر يعتز بقومه بنى تميم ويرى أنه ليس أدنى شأنًا من أى خليفة أو أمير ؛ فلم يبتذل نفسه على أبوابهم ؛ وان كان حاول ذلك فى استحياء وابتاء وهذا ما جعل

الأمويين يضيّقون بالفرزدق أيضا لكثرة مباحاته بقومه ، ويقدمون عليه جريرا حينا ونصيبا حينا آخر : والنقاد قد تأثروا أيضا بهذا الجو السياسي في الأدب فجعلوا للشعر أركانا أربعة : مدح رافع ، أو هجاء واضح ، أو تشبيه مصيب أو فخر سامق ، وهذا كله - كما يقول البطّين - مجموع في الفرزدق ؛ وجرير والأخطل ؛ أما ذو الرمة فهو يحسن التشبيه ، فهو ربع شاعر (١) « وجرير الذي ذكرنا فيما سبق أنه كان يحسد ذا الرمة كما كان يحسده الفرزدق أيضا وبذلك حدثنا راويته صالح بن سليمان يقول عن شعره حين سأله المهاجر أمير اليمامة عن رأيه فيه « نقط عروس وأبعاد طباء » ، ومع هذا فقد قدر من التشبيه على ما لم يقدر عليه غيره . . . ويقول الأصمعي « ان شعر ذي الرمة خلّو أول ما تسمعه ، فاذا كثر انشاده ضعف ، ولم يكن له حسن » وقال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد :

ما بال عينك منها الماء ينسكب  
كأنه من كلي مفرية سرب

لكان أشعر الناس . . . واتهمه الأصمعي كما أتهم الكميت « بأنهما يستكرهان الشعر وان كان ذو الرمة أحسن حالا عند الأصمعي من الكميت . . . » وقال أبو عبيدة : كان ذو الرمة اذا أخذ في النسيب ، ونعت فهو مثل جرير وليس وراء ذلك شيء فقيل له ما يشبه شعره الا بوجوه ليست لها أقفاء ، وصدور ليست لها أعجاز قال : كذا هو . . . « وعيب ذو الرمة لأنه وصف عين ناقته بالميم ، فقيل : لولا أنه يكتب لما عرف الميم (٢) » .

وينقل صاحب الأغاني عن الأصمعي (٣) أنه قال : ما أعلم أحدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكّا حبا أحسن من شكوى ذي الرمة ، مع عفة وعقل رصين ، كما ينقل عن أبي عبيدة أيضا

(٢١) الموشع للمعرياني .

(٣) الأغاني ج ١٦ .

قوله : ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحب فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف؛ وعفاف في الحكم ٠٠ « ويسأل الوليد بن عبد الملك كلا من الفرزدق وجريير على انفراد عن ذي الرمة ، فكلاهما يقول : أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه غيره فقال الخليفة : أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعا (١) ٠٠ »

لقد سقت هذه الآراء التي يبدو فيها التضارب أحيانا على لسان الشخص الواحد كما هو واضح في كلام جريير والأصمعي وأبي عبيدة - لا ثبت أن هذه الآراء ليست سوى مجرد نظرات جزئية عابرة تختلف باختلاف الحالة النفسية التي عليها الناقد أو الشاعر ولعلنا نخرج من آراء هؤلاء المخالفين بأنهم قد اعترفوا بقدرته على التشبيه ؛ وتفوقه في النسيب ؛ وبأنه أخذ من طريف الشعر وحسنه الى ما لم يسبقه اليه غيره ، كما تؤيد أبا عبيدة فيما قاله : من أن بعض قصائده لا كلها تشبه وجوها ليست لها أقفاء ، وصدورا ليست لها أعجاز ؛ تلك القصائد في رأينا هي القصائد المفتوحة التي لم يتمها ذو الرمة ؛ وانما كان يضيف اليها ويزيد فيها ٠٠ قال حماد الراوية « ما تم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها : « ما بال عينك منها الماء ينسكب » حتى مات ، وكان يزيد فيها منذ قالها الى أن توفي ، ومن الواضح أن نقاد ذلك العصر كانوا متأثرين دائما بالمفهوم الخاطيء عن الفنان أو الشاعر الفحل هذا المفهوم الذي حدد البطين أركانه ؛ ولأن ذا الرمة لسبب ، أو لآخر لم ينصرف للمديح والهجاء رغم قدرته الخارقة؛ على الاجادة فيهما - جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية مع البيهقي ، وكثير والقطامي ، ولم يجعله في طبقة جريير والأخطل والفرزدق ، ولا أعتقد أننا في حاجة الى أن نكرر ما قلناه من أن ذا الرمة يتفوق على أولئك جميعا ؛ الذين أساءوا الى الشعر بالانحدار به الى حضيض المهاترات الشخصية ، والاستجداء الدليل .

واذا كنا قد سقنا آراء المعارضين أو المنكرين ؛ فاننا نسوق

هنا أيضا . . آراء المؤيدين : كما نسوق آراء بعض الشعراء  
أنفسهم : قال حماد الراوية : قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر  
أفصح ولا أعلم بغريب منه ، وعن أبي عمرو بن العلاء : ختم الشعر  
بذى الرمة : والرجز برؤبة : فسأله أحدهم : فما تقول فى هؤلاء ؟  
الذين يقولون قال : كل على غيرهم ، أن قالوا حسنا فقد سبقوا اليه  
وإن قالوا قبيحا فمن عندهم : وعن حماد : أحسن الجاهلية تشبيها  
أمرؤ القيس .

وذو الرمة أحسن أهل الاسلام تشبيها . . « وأنشد الصيقل  
شعره فاستحسنه : وقال : ماله قاتله الله ما كان الا ربيعة : هلا عاش  
قليلًا » .

وعن محمد بن سلام : كان لذى الرمة حظ فى حسن التشبيه  
لم يكن لأحد من الاسلاميين . . « وقيل لبلال بن جرير أى شعر ذى  
الرمة أجود فقال : هل حبل خرقاء بعد اليوم ملموم - انها مدينة  
الشعر » وقال جرير : ما أحببت أن ينسب الى من شعر ذى الرمة  
الا قوله : « ما بل عينك منها الماء ينسكب » فان شيطانه كان له فيها  
ناصحا . وقال الكميت حين سمع قول ذى الرمة :

أعاذل قد أكثرت من قول قائل

وعيب على ذى الود لوم العواذل

هذا والله ملهم ، وما علم بدوى بدقائق الفطنة ، وذخائر كنز  
العقل ، المعد لذوى الألباب ، أحسن ثم أحسن ، وعن ابن كناسة أن  
الكميت لما أنشد قول ذى الرمة :

دعانى ، وماداعى الهوى من بلادها

إذا ما نأت خرقاء عنى بغافل

قال : لله بلاد هذا الغلام ، ما أحسن قوله ، وما أجود وصفه ،  
ولقد شفع البيت الأول بمثله فى جودة الفهم ، والفطنة ، وقال حماد  
الراوية : « ما آخر القوم ذكره الا لحدائثة سنه وأنهم حسدوه » نعم انهم  
حسدوه ، بل إن هؤلاء الحساد هم الذين كانوا يبعثون بصبيانهم ،  
وأتباعهم ليتعقبوه ، ويسألوه ، مستغلين عدم معرفته لتلك العلوم  
التي يتدارسونها فى حلقات مريد البصرة أو كناسة الكوفة ،

فالفرزدق الشاعر الجهير الذي تتحدث بشعره الركبان ، يقول لدى  
الرمة : الذي جاء يطلب منه الرأي والنصيحة :

قصر بك عن اللحاق بالفحول ، ذكر الأبعاد ، وبكاوك الديار ثم  
ينشد ساخرا :

ودوية لو ذو الرميمة أمها  
لقصر عنها ذو الرميم وصييح  
قطعت الى معروفها منكرااتها  
إذا اشتد آل الأمعز المتوضح (١)

ويغريه بالاشتباك مع هشام المرثي في الهجاء ليصرفه عن هذا  
اللون الجديد من الشعر الذي طرقة ، فلقد مر عليه يوما وهو  
ينشد :

وقفت على ربع لمية ناقتي  
فمازلت أبكي عنده وأسائله

فقال له : أهاك البكاء في الديار والعبد يرتجز بك في المقابر  
يعنى هشام المرثي ، ويعين جرير كلا من هشام وذو الرمة بشعر  
هجائي ضد الآخر ليصعد بينهما حرب الهجاء ، فاذا أضفنا ذلك الى  
ما قاله راويته صالح بن سليمان من أن جريرا والفرزدق كانا  
يحسدانه ، خرجنا بنتيجة شبه مؤكدة ، وهي أن هؤلاء الذين كانوا  
ينتقدون شعره ويقاطعون أثناء لقائه مدفوعون الى ذلك بأيدي  
غيرهم ؛ من هؤلاء هذا الخياط الذي سمعه ينشد في المربد والناس  
مجتمعون اليه فصاح يا غيلان :

ألسنت الذي تستنطق الدار واقفا  
من الجهل هل كانت بكن حلول

فقام ذو الرمة ، وفكر زمانا ثم عاد فقعده في المربد ينشد فاذا  
الخياط قد وقف عليه ثم قال له :

(١) منكرااتها - جهاتها غير المعروفة ، آل - سراب ، الأمعز - أرض صلبة .

أنت الذى شبهت عنرا بقفرة  
لها ذنب فوق استنها أم سالم

فذهب ذو الرمة ، ولم ينشد بعدها غنى المربد حتى مات  
الخياط . . ولا يعنينا كثيرا ما علق به صاحب الأغاني : من أن  
ذا الرمة انتبه بعد ذلك فقال :

أرى فيك يا خرقاء من ظبية الحمى  
مشابه ، جنبت اعتلاق الجبال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها  
ولونك ، لولا أنه غير عاطل

وقال حماد الراوية قدم علينا ذو الرمة الكوفة : فلم  
نر أحسن ، ولا أفصح ، ولا أعلم بغريب منه ، فغم ذلك كثيرا أهل  
المدينة فصنعوا له أبياتا جاء فيها :

رأى جملا يوما : ولم يك قبلها  
من الدهر يوما كيف خلق الأباقر (١)

فقال : شظايا مع طباي ، ألييا  
وأجفل أجفال الظليم المبازر

فقلت له : لاذهل ملكم بعدما  
ملاينفق التبان فيه بعاذر

فقال : ما أحسب هذا من كلام العرب ، ووقف ينشد قصيدته  
الحائية بالكوفة الى أن قال :

إذا غير النأى المحبين ثم يكد  
رئيس الهوى من حب مية يبرج

---

(١) هذه الأبيات لا معنى لها وقد صيغت فقط للسخرية من ذى الرمة الذى

يكثر من الغريب .

فناداه ابن شبرمة : يا غيلان ، أراه قد برح . فشقق ناقته ،  
 وجعل يتأخر بها ويفكر ثم قال : لم أجد قال الراوى : أخطأ ابن  
 شبرمة : فان هذا مثل قول الله عز وجل : « ظلمات بعضها فوق  
 بعض اذا أخرج يده لم يكده يراها » . . . « ومعناه لم يرها ، ولم يكده  
 . . . » وقال رجل للأصمعى : رأيت ذا الرمة بمرصد البصرة وعليه  
 جماعة مجتمعة ، وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار ، وهو  
 ينشد ودموعه تجرى على لحيته ، « ما بال عينك منها الماء ينسكب ،  
 فلما انتهى الى قوله :

تصغى اذا شدها بالكور جانحة  
 حتى اذا استوى فى غرزها تثب  
 قلت يا أخا بنى تميم ما هكذا قال عمك ، قال أى أعمامى  
 يرحمك الله ، قلت الراعى قال : وما قال ؟ قلت قوله :  
 لا تعجل المرء قبل البرو  
 ك ، وهى بركبته أبصر  
 وهى اذا قام فى غرزها  
 كمثل السفينة اذ توقر (١)  
 ومصغية خدها للزما  
 م . فالرأس منها له أصعر (٢)  
 حتى اذا ما استوى طبقت  
 كما طبق المسحل الأغبر (٣)  
 قال : فارتج عليه ساعة ثم قال : انه نعت ناقه ملك ، ونعت  
 ناقه سوقه ، فخرج منها على رؤوس الناس ؛ « وعن عنبسة النحوى ؛  
 أنه قال : سمعت ذا الرمة ينشد :

(١) توقر - تملا بالبضائع وغيرها .

(٢) أصعر - مائل نحوه .

(٣) طبقت - سارت واضعة رجلها فى موضع يدها . المسحل - الحمار



وعينان قال الله كونا ، فكانتا  
فعولين بالألـباب ، ماتفعـل الخمر

فقلت له : هلا قلت : « فعولان » فقال : لو قلت سبحان  
الله والحمد لله ولا اله الا الله ، والله أكبر كان خيرا لك « أى أنك  
أردت القدر » وأراد ذو الرمة كونا فعولين . وأراد عنبسة :  
«وعينان فعولان» (١) وقد رأينا أن بعض الشعراء حاول أن يصرف عنه  
قلب الواو الذى يحبه ويقربه « بلال بن أبى بردة ، فقال له : لم  
تعطيه وهو يعمد الى مقطعاتنا فيضمها ، ويمدحك بها .» ؛ لهذا اضطر  
شاعرنا الانطوائى الرقيق الذى ينشد شعره ، ويبكي - الى الدفاع  
عن شعره بالفخر به حيناً ، وتهديد من ينال من شعره بالهجاء ،  
كما فعل مع أبى عمرو بن العلاء ، بل هجا واليا هو الحكم بن عوانة  
الواو على فارس وخراسان . . . لقد آلم هؤلاء الحاقدين أن يروا  
نجمه الشعري فى صعود دائما فترصده ، أو دفعوا بمن يترصده ؛  
وان شاعرا شابا مثله : يفضلـه الوليد بن عبد الملك على الفرزدق  
وجرير ، ويتعصب له أهل البادية الذين تضرب اليهم أكباد الابل  
بحثا عن كلمة فصيحة أو بيت شعري ؛ ويسمع أعرابي شعره وهو  
ينشده راويته صالح بن سليمان فيقول له : أشهد أنك فقيه تحسن  
ما تقرأ « فيظنه قرآنا ؛ ان شاعرا مثل هذا حرى بأن يحقق عليه ؛  
وتدبر له المكائد من الكبار والصغار معا « لقد كان ذو الرمة صريحا  
واضحاً فى الحديث عن شعره اذ قال : من شعري ما طأوعنى فيه  
القول وساعدنى كقولى : « خليلي عوجا من صدور الرواحل » ، ومنه  
ما أجهدت فيه نفسي وهو : « أن تؤسمت من خرقاء منزلة » ،  
ومنه ما جنت به جنونا وهو : « ما بال عينك منها الدمع ينسكب »  
ولقد كان لذى الرمة أكثر من راوية يرددون شعره فكان منهم  
صالح بن سليمان ، وعصمة بن مالك ، وذكوان وغيرهم كما شهد  
بعض معاصريه من الشعراء : علقـد روى أبو العباس فى الكامل :  
أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له ، فكان فيما أنشده :

(١) هذه رواية الأغاني التى صححناها فيما سبق كما جاء فى الديوان .

وقد رأينا بها حورا منعمة  
بيضاً تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع ، قال أحصى  
أخطأك . . ، تباعدت في قولك ، « تكامل فيها الدل والشنب » :  
هلا قلت كما قال ذو الرمة : « لمياء في شفتيها حوة لعس » البيت . .  
ولقد عرض الكميت بن زيد هذا قصيدته : « طربت وما شوقا  
الى البيضر أطرب » على ذى الرمة ، قائلا : « لماذا لا اجيد الوصف  
مثلك ، فقال له ذو الرمة : لأنك تصف ما تسمع ، وأصف أنا ما  
أرى . . لقد امتد أثر ذى الرمة الى الأجيال التي بعده فلقد حفظ  
شعره كله في صباه هارون الرشيد ، كما كان الهادي يعجب  
بشعره فعمل له ابراهيم الموصلي الألحان الماخورية (١) وقال غنيت  
بها الهادي فاستحسنها ؛ وكاد يطير بها فرحا ؛ وأمر لي لكل صوت  
بألف دينار ، منها : « ألا يا سلمى يا دارمى على البلى » « ومنزلتى مى  
سلام عليكما » وغيرها كما تأثر به الى حد كبير ابن المعتز الشاعر  
وحاول أن يفتن في التشبيه مثله : ولكنه لم يصل الى مكانته وان  
كان اتكأ على صوره ، وتأثر بتشبيهاته قال أبو اسحاق الحصرى (٢)  
وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر  
والنثر ، وفى النهاية فى اشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة  
حاشية اللسان . .

ثم يقول : « وليس بعد ذى الرمة أكثر افتنانا ؛ وأكبر تصرفا  
واحسانا فى التشبيه منه . . » واجتمع بعض الأدباء والشعراء  
عند ابن المعتز فأخذوا فى تذاكر الشعر وتفضيل بعض الأبيات  
التي تدور حول معنى واحد على بعض الى أن قال أحدهم ، بل  
الأحسن قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود فى الثرى  
وساق الثريا فى ملاءته الفجر

(١) الاغانى ج ١٦ .

(٢) زمر الاداب ج ١ ص ٢١٩ .

فقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : هذا لعمري نهاية-  
 الخبرة ، وذو الرمة أبدع الناس استعارة ، وأبرعهم عبارة (١) وفي  
 رسالة للقاضي الفاضل أرسل بها الى والد ابن سناء الملك (٢)  
 يقول : « وما تغصصت الا بغيبة ابن المعتز عن أن يسمع كما نسمع ؛  
 فيقطع بفضلته كما نقطع ، ويكف عن عدواء تشبيهه ويغض من غلواء  
 توجيهه ، ونوافقه على انه اتكأ واتكل على ذى الرمة فى طريقه ؛  
 ومستأنسا بأنس رفيقه ، فما ترك له تشبيها الا نقله وصقله . . . »  
 وهذا اعتراف من القاضي الفاضل وشهادة على أن ذا الرمة قد أثر  
 أثرا كبيرا فى ابن المعتز الذى تتبع تشبيهاته بالنقل والصقل . . .  
 ويفضل صاحب كتاب المعانى أبو هلال العسكري ذا الرمة على  
 ابن المعتز حين يوازن بين بيتيهما فى وصف الحرباء :  
 يقول ذو الرمة :

كان يدي حربائها متشمسا

يدا مذب يستغفر الله تائب

ويقول : وقد جعل الحرباء يصفر لونه . . البيتان وقد سبق  
 لنا ذكرهما ، وقوله :

« يصلى بها الحرباء للشمس ماثلا »

ويقول ابن المعتز :

كان حرباءها والشمس تصهره

صال لنا من لهيب النار مقرر (٣)

ويعقب أبو هلال على ذلك بقوله : وهذا تشبيه مصيب أيضا  
 الا أن للأول ( ما قاله ذو الرمة ) ماء وطلاوة ليس لذا ؛ (٤) ويظهر  
 أيضا حب أبى العلاء المعرى لذى الرمة فى كثرة الاستشهاد بشعره .

(١) زهر الآداب ج ٢ .

(٢) مشكلة العقم والابتكار للدكتور الاهوانى .

(٣) صال - يندفأ بالنار .

(٤) المعانى ج ١ ص ٧ .

وضرب المثل بحبه ، يقول من رسالة بعث بها الى أبى الحسن محمد بن سعيد بن سنان « تهدي الى حضرة الشيخ الجليل والده عضد الله الجماعة ببقائه سلام ذى الرمة على مى ، والحاذرة على سعى (١) » .

ويقول ابراهيم بن العباس :

يمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضا  
فيصدع قلبى أن يهب هبوبها  
قريبة عهد بالحبيب ، وانما  
هوى كل نفس حيث كان حبيبها

وقد أغار فيهما كما يقول أبو هلال على ذى الرمة فى قوله:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب  
به أهل مى زاد شوقى هبوبها  
هوى تذرف العينان منه وانما  
هوى كل نفس أين حل حبيبها

بل لم يسلم شاعر ما ممن أتوا بعد ذى الرمة من تقليده والتأثر بصورة ، وهذا أبو نواس الشاعر المصور المبدع يستمد من ذى الرمة بعض معانيه وصوره التى ذكر عددا منها مهلهل بن يموت فى كتابه « سرقات أبى نواس » مثال ذلك قول ذى الرمة :

سقاء السرى كأس النعاس فرأسه  
لدين الكرى من آخر الليل ساجد

سرق معناه أبو نواس فقال :

أبيض فضفاض الرداء أزهرا

أسقته كف الليل أكؤس الكرى

وأصدق دليل على عبقريته ، ونبوغه الفنى ، تتبع أمثال هؤلاء الأعلام لمعانيه ، وتأثرهم بشعره وشهادة عدد كبير من أهل

---

(١) رسائل أبى العلاء ص ٥٦ .

العلم بالفن واللغة حتى ان بعض النحاة واللغويين الذين لاتهمهم  
سوى الكلمات اللغوية ، والأساليب العربية العتيقة قد علقوا على  
شعره بما يفيد الاستحسان ، قال السيرافي وهو يعلق على بيت  
لذي الرمة من الأبيات التي أستشهد بها سيبويه ، وهو : -

هجوم عليها نفسه غير أنه  
متى يرم في عينيه بالشبح ينهض (١)

يفاجئه بسرعة فينظر اليه ، فجعله مفاجأة لنظره كشيء  
واحد رمى به : « وهو من بديع الكلام وفصيحه » . . . ويقول محمد  
ابن سلام : انشدت يونس النحوى قول امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت  
تعرض أثناء الوشاح المفصل (٢)

فزوى وجهه ، وجمع حاجبيه ، وقال : أخطأ مع احسانه ،  
ان الثريا لاتعترض وانما الاعتراض للجوزاء ، هلا قال : كما قال  
ذو الرمة .

وردت اعتسافا (٣) : والثريا كأنها  
على قمة الرأس بن ماء محلوق  
وقد أخذ هذا المعنى فيما بعد أبو القاسم الأنطاكي فقال :  
كأن الثريا ابن ماء علا  
فضم الجناح ، ومد العنق

وفي العصر الحاضر اهتم بشاعرنا عدد من الباحثين نذكر منهم

- 
- (١) الشبح - الشبح أى الشخص ، يصف هنا ذكر النعام (الظليم) بأنه  
يهجم على بيضه بنفسه ليحتم عليه فإذا رأى شخصا مقبلا نهض عنه .  
(٢) أثناء الوشاح - المفرد ثنى أى انثناءاته ، المفصل - الذى فصل بين  
حياته بخور أو غيره .  
(٣) اعتسافا - على غير هدى . ابن ماء - اسم طائر .

الدكتور شوقي ضيف الذي كتب عنه فصلا ضافيا في كتابه « التطور والتجديد في العصر الأموي » والدكتور محمد مندور الذي قام بدراسة صوتية لنماذج من شعره ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، والمستشرق تارل بروكلمان في كتابه القيم : تاريخ الأدب العربي والدكتور محمد صبرى في كتابه « ذو الرمة » .

كيلاني حسن سند



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## مراجع البحث

### مراجع قديمة :

- |                  |      |                              |
|------------------|------|------------------------------|
| الأغاني          | ١ -  | لأبي الفرج الأصفهاني         |
| البيان والتبيين  | ٢ -  | لنجاح                        |
| تاريخ الطبري     | ٣ -  |                              |
| التاريخ الكبير   | ٤ -  | لابن عساکر                   |
| تزيين الأسواق    | ٥ -  | لداود الأنطاني               |
| الحيوان          | ٦ -  | لنجاح                        |
| خزانة الأدب      | ٧ -  | لنصفهادي                     |
| ديوان جميل       | ٨ -  | تحقيق ( د / نصار )           |
| ديوان ذي الرمة   | ٩ -  | مكتبة ترمي ١٩١٩ م            |
| ديوان المجنون    | ١٠ - | تحقيق / عبد الستار أحمد فراج |
| ديوان المعاني    | ١١ - | لأبي هلال العسكري            |
| رسائل أبي العلاء | ١٢ - |                              |
| روضة العشاق      | ١٣ - | لابن الجوزي                  |
| روضة المحبين     | ١٤ - | لابن القيم الجوزية           |
| زهر الآداب       | ١٥ - | لنحصرى                       |

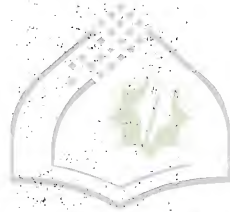


- ١٦ - شرح القصائد العشر للتبريزي  
 ١٧ - الشعر والشعراء لابن قتيبة  
 ١٨ - طبقات الشعراء لابن سلام  
 ١٩ - طوق الحمامة لابن حزم  
 ٢٠ - عيار الشعر لابن طباطبا  
 ٢١ - قواعد الشعر لثعلب - تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي  
 ٢٢ - الكامل للمبرد  
 ٢٣ - مختارات الشنتمرى للشنتمرى - تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي  
 ٢٤ - مصارع العشاق ابن السراج  
 ٢٥ - مقدمة ابن خلدون ابن خلدون  
 ٢٦ - الموشح للمرزباني  
 ٢٧ - وفيات الأعيان لابن خلكان

### مراجع حديثة :

- ٢٨ - أدب الطبيعة محمد عبد اللطيف السحرتي  
 ٢٩ - ابن سناء الملك للدكتور أحمد فؤاد الأهواني  
 ٣٠ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان  
 ٣١ - تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي زيدان  
 ٣٢ - التاريخ السياسي للدكتور حسن ابراهيم  
 ٣٣ - نجارب شعرية كيلاني حسن سند  
 ٣٤ - التطور والتجديد في العصر الاموي الدكتور شوقي ضيف

- ٣٥ - ثلاث مقالات فى الجنس لفرويد
- ٣٦ - الحب العذرى لموسى سليمان
- ٣٧ - الحب المثالى عند العرب د / يوسف خليف
- ٣٨ - الحب والغزل بين الجاهلية والاسلام  
( لعبد الله أنيس الطباع )
- ٣٩ - حديث الاربعاء د / طه حسين
- ٤٠ - الراعى النمرى د / محمد نبيه حجاب
- ٤١ - شعر الرعاة ترجمة د / صقر خفاجة
- ٤٢ - الشعر المصرى بعد شوقي  
د / محمد مندور
- ٤٣ - الشوامخ ( ذو الرمة )  
د / محمد صبرى
- ٤٤ - الطبيعة فى الشعر الأندلسى  
د / محمد جودة الركابى
- ٤٥ - فجر الاسلام د / أحمد أمين
- ٤٦ - القبائل العربية القديمة والحديثة  
( عمر كحالة )
- ٤٧ - من شعر الطبيعة فى الأدب العربى  
( د / سيد نوفل )
- ٤٨ - مجلة الكاتب المصرى - المجلد الثانى سنة ١٩٤٦ فبراير
- ٤٩ - مجلة المجلة عدد ( ١٣ من مايو سنة ١٩٦٦ )



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

## الفهرس

٣	تصدير .. .. .
٥	الباب الأول : ذو الرمة .. .. .
٧	الفصل الأول : حياته ونشأته .. .. .
٢٥	الفصل الثاني : ثقافته .. .. .
٢٧	الباب الثاني : الحب فى شعر ذى الرمة .. .. .
٢٩	الفصل الأول : ذو الرمة العاشق .. .. .
٦٥	الفصل الثاني : ملامح مى وصفاتها النفسية والجسدية .. .. .
٨٥	الفصل الثالث : عالم الشاعر النفسى .. .. .
١٣٣	الباب الثالث : الطبيعة فى شعر ذى الرمة .. .. .
١٨٣	الباب الرابع : المديح والفخر والهجاء فى شعر ذى الرمة .. .. .
٢٠٧	الباب الخامس : مميزات أسلوبه .. .. .
٢٤٣	الباب السادس : منزلته الشعرية .. .. .
٢٥٩	مراجع البحث .. .. .

## الفهرس

٣	تصدير .. .. .
٥	الباب الأول : ذو الرمة .. .. .
٧	الفصل الأول : حياته ونشأته .. .. .
٢٥	الفصل الثاني : ثقافته .. .. .
٢٧	الباب الثاني : الحب في شعر ذي الرمة .. .. .
٢٩	الفصل الأول : ذو الرمة العاشق .. .. .
٦٥	الفصل الثاني : ملامح مي وصفاتها النفسية والجسدية .. .. .
٨٥	الفصل الثالث : عالم الشاعر النفسي .. .. .
١٢٣	الباب الثالث : الطبيعة في شعر ذي الرمة .. .. .
١٨٣	الباب الرابع : المديح والفخر والهجاء في شعر ذي الرمة .. .. .
٢٠٧	الباب الخامس : مميزات أسلوبه .. .. .
٢٤٣	الباب السادس : منزلته الشعرية .. .. .
٢٥٩	مراجع البحث .. .. .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی